سلسلة اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن -١٢أ-

البِشاراتُ النَّبويّة

دروس عظاتٌ وعبرٌ

تأليف

((أبوإسلام))

صالح بن طه عبدالواحد

أعزه الله بالإسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

مكتبة الغرباء

الدار الأثرية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٢/٦/٢٣٣٢)

٢١١

الواحد، صالح طه عبد
البشارات النبوية / صالح طه عبد الواحد .- عمان: المعد، ٢٠١٢

( ) ص .
ر. إ. : ٢٠١٢/٦/٢٣٣٢.
الواصفات : الثقافة الإسلامية//الإسلام/

تنبيه: اعلم أن هذه الخطب تُبث على قناة الأثر الفضائية التي ترددها ١١٣٣٤ على النايل سات وعلى الموقع الإلكتروني

salehabuislam.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إنّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمّدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

يقولُ اللهُ عزَّ وجَّل لرسولِه ﷺ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

ما زلنا في صَددِ الحديثِ عن سلسلةِ الخُطبِ والمواعظِ التي بعنوان: قَصصُ القرآنِ الكريم والتي تتكونُ من أربعةِ أجزاء:

الـجزءُ الأول: «الفُرقانُ من قَصصِ القرآن»، والذي تكلَّمنا فيه عن قَصصِ القرآن من غيرِ قصصِ الأنبياء، كقصةِ قارونَ، وصاحبِ الـجنَّتَين، وسبأ... وغيرهم. وخرجَ هذا الـجزءُ كتاباً بعنوان: «**الفُرقانُ من قَصصِ القرآن**».

الـجزء الثاني: «**البيانُ من قَصصِ القرآن**»، والذي تكلَّمنا فيه عن قَصَص الأنبياءِ من غير أولي العزم، كقصةِ آدمَ، وسليمانَ، ويوسفَ ... وغيرها وخرجَ هذا الـجزءُ كتاباً بعنوان: «**البيانُ من قَصصِ القرآن**».

الـجزء الثالث: «**البرهانُ من قَصصِ القرآن**»، والذي تكلَّمنا فيه عن قَصصِ أولي العَزمِ من الرُّسل: قصّةُ نوح، وقصةُ إبراهيم، وقصةُ موسى، وقصةُ عيسى عليهمُ السلامُ. وخرجَ هذا الـجزءُ كتاباً بعُنوان: «**البرهانُ من قَصصِ القرآن**».

الـجزء الرابع: «**اللؤلؤُ والـمَرجانُ من قَصصِ القرآن**»، والذي سنتكلَّمُ فيه إن شاءَ اللهُ تعالى عَنْ قصّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، وهذا الـجزءُ سيكونُ على خمسِ مراحلَ:

الـمرحلة الأولى: «اللؤلؤ والـمرجان من قصص القرآن (١)»، والتي تكلَّمنا فيها عن ثَمراتِ السِّيرةِ النَّبويّةِ وقد خرَجَ كتاباً بعنوان: «**ثمراتُ السِّيرةِ النَّبوية**».

الـمرحلة الثانية: «اللؤلؤ والـمرجان من قَصصِ القرآن (٢)»، وهذه الـمرحلةُ ستكونُ على ثلاثةِ أقسام:

القسم الأول: البِشاراتُ النَّبويّةُ العامّةُ وهذا هو الكتابُ الذي بينَ يدَيك.

القسم الثاني: الـمُبشَّرونَ بالـجنَّةِ رجالاً ونساءً وهذا القِسمُ الذي نَحنُ في صَدَدِ الـحديثِ عنه الآن، وسيَخرجُ كتاباً قريباً إن شاءَ اللهُ تعالى.

القسم الثالث: الـمُبشَّرونَ بالنّارِ رجالاً ونساءً وهذا القسمُ هو الذي سنبدأُ

فيه إن شاءَ الله تعالى بعدَ الانتهاءِ من القسمِ الثاني.

الـمرحلةُ الثالثة: «**اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن (٣)**» وهي التي ستتكلَّمُ فيها إن شاءَ اللهُ تعالى، بعدَ الانتهاءِ من الـمرحلةِ الثانيةِ، وستكون بعنوان: «**الـمعُجزاتُ النَّبويّة**».

الـمرحلةُ الرابعة: «اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآنِ (٤)» وهي التي ستتكلَّمُ فيها إن شاءَ اللهُ تعالى، بعدَ الانتهاءِ من الـمرحلةِ الثّالثةِ، وستكونُ بعنوان: «**الوصايا النَّبويّة**».

الـمرحلةُ الـخامسة: «**اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآنِ (٥)**» وهي التي ستتكلَّمُ فيها إن شاءَ اللهُ تعالى، بعدَ الانتهاءِ من الـمرحلةِ الرّابعةِ، وستكون بعنوان: «السّيرةُ النَّبويّةُ العَطِرة من القرآنِ والسُّنَّةِ».

والذي دفعَني للحديثِ عن البِشاراتِ النَّبويّةِ هو: التَّعرُّفُ على الثَّمراتِ والفوائِدِ والدُّروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من بشاراتِ النَّبيِّ ﷺ ومنها:

الثمرات الجليلة التي سنقطفها -إن شاءَ الله تعالى- من دراستنا للبشارات النبويّة

أولاً: سلامةُ العقيدةِ شرطٌ أساسٌ لتحقيقِ بشائرِ الـخيرِ[١]

أ- أسسٌ وثَوابت:

شرعَ اللهُ تعالى يومَ أن خلقَ الـخلقَ بأن يُعبَدَ وحدَه لا شريكَ له، فهو الواحدُ الأحدُ الفردُ الصَّمدُ وما سواهُ باطلٌ ولا يَستحِقُّ العِبادة..، فكانَ أمرُ التَّوحيدِ هو الأصلَ في صحَّةِ الـمُعتقَدِ، فقد بَعَثَ اللهُ تعالى رسلَه جميعاً عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ

(١) انظر كتاب «الاستنارة بما جاء في البشارة» (ص١٩٥).

لهدايةِ النّاسِ إلى الطَّريقِ الـحَقِّ، وأنزلَ عليهمُ الكُتُبَ لإرشادِ الضّالِّينَ، وقد ألزمَهم بكلمةِ التَّقوى والتَّوحيد. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]، فهذا الـخطابُ لم يكُن لنبيِّ اللهِ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وإنما لجَميعِ الـخَلق.

ولما كانَ الأمرُ بالالتزام بدينِ اللهِ تعالى الـخاتم، وهو الإسلامُ والذي جعلَه اللهُ تعالى مَقبولاً عندَه بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] ..، والذي أُنزلَ على خيرِ البَريَّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، فجاءَ بعَقيدةِ التَّوحيدِ الـخالصِ، وممّا هو معلومٌ من الدِّينِ بالضرورة أنَّ أركانَ الإيمانِ ستّةٌ وردَت في قولِ الـمُصطفى ﷺ والتي يَجبُ الإيمانُ فيها إيماناً خالصاً لتَحقيقِ عقيدةِ التَّوحيدِ وهي في قولِه ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1] فمَن عرفَها وصدَّقَ وآمنَ وعَمِلَ بها فقدْ حقَّقَ عقيدةَ التَّوحيد.

ولو تأمَّلنا في أركانِ الإيمانِ السِّتّةِ لوَجدناها كلَّها أموراً غيبيّةً؛ فالإيمانُ باللهِ تعالى أمرٌ غيبيٌّ، فقد عُرِفَ عزَّ وجلَّ بالفِطرةِ السَّليمةِ وبما أخبرَ به عن نفسه تبارك وتعالى في كتبِه وعلى لسانِ رسلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وبما بثَّ في هذا الكونِ من دلائلِ قدرتِه وعجائبِ صُنعِه وخَلقِه، فكلُّ ما في هذا الكونِ لَيدلُّ دِلالةً واضحةً بأنَّ هناكَ خالقاً عظيماً وهو اللهُ عزَّ وجلَّ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

ولو تأمَّلنا الإيمانَ بالـملائكةِ فالإيمانُ بهم إيمانٌ بالغَيب، فلم نَرَهم ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بيَّنَ لنا جملةً من صفاتِهمُ الـخَلقيّةِ وبعضاً من أعمالِهم؛ فمنهم مَن هو مُوكّلٌ (بالإنسانِ من حينِ كونِه نطفةً إلى آخرِ أمرِه، ولهم وله شأنٌ آخر، فإنهم مُوَكَّلونَ بتَخليقِه، ونَقلِه من طورٍ إلى طورٍ، وتصويرِه، وحفظِه في أطباقِ الظُّلماتِ الثَّلاثِ وكتابةِ رزقِه وعملِه، وأجلِه، وشقاوتِه، وسعادَتِه وملازمتِه في جميعِ أحوالِه، وإحصاءِ أقوالِه وأفعالِه وحفظِه في حياتِه وقبضِ روحِه عنَد وفاتِها، وعرضِها على خالقِه وفاطرِه. وهم الـمُوكَّلونَ بعذابِه ونعيمِه في البَرزخِ، وبعدَ البَعثِ، وهم الـمُوكَّلونَ بعملِ آلاتِ النَّعيم والعَذاب. وهم الـمُثَبِّتونَ للعَبدِ الـمُؤمنِ بإذنِ اللهِ والـمُعلِّمونَ له ما يَنفعُه والـمُقاتِلونَ الذَّابُونَ عنه، وهم أولياؤُه في الدُّنيا والآخرةِ وهم الذين يُرُونَه في منامِه ما يخافُه ليَحذرَه، وما يُحِبُّه ليَقوى قلبُه، ويزدادَ شكراً، وهم الذين يَعِدونَه بالـخَيرِ ويَدعونَه إليه ويَنهَونَه عن الشَّرِّ، ويُحذِّرونَه منه)[1]، وقد بيَّنَ اللهُ تَعالى بأن الإيمانَ بجبريلَ عليه السلام وهو آمرُ الـملائكةِ ورئيسُهم من مُقتضى الإيمانِ الصَّحيح. قالَ تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة] ... لذا كانَ لزاماً علينا تحقيقُ الإيمانِ بالـملائكةِ عليهم السَّلام.

ومن لزومِ الإيمانِ الصَّحيحِ الإيمانُ بالكُتبِ السَّماويَّةِ والتي أنزَلَها الـمَولى عزَّ وجلَّ على رسَلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، فما من رسولٍ إلا وأُنزلَ عليه كتابٌ يدعو قومَه فيه إلى عبادةِ اللهِ تعالى. قالَ عزَّ وجلَّ في كتابِه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقد ذكرَ اللهُ تعالى بعضاً من كتبِه التي أُنزِلَت على بعضٍ من رسلِه في القرآنِ الكريمِ فقد نزلَت

(١) ما بين ( ) من كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ١٣٠).

الصُّحفُ على إبراهيمَ وموسى عليهما الصَّلاةُ والسلام، ونزل الزَّبورُ على داودَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، ونزلتِ التوراةُ على موسى عليه الصَّلاة والسّلام، ونزلَ الإنجيل على عيسى ابنِ مريمَ عليه الصَّلاة والسَّلام، وخاتِمتُها القُرآنُ الكريمُ والذي أُنزلَ على خيرِ البريّةِ محمدِ بنِ عبدِالله ﷺ.

فيَجبُ على الـمُسلم أن يُؤمِنَ بتلكَ الكُتبِ السَّماويَّةِ الـمَذكورةِ في كتابِ اللهِ تعالى وهو إيمانٌ غيبيٌّ فنَحنُ لم نرَ تلكَ الكتبَ ولكنّا نُصدِّقُ بها، والـمرادُ بذلكَ النُّسخُ الأصليّةُ والتي نَزلَت على الـمُرسلينَ ... أما ما هو موجودٌ اليومَ بين أيدي اليَهودِ والنَّصارى مما يُسمّى بالتَّوراةِ أو (العَهدِ القديم)، وكذلكَ الأناجيلُ أو ما تُسمّى بـ (العَهدِ الـجديدِ) فإنها جميعاً باطلةٌ ولا يَصِحُّ منها شيءٌ إلا ما وافقَ القرآنَ والسُّنَّةَ لتَحريفِها وتَبديلِها من قِبَلِ رهبانِ اليَهودِ وقساوسةِ النَّصارى. قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة]، وقالَ عزَّ من قائلٍ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران] ... والنُّصوصُ في هذا الأمرِ كثيرةٌ إلا أن الـحقيقةَ واضحةٌ فلا يُنكرُها إلا جاحدٌ مُتكبِّر.

ومعتقدُ أهلِ السُّنةِ والـجماعةِ في تلكَ الكتبِ الـمُحرَّفةِ أنّه لا يَصحُّ منها إلا ما أثبَتهُ القرآنُ الكريمُ وما ذكرَه الـمُصطفى ﷺ، وما كانَ دونَ ذلك فهو باطلٌ ولا يُنسَبُ إلى اللهِ تعالى في أيِّ حالٍ من الأحوال[1].

(١) انظر: «مختصر كتاب إظهار الحق» للكيرانويّ الهندي رحمه الله تعالى، اختصار وتحقيق د. محمد أحمد ملكاويّ، ففيه بيان بطلان كتب اليهود والنصارى الموجودة الآن بين أيدي الناس. وانظر: «من رسائل الدعوة السلفية» (٢/ ١٧٧).

وكذا الإيمانُ بالرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ فهو إيمانٌ بالغَيبِ، فنحن لم نرَ رسلَ اللهِ تعالى وأنبياءَهُ إلا مَن أنعمَ اللهُ تعالى عليهم برؤيةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، أما مَن جاؤوا بعدَهم فيَجبُ أن يُؤمنوا به ﷺ ومن جاء قبله من الـمرسَلين إيماناً بالغيبِ بأنهم أفضلُ الـخَلقِ وأكرمُهم وأزكاهُم وأعلمُهم وأتقاهُم للهِ تعالى، وأنهم أدَّوا الأمانةَ وبلَّغوا الرِّسالةَ ونَصحوا أقوامَهم بما يُحقِّقُ التَّوحيدَ الـخالصَ للهِ تعالى، ويَجبُ الإيمانُ بأن نبيَّنا محمدًا ﷺ خاتمُ الرُّسلِ؛ لقولِه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وأنه فُضِّلَ على سائرِ الأنبياءِ والـمُرسَلينَ، ولقولِه ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبيَاءِ بستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[١] ... فهذه انعمٌ وفضائلُ اختصَّ الباري عزَّ وجلَّ بها نبيَّه ورسولَه وحبيبَه ﷺ دونَ غيرِه من الـمُرسَلينَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ أجمَعين.

ومن أركانِ الإيمانِ السِّتّةِ الإيمانُ باليوم الآخرِ، وهو كذلكَ إيمانٌ غيبيٌّ يَجبُ علينا اعتقادُه وتصديقُه، فمَن شكَّ بذلكَ أو ارتابَ فهو ناقصُ الإيمانِ ويَجبُ عليه أن يُصحِّحَ مُعتقدَه، وأما مَن أنكرَه بالكُليّةِ أو أنكرَ بعضاً مما سيَقعُ في ذلكَ اليومِ من أمورٍ أو حوادثَ؛ فيُستتابُ ثلاثةَ أيّامٍ، فإن تابَ وإلا قُتِلَ حدًّا لكُفره[٢].

فالإيمانُ باليوم الآخرِ ثابتٌ في كتابِ اللهِ تعالى في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢٣).

(٢) انظر: «أصول المنهج الإسلامي» (ص٤٣٣)، و«الموسوعة الفقهية» (٢٢/ ١٩١-١٩٣) تحت مصطلح (ردة).

ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الصافات]، فالـمسلمُ يؤمنُ بالـموتِ وسَكَراته والـحياةِ البَرزخيّةِ وهي أولُ منازلِ الآخرةِ كما قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(١).

ومن أحداثِ اليومِ الآخرِ ما ذكرَه النَّبيُّ ﷺ من أشراطِ السّاعةِ الصُّغرى والكُبرى وقيامِ السّاعةِ، والبعثِ والنُّشورِ وما جاءَ فيهما من أهوالٍ ذكرَها اللهُ تعالى في كتابِه العزيزِ وبيَّنَها النَّبيُّ ﷺ. ومن تلكَ الأحداثِ الصِّراطُ وما قبلَه من أحداثٍ وما بعدَه من النَّعيمِ للمُؤمنينَ الـمُوحِّدينَ، والذي أعدَّه اللهُ تعالى لهم ثواباً من عندِه عزَّ وجلَّ .. وأما الـمُعانِدونَ الـمُكذِّبونَ فما لهم إلا جهنَّمُ وبئسَ القرارِ جزاءً بما عَمِلَته أيديهم، فمن مُقتضى الـحكمةِ أن يكونَ ذلك اليومُ الآخرُ ليُكافأَ الـمُصدِّقُ ويُجازى الـمُكذِّب.

فكلُّ تلك الأحداثِ والتي ستَقعُ لا محالةَ في اليومِ الآخرِ يَجِبُ الإيمانُ بها إيماناً صادقاً صحيحاً لا ريبَ فيه ولا مِرية. قالَ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء] .. وقد أخبرَ اللهُ تعالى عن مَصيرِ الفِئتَين: أهلِ الضَّلالِ وأهلِ الصَّلاحِ بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٤)].

﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]. وهذا هو الصَّحيحُ من مُعتقَدِ أهلِ السُّنّةِ والـجماعة.

أما الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدرِ خيره وشَرِّه من الله تعالى فهذا إيمانٌ غَيبيٌّ كذلكَ، فليسَ للمَرءِ أن يُنكِرَه أو يُكذِّبَه، فكلُّ ما يَقعُ له من أعمالٍ وأحداثٍ فهي بقضاءِ اللهِ تعالى وقدَرِه. قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]، ولقوله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[1]... ومن تلكَ النُّصوصِ تَتَّضِحُ حقيقةٌ واحدةٌ، وهي أنَّ اللهَ تعالى قد كَتَبَ علينا أفعالَنا وأقوالَنا وسائرَ أمورِنا، وهذا حقٌّ إلا أن هذا الأمرَ لا يُعطي للعَبدِ الـحقَّ في أن يَترُكَ ما أمرَ اللهُ تعالى به، أو أن يَفعلَ ما نهى اللهُ تعالى عنه، فمَن احتجَّ على فعلِ الـمعاصي وتركِ الأوامرِ بفَهمِه الـخاطئِ لهذا الـحديث، فإن بيانَ ذلك فيما حَدَّثَ به عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»[2].

ومَرجِعُ ذلك كلِّه بأَنَّ سلامةَ الـمُعتقَدِ هي الأصلُ الأصيلُ في بيانِ قوّةِ الإيمانِ وضَعفِه، إذ أنّ مُعتقَدَ أهلِ السُّنّةِ والـجماعةِ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ بالطّاعةِ ويَنقصُ بالـمَعصيةِ[3]، وقد وَرَدَ عن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**إنَّ العبدَ لا يبلغُ حَقيقةَ الإيمانِ حتى يَعْلَمَ أَنَّ ما أصابَهُ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وما أَخْطَأَهُ لم يَكُنْ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٣) انظر: «منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل للعلامة الألباني، والعلامة ابن العثيمين رحمهما الله تعالى». اعتناء أبي عبدالله النعماني الأثري (ص٤٨-٥٠)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٣٧٣-٣٧٩) ففيهما فوائد كثيرة.

لِيُصيبَهُ»(١)... فهذا هو الـمُعتقَدُ الصَّحيحُ الذي يجبُ أن يعتقدَه الـمسلمُ ليُحقِّقَ به بشائرَ الـمَولى عزَّ وجلَّ ورسولِه ﷺ الـخيِّرةَ فينعمَ بها في الدُّنيا قبلَ الآخرة.

مما تمَّ ذكرُه وبيانُه فيما يَتعلَّقُ بصِحّةِ الـمُعتقَد وبأنه شَرطٌ أساسٌ في بلوغِ بشائرِ الـخيرِ للمسلمِ في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ؛ (فالإيمانُ باللهِ تعالى وأسمائِه وصفاتِه يُثمرُ للعَبدِ محبّةَ اللهِ تعالى وتعظيمَه الـمُوجبَينِ للقيامِ بأمرِه واجتنابِ نهيه، والقيامُ بأمرِ اللهِ تعالى واجتنابُ نهيه يحصلُ بهما كمالُ السَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ للفَردِ والـمُجتمع، قالَ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل]) ا.هـ.(٢)

ب- نماذجُ من تحقيقِ بشائرِ الـخيرِ بفضلِ سلامةِ العقيدةِ:

من رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه الصّالـحِينَ أن ذكرَ لهم ما يُسلِّي به قلوبَهم الـحيرى في هذه الـحياةِ الدُّنيا مما يَلقَونَه من تصاريفِ الأمورِ، والتي تكونُ تارةً مُفرحةً وأُخرى غيرَ ذلك، فأكرمَهم عزَّ وجلَّ بتلكَ البشائرِ الـخيِّرةِ لتَطمئنَّ قلوبُهم وتهدأَ .. فسلامةُ العَقيدةِ في نفوسِ الـمؤمنينَ هي الـمِفتاحُ الذي تُفتَحُ فيه بَشائرُ الـخيرِ على العبدِ الـمؤمنِ، ومن أمثلتِها في ذلكَ ما يلي:

١- ما جاء في كتابِ الله تعالى:

إن الـمتأمِّلَ في آياتِ البارئِ عزَّ وجلَّ ليَجدُ الكثيرَ من البَشائرِ الـخيَّرةِ، ومنها ما جاءَ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر]، ففي الآيتَينِ الـمذكورتَين بيانٌ من الـمولى عزَّ وجلَّ

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٦) بهذا اللفظ، ورواه أحمد (٦/ ٤٤١) قريباً من هذا اللفظ [«ظل الجنة» (٢٤٦)].

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة» لمحمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، (ص٧٧-٧٨).

وبُشرى لكلِّ من تعلَّقَ قلبُه بعبادةِ اللهِ تعالى وحدَه لا شريكَ له، ونَبذَ ما سواه من الـمَعبوداتِ التي تكونُ سبباً في العذابِ؛ كعبادةِ الأوثانِ والنُّجوم وكلِّ ما يُعتقدُ بأنه يَضُرُّ وينَفعُ من دونِ اللهِ تعالى، فالتَّوحيدُ الـخالصُ شرطٌ لتلقِّي بشائرِ الـخيرِ في الدُّنيا والآخرة.

كما وإن الـحقَّ أحقُّ بالاتباعِ لتحقيقِ الهدايةِ من اللهِ تعالى فيَجبُ علينا اتِّباع شَرعِ اللهِ تعالى بتوحيدِه وتعظيمِه وعبادتِه (فالأمرُ يَتضمَّنُ الأمرَ بالواجباتِ والـمُستحَبّاتِ، ولا ريبَ أن الاقتصارَ على فعلِ الواجباتِ حسنٌ وفعلُ الـمُستحبّاتِ معَها أحسنُ، ومَن اتَّبعَ الأحسنَ فاقتدى بالـمقرَّبينَ وتقرَّبَ إلى اللهِ تعالى بالنَّوافِلِ بعدَ الفرائضِ كانَ أحقَّ بالبُشرى)[1]. فهذه البُشرى تحقَّقَت أولاً بسَببِ صحّةِ الـمُعتقَدِ وسلامتِه من الشّوائبِ، ثم بتَحقيقِ العبادةِ الـخالصةِ للهِ تعالى في اتِّباعِ الـحقِّ والصَّوابِ والتَّقرُّبِ بها إلى اللهِ تعالى في جميعِ أنواعِ العباداتِ بما تَحويه من فرائضَ ونوافل.

٢- السبعونَ ألفاً الذين يدخلونَ الجنةَ دونَ حسابٍ:

لقد ضَرَبَ لنا رسولُنا الكريمُ ﷺ مثلاً واضحاً جليًّا بأن تحقيقَ البشارةِ الصّالـحةِ تكونُ لَمن حَقَّقَ التَّوحيدَ الـخالصَ وفي التوكُّلِ على اللهِ تعالى حقَّ التوكُّل، فعن حُصينِ بنِ عبدِالرحمنِ رضي الله عنه قال: كنتُ عندَ سعيدِ بن جُبَيرٍ رضي الله عنه فقال: أيُّكمُ الذي رأى الكوكبَ الذي انقَضى البارحةَ؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما أنِّي لم أكُن في صلاةٍ ولكنِّي لُدغتُ، قال: فما صنعتَ؟ قلت: استرقَيتُ. قال: فما حَمَلَكَ على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدَّثَناه الشَّعبيُّ. قال: وما حدَّثَكم الشَّعبيُّ؟ قلت: حدَّثَنا عن بريدةَ ابنِ الـحصيبِ الأسلميِّ أنه قال: لا رُقيةَ إلا في عينٍ أو حُمةٍ، فقال: قد أحسنَ مَن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٧) لابن تيمية.

انتهى إلى ما سَمِعَ، ولكن حدَّثَنا ابنُ عبّاس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ**[١] **وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ** » ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ**[٢] **وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»،فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[٣].

وحتى نَضَعَ الأمورَ في نصابِها فيما يَتعلَّقُ بالرُّقيةِ وما يَتضمَّنهُ من تحقيقِ التَّوكُّلِ أو من عدمِه، فقد أجمَلَ القولَ في ذلكَ الإمامُ ابنُ قيِّم الـجوزيّةِ رحمَه اللهُ تعالى بقولِه: (فإن النَّبيَّ ﷺ جعَلَ الوَصفَ الذي يَستحِقُّ به هؤلاءِ دخولَ الـجنّةِ بغيرِ حسابٍ هو تحقيقُ التَّوحيدِ وتجريدُه فلا يَسألونَ غيرَهم أن يرقيَهم ولا يَتطيَّرونَ وعلى ربِّهم يَتوكَّلونَ، والطِّيرةُ نوعٌ من الشِّركِ، ويَتوكَّلونَ على اللهِ وحدَه لا على غيرِه، وتركُهم الاسترقاءَ والتَّطيُّرَ هو من تمامِ التَّوكُّلِ على اللهِ كما في الـحديثِ «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» قالَ

(١) الرهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول من سبعة إلى عشرة. وقيل: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٣٠٥).

(٢) هذه لفظةٌ شاذة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ لمسلم.

ابنُ مسعودٍ: وَمَا مِنَّا إِلَّا مَن تطيَّر، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ، فالتَّوكُّلُ يُنافي التَّطيُّر، وأما رُقيةُ العَينِ فهي إحسانٌ من الرّاقي. قد رَقى جبريلُ رسولَ اللهِ ﷺ وأَذِنَ ﷺ في الرُّقى وقالَ: «**لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(١) واستأذَنوه فيها، فقالَ: «**مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»(٢). وهذا يَدلُّ على أنها نَفعٌ وإحسانٌ، وذلك مُستحَبٌّ مطلوبٌ للهِ ورسولِه، فالرّاقي مُحسِنٌ والـمُستَرقي سائلٌ راجٍ نفعَ الغَيرِ، والتَّوكل يُنافي ذلكَ (فإن قيلَ) فعائشةُ قد رَقَت رسولَ اللهِ ﷺ وجبريلُ قد رقاه، (قيل) أجل، ولكن هو لم يَستَرقِ وهو ﷺ لم يَقُل: ولا يرقيهم راقٍ وإنما قال: «**لا يطلبونَ من أحدٍ أن يرقيَهم**»، وفي امتناعه ﷺ أن يدعوَ للرَّجلِ الثّاني سدٌّ لبابِ الطَّلبِ، فإنه لو دعا لكلِّ مَن سأَله ذلكَ فربَّما طلبَه مَن ليسَ من أهلِه .. واللهُ أعلم)(٣).. لذا فإن تَحقيقَ التَّوكُّلِ الكاملِ مَدعاةٌ لتَحقيقِ التَّوحيدِ الـخالصِ الذي يَدُلُّ على سلامةِ العقيدةِ وبالتّالي كانَت البِشارةُ الـخيِّرةُ من نصيبِه في الدُّنيا والآخرة.

٣- التسليم بمقتضى التوحيدِ أمرٌ لازمٌ لتحقيقِ بشائرِ الـخير:

إن من أهمِّ علاماتِ الرِّضا والـمَحبّةِ الإخلاصَ في العبادةِ، وتحقيقُ صالـحِ الأعمالِ الدُّنيويّةِ منها والأخرويّةِ مَنوطٌ بسلامةِ الـمُعتقَدِ الصَّحيح وذلكَ لنَيلِ الأجرِ والثَّوابِ من اللهِ تعالى في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ ولا يكونُ هذا الأمرُ إلا بالاعتقادِ بالوحدانيّةِ للهِ تعالى دونَ غيره مما يَعتقدُه جُهّالُ الـخَلق .. فالـمخلوقُ لا ينفعُه عملُه التَّعبُّديُّ أو الأخلاقيُّ أو السُّلوكيُّ ما لم يكُن مُوحِّدًا للهِ تباركَ وتعالى، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْرِي

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٩٩).

(٣) ما بين ( ) من «حادي الأرواح» لابن قيم الـجوزية (ص٩٢-٩٣)، وانظر: «القول الأحمد في خصائص أمة محمد ﷺ» لحاي الـحاي حفظه الله تعالى، (ص١٦٩-١٧٦)، ففيه الـخلاصة والفائدة.

الضَّيْفَ وَيَفُكُّ الْعَانِيَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيُحْسِنُ الْجِوَارَ فَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي يَوْمَ الدِّينِ**»(١).

وقد عَقَّبَ العلامةُ الألبانيُّ رحمه الله تعالى بقوله: (وفي الـحديثِ دلالةٌ ظاهرةٌ على أنَّ الكافرَ إذا أسلمَ نفعَه عملُه الصّالـحُ في الـجاهليّةِ بخلافِ ما إذا ماتَ على كفرِه فإنه لا يَنفعُه بل يَحبَطُ بكُفرِه .. وفيه دليلٌ أيضاً على أن أهلَ الـجاهليّةِ الذين ماتوا قبلَ البعثةِ الـمُحمَّديةِ ليسوا من أهلِ الفَترةِ الذين لم تبلُغهم دعوةُ الرسل، إذ لو كانوا كذلكَ لم يَستحِقَّ ابنُ جَدعانَ العذابَ ولما حَبِطَ عملُه الصّالـح)(٢).

ثانياً: اغتنامُ الـمواطنِ التي بشَّرَ بها اللهُ تعالى ونبيُّه ﷺ

إن أَنعُمَ اللهِ تعالى على أمّةِ الـمُصطفى ﷺ كثيرةٌ، ولو أَردنا عَدَّها لما استطَعنا لعظيمِ فضلِه عزَّ وجلَّ، ولكن سنذكرُ جانباً منها على سبيلِ الـمثالِ -ولْيُعلم ابتداءً- هدانا اللهُ تعالى و إيّاكم، بأن العبدَ لا ينالُ الأجرَ والثَّوابَ فيها إلا بالـمعتَقَدِ الصحيحِ والعملِ الـخالِص لوجهِ الله تعالى بعيداً عنِ الرّياءِ والسُمعةِ والشهرةِ والـخُيلاءِ .. وقد حثَّنا الرَّسولُ ﷺ على اغتنامِ الفُرصِ النافعةِ واستغلالِ الأوقاتِ بما ينفعُ العبدَ في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، فعنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(٣)، ولقولِه ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ**»(٤).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٤)، وأحمد (٦/ ١٢٠) واللفظ لأحمد.

(٢) ما بين ( ) من «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لألباني (١/ ٩٨-٩٩) برقم (٢٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه الـحاكم (٧٨٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٢). والـمراد بقوله ﷺ (مَغْبُونٌ فِيهِمَا) أي: محسود من يكون فارغا صحيح البدن، ثم لا يمتثل أمر الله عزَّ وجلَّ أو اجتنب نهيه تبارك وتعالى كحال كثير من الناس.

ولما كانَ الأمرُ متعلِّقاً باغتنام مواطنِ البشائرِ الـخيِّرة والتي حثَّنا اللهُ تعالى على الاستفادةِ منها فحَريٌّ بالعبدِ الـمسلم امتثالُها؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون] .. فهذه الوصايا وهذه الـخصالُ يَعرضُها الـمَولى عزَّ وجلَّ لعبادِه حتى يَغتنموها في حياتِهم فينَعموا بها في دُنياهم وتَتحقَّقُ فيهم نعماؤُه في آخرتِهم .. والـمتأمِّلُ في كتابِ الباري عزَّ وجلَّ يَجِدُ فيه من البشائرِ الشيءَ الكثيرَ، فمَن وفَّقَه اللهُ تعالى لفهمِها والعملِ بما دعَت إليه فازَ ونجى.

أما بشائرُ الـحبيبِ الـمحبوبِ محمّدِ بنِ عبدِالله ﷺ فقد وجَّه أمَّتَه إليها فيما غيرِ موقفٍ أو مناسبةٍ، فعَن عبادَةَ رضي الله عنه قالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**مَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَسَمِعَ وَأَطَاعَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُدْخِلُهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَسَمِعَ وَعَصَى فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مِنْ أَمْرِهِ بِالْخِيَارِ [إِنْ شَاءَ رَحِمَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ]**»(١)، ففي التَّوحيدِ والـمُداومةِ على شعيرةِ الصَّلاةِ، وكذلكَ إخراجُ النِّصابِ الـمَفروضِ في الـمالِ وهو الـحقُّ الـمَعلومُ لأهلِ الـحاجاتِ، وتنفيذُ أحكامِ اللهِ تعالى ورسولِه ﷺ، من قامَ بذلكَ بُشِّرَ بدخولِ الـجنَّةِ وهي مُبتغى الـمؤمنينَ الـموحِّدينَ بإذنِ اللهِ تعالى.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥/ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٦٨)، [«ظلال الـجنة» (٩٦٨)].

ولا يُمكنُ أن نَغضَّ النَّظرَ عن ثوابِ وأجرِ الـمُجاهدينَ في سبيلِ اللهِ تعالى بأموالِهِم وأنفسِهم، فإن الـمَوعدَ الـجنَّةُ إذا ما كانَت نيَّتُهُ صادقةً في الـجهادِ ولم تكُن رياءً أو سمعةً، والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ والبشائرُ مُتَّعددةٌ ومُفرِحةٌ، وإنا لنَسألُ الـمَولى عزَّ وجلَّ أن يَمُنَّ علينَا بميتةِ الشُّهداءِ .. اللَّهمَّ آمين.

ومن بشائره ﷺ فيما يَتعلَّقُ بالتَّمسُّكِ بجماعةِ الـمسلمينَ وبيانِ فضلِ الالتزام معَهم: ما رواه عمرُ بنُ الـخطّابِ رضي الله عنه قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ**»[(١)].

ومما يَنبغي على الـمسلم الاشتغالُ به قراءةُ كتابِ اللهِ تعالى وحفظُهُ وتدبُّرُه فقد بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ فضائلَ الكثيرِ من سوره وآياته، فمن ذلكَ ما حدَّثَ به أنسٌ رضي الله عنه قال: أن رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ كانَ يَؤُمُّهُمْ في مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ في الصَّلاَةِ بِهَا، افْتَتَحَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ في كُلِّ رَكْعَة. فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَـمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الـخَبَرَ. فَقَالَ: «**يَا فُلاَنُ؛ مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ في كُلِّ رَكْعَةٍ ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الـجَنَّةَ**»[(٢)].. فتأمَّل فضلَ اللهَ تعالى

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد(١/ ١٨)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢١٥)]، والمراد بقوله: (بحبوحة الجنة) أي: وسط الجنة وأوسعها وخيرها، انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»(١/ ٩٨) و«الوافي» لعبد الله البستاني (ص٢٨) بتصرف.

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٩٠١)، والحاكم (٨٧٨)، [«صفة الصلاة» (٨٥)].

على عبادِه الـمُوحِّدينَ فإن ثوابَ قراءتها وإخلاصَ التَّوحيدِ وصحَّةَ الاعتقادِ سببٌ في محبّةِ هذا الصَّحابيِّ لسُورةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بما تحويه من صفاتِ الألوهيّةِ والرُّبوبيّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ لربِّ العِزَّةِ عزَّ وجلَّ، وهي كانَت سبباً في دخوله الـجنَّةَ، وبشارةُ النَّبيِّ ﷺ له بذلكَ دليلٌ على صدقِ توحيدِه وإيمانِه .. ولذا يَجِبُ على العبدِ أن يَستغِلَّ تلكَ الفُرصَ في تلاوةِ القرآنِ وحفظِه وتدبُّرِ ألفاظِه ومعانيه.

ولو تأمَّلنا مواطِنَ البِشارةِ في الصَّبرِ على فقدِ الأبناءِ والأحبّةِ والذُّريّةِ واحتسابِ الأجرِ والثوابِ من الـخالقِ عزَّ وجلَّ لوجَدناها كثيرةً ومُتعدّدةً لو حَرصَ العَبدُ الـمسلمُ على اقتناصِها والعملِ بها لنالَه ثوابُ العملِ فيها، فمنها على سبيلِ الـمثالِ: حديثُ قُرّةَ الـمزنيِّ رضي الله عنه قال: إنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتُحِبُّهُ**» فَقَالَ يَا رَسُولَ الله! أَحَبَّكَ الله كَمَا أُحِبُّهُ. فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِـي: «**مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: «**أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّة إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟**» فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله! أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا ؟قَالَ: «**بَلْ لِكُلِّكُمْ**»[١]... ودليلُ ذلكَ حديثُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْد قَالَ الله لِمَلَائِكَته: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِه؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: (مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟) فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ الله: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الـجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الـحَمْدِ**»[٢]... وهذا الأجرُ مشروطٌ لِمَن تلقَّى الـخبرَ أو الصَّدمةَ الأولى فحَمِدَ اللهَ تعالى على قضائه وقدره واسترجعَ بقولِه: إنّا للهِ وإنا إليه راجعونَ، للهِ ما أخذَ، وللهِ ما أعطَى، وكلُّ أمرٍ عندَه بكتاب.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٣٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٠٧)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وعبد بن حميد (٥٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٢٠١٢)].

ومن مواطنِ بشائرِ الـخيرِ والتي يَجِبُ على العبدِ اغتنامُها ما يَدخلُ في دفعِ الأذى عن الـمُسلمينَ وكذلكَ الأمرُ بالـمَعروفِ والنَّهيُ عن الـمُنكرِ وغيرُها، وإنها لأعمالٌ يسيرةٌ لكنَّ فَضلَها عندَ اللهِ عظيمٌ، فعن أبي هريرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**»(١)، وفي فضلِ الأمرِ بالـمَعروفِ والنَّهي عن الـمنكرِ حديثُ أبي ذرٍّ الغِفاريِّ ﷺ مرفوعًا عن النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالـمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الـحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(٢). فهذه الأعمالُ وإن كانَت يسيرةً فإن الأجرَ والثوابَ بها عميمٌ، ينالُه العبدُ في دنياه وآخرتِه بفضلِ اللهِ تعالى وكرمِه.

أما ما يَدخلُ في بابِ العبادةِ وإفشاءِ السَّلام من البشائرِ؛ فمنها حديثُ عبدِاللهِ بنِ عمرو ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، تَدْخُلُوا الْجِنَانَ**»(٣) .. فما أكرمَ الـمَولى عزَّ وجلَّ بتلكَ الأجورِ العظيمةِ والتي بشَّر بها الـمُصطفى ﷺ.

ومن مغانمِ بشائرِ الـخيرِ الكثيرةِ ما يَتعلَّقُ في الاستغناءِ عن الـخلقِ وعدم سؤالِهم شيئاً، وهو ما يدخلُ في بابِ حُسنِ التَّوكُّلِ على اللهِ تعالى: ما تَعَهَّدَ به ثوبانُ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلَ لَهُ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٥٦)، وابن حبان (٥٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٨٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨١)، والبزار (٢٤٠٢)، وابن حبان (٤٨٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٢٦٩٨)].

بِالْجَنَّةِ»، فَقَلَت: أَنَا.. فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا(١).. وما كانَ ذلكَ عن ثوبانَ رضي الله عنه إلا لأنه قد عاهدَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى ينالَ فضلَ بِشارتِه له.

وكما أن للرِّجالِ مغانمَ في بشائرِ الـخيرِ فالنِّساءُ مَشمولاتٌ بها أيضاً فقد خَصَّهنَّ اللهُ تعالى ببشائرَ طيّبةٍ في الدُّنيا والآخرةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب] ... فهذه الآيةُ دليلٌ على عظيمِ فضلِ اللهِ تعالى على عبادِه الـمؤمنينَ ذكوراً كانوا أم إناثاً، فالـحمدُ لله على آلائِه ونَعمائِه عزَّ وجل.

أما أحاديثُ الـمُصطفى صلى الله عليه وسلم فهي كثيرةٌ لنساءِ الـمُسلمينَ، فقد ذكرنا جوانبَ منها في بشائرِ الـخيرِ معَ ذكرِ نماذجَ لتلكَ النِّساءِ الـمُبشَّراتِ بالـجنّةِ تصريحاً وتعريضاً. ونُجملُ القولَ عن تلك النِّساءِ وصِفَتِهنَّ. فعن عمرو بنِ العاص رضي الله عنه قال: بَيْنَما نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في هَذَا الشِّعْبِ إِذْ قَالَ: «**انْظُرُوا، هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟**» فَقُلْنَا: نَرَى غِرْبَانًا فِيهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فِي الْغِرْبَانِ**»(٢).

والـمرادُ من ذلك: بأنه لا يدخلُ الـجنَّةَ من النِّساءِ إلا مَن كانَت على إيمانٍ ووَرعٍ وتُقى وحسنِ عبادةٍ وإخلاصِ نيّةٍ، وهذا قليلٌ في جانبِ النِّساء. لهذا ذكرَ

(١) **صحيح**: رواه أبـو داود (١٦٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥-٢٧٦)، [«صحيـح الترغيب والترهيب»(٨١٣)]. ورواه ابـن ماجـه (١٨٣٧) بلفظ مختلف وزاد في آخره: فكان ثوبان يقع سـوطه، وهـو راكب، فلا يقول لأحد: ناولنيه، حتى ينزل فيأخذه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٧)، وأبو يعلى (٧٣٤٣)، [«السلسلة الصحيحة»(١٨٥٠)].

الـمُصطفى ﷺ بأن النِّساءَ أكثرُ أهلِ النّارِ .. فلتَحذَرِ الـمسلمةُ من ذلكَ ولتَتَّقِ اللهَ تعالى ربَّها.

ومن مواطِنِ بشائرِ الـخيرِ ومغانمِها والتي حريٌّ بالعَبدِ الـمسلم الأخذُ بها لنيلِ الأجرِ والثَّوابِ وذلكَ بالتَّعرُّضِ لنَفَحاتِ الـمَولى عزَّ وجلَّ فيما يَتَعَلَّقُ بفضلِ الذِّكرِ وكثرةِ الاستغفار. وهي كثيرةٌ؛ منها قولُه تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف] قال الـحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمَه اللهُ تعالى في تفسيرِهِ (قالَ ابنُ عبّاسٍ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وغيرُ واحدٍ من السَّلَفِ: الباقياتُ الصَّالـحاتُ: الصَّلواتُ الـخمس، وقالَ عطاءُ بنُ أبي رباح وسعيدُ بنُ جبيرٍ وابنُ عبّاس: الباقياتُ الصّالـحات: سبحانَ الله، والـحَمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبر ... فعن أبي أيوبَ الأنصاريِّ حدَّثَ بأنه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ وهو يقولُ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي، وَقَالَ: مُرْ أُمَّتَكَ أَنْ يُكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيْبَةٌ وَاسِعَةٌ، فَقُلْتُ: وَمَا غَرْسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله**»[١] .. ويدعَمُ ذلك قولُ أبي موسى الأشعريِّ قالَ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ** -أَوْ قَالَ- **عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»[٢].

أما قولُه ﷺ في فضلِ الـمُبادرةِ إلى الإنابةِ إلى اللهِ تعالى بالاستغفار .. ما رواه أبو هريرةَ رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «**واللهِ إنِّي لأستَغفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ مِن سَبعينَ مَرَّةٍ**»[٣]... ليسَ بهذا فحسب، فقد بشَّرَ النَّبيُّ ﷺ بنعمةٍ

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٤١٨) وابن حبان (٨٢١)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(١٥٨٣)].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٤).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٠٧).

من أنعم الـمولى عزَّ وجلَّ لِمَن تدارك خطيئتَه بتوبةٍ واستغفار، فعن أبي أمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**إِنَّ صَاحب الشمال ليرْفَع الْقَلَم سِتّ سَاعَات عَن العَبْد الْـمُسلم الْـمُخطئ فَإِن نَدم واستغفر الله مِنْهَا أَلْقَاهَا عَنهُ وَإِلَّا كتبهَا وَاحِدَة**»[1].. فهل بعدَ هذا الفضلِ من فَضلٍ؟ وهل بعد هذه الـمنَّةِ من منَّةٍ؟ فللهِ الـحمدُ والشُّكرُ على نعمةِ الإسلام.

ومن بشائر الـمُصطفى ﷺ في اغتنام صالـح الأعمال: قولُه في فضل الوضوءِ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّة الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[2]... وهذا ولا شكَّ مَغنَمٌ عظيمٌ سهلٌ يسيرٌ على مَن يسَّرَه اللهُ تعالى له.

ومما بَشَّرَ به الرَّسولُ ﷺ نساءَ الـمؤمنينَ: ما حدَّث به أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا صَلَّت الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَاب الْجَنَّة شَاءَتْ**»[3]، فهذه البشارةُ العظيمةُ والتي حريٌّ بالـمرأةِ الـمسلمةِ اغتنامُها لتنعمَ بالرِّضا والسَّعادةِ في الدُّنيا والـمَغفرةِ والنَّعيمِ في الآخرة.

وبعدَ هذه الرِّحلةِ القَصيرةِ في جَنباتِ بعضِ النَّفَحاتِ الرَّبانيّةِ والتي بَشَّرَ بها اللهُ تعالى عبادَه، ودعا الـحبيبُ محمَّدٌ ﷺ أمتَه إلى اغتنامِها .. نسألُ الـمَولى جلَّت قدرتُه أن يُوفِّقَنا للعَملِ بها وسائرَ إخوانِنا الـمسلمينَ، وأخَواتِنا الـمُسلماتِ .. وهذه البشائرُ وأمثالُها كثيرةٌ في سنَّةِ الـمُصطفى ﷺ والتي يَجِبُ على الـمسلمِ أن يَغتنِمَها قبلَ تغيُّرِ الأحوالِ والـمآل.

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الـمعجم الكبير (٧٧٦٥)، [«صحيح الـجامع»(٢٠٧٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٤).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ١٩١) من حديث عبد الرحمن بن عوف، وابن حبان (٤١٦٣) من حديث أبي هريرة [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣١)].

ثالثاً: اجتناب الأعمالِ التي تؤدي إلى العذابِ والهلاكِ

لقد اهتمَّتِ التَّعاليمُ الإسلاميّةُ بمُجملِها بالأمرِ بأداءِ صالحِ الأعمالِ والبُعدِ عن سيِّئِها، ولهذا فقد حذَّرَ المَولى عزَّ وجلَّ عبادَه منها ولو كانت في ظاهِرِها العملُ الحسنُ. فإن قَبولَ العملِ مقرونٌ بالنِّيةِ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف]... وقد ذكرَ القولَ الإمامُ القرطبيُّ رحمَه الله تعالى مفصِّلاً ذلك بقولِه: (الأمرُ فيه مسألتان: **الأولى**: فيه دلالةٌ على أن من النّاسِ مَن يَعملُ العملَ وهو يَظنُّ أنه مُحسِنٌ وقد حَبِطَ سعيُه، والذي يُوجبُ إحباطَ السَّعيِ إما فسادُ الاعتقادِ أو المُراءاةُ والمرادُ هنا الكُفرُ.. **والثانيةُ**: والمعنى أنهم لا ثوابَ لهم وأعمالُهم مُقابَلةٌ بالعَذابِ، فلا حسنةَ لهم تُوزَنُ في موازينِ القيامةِ، ومَن لا حَسنةَ له فهو في النّارِ)(١).

والآياتُ في هذا الأمرِ كثيرةٌ وقد حذَّرَ منها المَولى عزَّ وجلَّ خلقَه بألا يَقَعوا فيها فتُسبِّبَ لهم الحسرةَ والنَّدامةَ أولاً ثم العذابَ ثانياً .. أما ما جاءَ على لسانِ المُصطفى ﷺ في هذا، فسَنأتي على ذكرِ بعضِه بإذنِه تعالى.

إن المأمولَ من العبادِ اجتنابُ كلِّ ما من شأنِه إيقاعُهم بالذَّنبِ والمَعصيةِ حتى لا يَستحِقّوا بها العذابَ، ومن رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه أن أرسلَ إليهم رسولاً من أنفسِهم يُبيِّنُ لهم محاسنَ الأعمالِ ويُحذِّرُهم من سيِّئِها. قالَ عزَّ وجلَّ في صفةِ الذين سيَرحَمُهم: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ**

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (١١/ ٦٥-٦٦) بتصرف.

﴿لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف] .. فمُتابعتُه ﷺ واجبةٌ على جميعِ البَشرِ، بل جَعَلَ اللهُ تعالى مَن عصاه مُوقِعاً لنفسِه في العذابِ والـخُسرانِ في الدُّنيا والآخرة، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»(١).

ليسَ هذا فحَسْب؛ فقد بَشَّرَ اللهُ تعالى مَن آذاه بالهَلاكِ والـخُسرانِ في الـحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ. قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب]، وقد يكونُ الإيذاءُ مَقرونًا بالعَملِ وإن كانَ صاحبُه من أهلِ الصَّلاةِ فعن السّائبِ بن خلّادٍ رضي الله عنه قال: إنَّ رَجُلاً أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِى الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إليه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَغَ: «**لاَ يُصَلِّى لَكُمْ**». فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّىَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ «**نَعَمْ**». وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّكَ آذَيْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(٢).

والـمرادُ بإيذاءِ اللهِ تعالى ما يَقعُ من العبادِ من عظائمِ الأمورِ، وأكبرُها الشِّركُ باللهِ تعالى. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ،**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٦٩).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨١)، وابن حبان (١٦٣٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨)].
وقال الإمام القرطبي الـمحدِّث رحمه الله تعالى: (معناه أي الإيذاء يخاطبني من القول -أو الفعل- بما يتأذى من يجوز في حقه التأذي، والله منزه عن أن يصل إليه الأذى، وإنما هذا من التوسع في الكلام. والـمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله) نقلا عن «فتح الباري» (٨/ ٧٣٩) رقم (٤٨٢٦).

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١)، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**قالَ اللهُ تعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ، مَنْ أَشْرَكَ بي كانَ قَليلُهُ وَكَثيرُهُ لَهُ**»(٢).. فهذا التَّحذيرُ من النَّبيِّ ﷺ يدلُّ دلالةً واضحةً على سوءِ العاقبةِ، وهو في واقعِ الأمرِ إيذاءٌ للعَبدِ من نفسِه فهو الـخاسرُ أولاً وآخراً.

ومما يُسبِّبُ العذابَ والهلاكَ ما يقومُ به بعضُ النَّاسِ من انتهاكٍ لمحارم الله تعالى في غياب الآخرين، فعن ثوبانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا**»(٣)، فهؤلاء الـمُعتَدونَ اعتقَدوا بأن اللهَ تعالى لا يَعلمُ سرَّهم وجهرَهم فوقَعوا في محارمِ اللهِ تعالى فأذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ صالـحَ أعمالِهم جزاءً لعملِهم السَّيِّءِ.

ولو تفكَّرنا في عاقبةِ الظُّلم لوجَدناه من مُحبطاتِ الأعمالِ، لقولِه عزَّ وجلَّ في الـحديثِ القُدسيِّ: -«**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا** »(٤)، وقد عدَّ النَّبيُّ ﷺ الظُّلمَ من مُسبِّباتِ الهلاكِ في الدُّنيا قبلَ الآخرة، فعن أبي أمامةَ الـحارثيِّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) **صحيح**: رواه الطيالسي (٢٥٥٩). انظر «صحيح الأحاديث القدسية» للصبابطي (٢٧-٢٨).

(٣) **صحيح**:رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٣٢)، [«السلسلة الصحيحة»(٥٠٥)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»[١]، ومما يُوضِّحُ المرادَ باليَمينِ في حديثِ أبي أمامَة ما حدَّثَ به القاسمُ بنُ عبدِالرَّحمنِ رضي الله عنه مُرسَلاً عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**مَنْ قَطَعَ رَحِماً أو حَلَفَ على يمينٍ فاجرةٍ، رأى وبالَهُ قبلَ أنْ يَموت**»[٢]. وهذه ولا شكَّ أعمالٌ مُحبِطةٌ للحسناتِ ومُذْهِبةٌ لها وموجبةٌ للعقابِ في الحياةِ الدُّنيا قبلَ الآخرة.

وفيما يَتعلَّقُ بالأعمالِ المُهلكةِ والتي حذَّرَ منها المُصطفى صلى الله عليه وسلم إيذاءُ الآخرينَ لا سيَّما الجيرانَ سواءً بالأفعالِ أو الأقوالِ وإن كان المؤذي من أهلِ الصَّلاةِ والصِّيام والصَّدقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ فلانةَ يُذكَرُ من كثرةِ صلاتِها وصيامِها وصدقتِها غير أنّها تُؤذي جيرانَها بلسانِها؟ قال: «**هِيَ في النّارِ**» قال: يا رسولَ اللهِ، فإن فلانةَ يُذكَرُ من قلّةِ صيامِها وصدقتِها وصلاتِها وإنها تَصدَّقُ بالأثوارِ من الأَقِطِ ولا تؤذي بلسانِها؟ قال: «**هيَ في الجَنَّةِ**»[٣].

أما ما أخبَرَ به الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم من أن أكثرَ أهلِ النّارِ من النِّساءِ فهو لما يَقعن فيه من الأعمالِ المُهلكةِ للحَسناتِ فمن تلكَ الأعمالِ قولُه صلى الله عليه وسلم: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ**»[٤].. والمرادُ من الحديثِ أن على الزَّوجةِ أن تكونَ غايةً في الوفاءِ وحُسنِ العشرةِ معَ زوجِها، فلا يَحلُّ لها أن تَطلُبَ الفِراقَ من زوجِها من دونِ سببٍ يُوجبُ الطَّلاقَ أو علةٍ تُحتِّمُ الفِراقَ .. أما

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٧).

(٢) **صحيح**: البيهقي في «السنن» (١٠/ ٣٥)، [«صحيح الجامع»(٦٤٧٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن حبان (٥٧٦٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٨٧)، وأبو داود (٢٢٢٦)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٢٠١٨)].

إذا كَرِهَته فلها أن تُخالِعَه: أي أن تَردَّ عليه مهرَها ثم يُطلِّقُها تطليقةً واحدةً. وهذا الـخُلعُ وقعَ في عهدِ الـمصطفى ﷺ عندَما خالَعتْ جميلةُ بنتُ أُبيٍّ زوجَها ثابتَ بن زيدٍ رضي الله عنهما فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»(١).

ولعلَّ من أغربِ الأعمالِ الـمُحبطةِ للحَسناتِ والتي قصَّها النَّبيُّ ﷺ على أصحابِه بعدَ رؤياه لها: ما جاءَ في حديثِ سَمُرةَ بنِ جُندَبٍ رضي الله عنه الطَّويلِ حيثُ قالَ: قالَ لنا -يعني رسولَ الله ﷺ- ذاتَ غداةٍ إنه «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ ؟ قَالَ: قَالاَ: لِي انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ – قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ – قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ – قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ – حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: – أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِى النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٢٧٣).

عَلَى شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا - قَالَ: - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ قَالَ قَالاَ لِي انْطَلِقِ انْطَلِقْ. قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا - قَالَ: - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا قَالَ قَالاَ لِي انْطَلِقِ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ - قَالَ: - قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلاَءِ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ. - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ. - قَالَ: - قَالاَ لِي: ارْقَ فِيهَا. قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ - قَالَ: - قَالاَ لَهُمُ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ. قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ -قَالَ: - قَالاَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ -قَالَ: - قَالاَ: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ. قَالاَ: أَمَّا الآنَ فَلاَ، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ قَالَ: قَالاَ لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ

فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ....»[1].

إن الـمتأملَ في هذه الرُّؤيا التي رآها الـمُصطفى ﷺ ليَلمَسُ مَدى الـخُسرانِ الذي خَسرَه أولئكَ الـمُعذَّبونَ وإن كانوا من الـمُسلمِينَ. فالـمُسلِمُ الكيِّسُ الفَطِنُ هو الذي يَعرفُ ما يضرُّه فيَبتعدُ عنه كما قالَ صاحبُ سرِّ النَّبيِّ ﷺ حذيفةُ بن اليمانِ حيثُ قال: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي)[2].

ولولا الإطالةُ والـمللُ لتَناولنا أكثرَ من ذلكَ فيما يَدخلُ تحتَ اجتنابِ الأعمالِ التي تُؤدِّي بالـمسلمِ إلى العذابِ والهلاكِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن أرادَ الاستزادةَ فعليه بكتبِ الزُّهدِ والكتبِ التي تكلَّمت عن الكبائرِ[3]، ففيها ما يُغني إن شاءَ اللهُ تعالى.

رابعاً: بثُّ البشرى لأصحابِها دونَ كذبٍ أو مزاحٍ أو مبالغةٍ

لقد ميّز الكريمُ الرَّحمنُ تباركَ وتعالى أُمةَ محمّدٍ ﷺ بالصِّدقِ فيما غير آيةٍ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٤٧).
غـداة: الصبح، ابتعثاني: أيقضاني أو أرسـلاني، فيثلغ: ويشـدخ وهو كسر الـشيء الـمجوف، فيتهدهده: يتدحرج، بكلوب: خشـبه في رأسـها عقافة من حديد، فيشرشر: يقطعه شقا وتمزيقا، شدقه: جانب الفم، لغط: الصوت الـمرتفع أو الـجلبة، ضوضوا: ارتفعت أصواتهم بالصراخ والعويل، يفغر فاه: يفتح فمه، فيلقمه: يرمي الـحجر بفمه، الـمرآة: الشـكل أو الـمنظر، يحشـها: يوتدها أو يجمع ما تفرّق من حطبها، يسعى حولها: يهتم وبعثني، والـمراد الإسراع في الـحركة في خدمتها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) انظر: «كتاب الزهد» لابن أبي الدنيا، و«الـجواب الكافي لمَن سـأل عن الدواء الشـافي» لابن قيم الـجوزية، و«١٠٠ كبـيرة مـن كبريـات الذنـوب» لمحيي الديـن عبدالـحميد، و«كتـاب الكبائر» للحافـظ الذهبي، و«كتاب الكبائر» للإمام الـمجدد محمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله جميعاً-.

في كتابه العزيز، بل وأصبحَ شعاراً لهم لا يَفكُّ ولا يحيدُ عنه إلا متعالٍ أو مُعتَدٍ، فالإخبارُ عن الوقائع عندَ المسلمينَ الأصلُ فيه الثبتُ[(١)]. فمن هنا كانَ بثُّ البشائرِ لأصحابها من أصدقِ النُّقولِ إليهم. لذا لا ينبغي أن يَكذِبَ أو يَمزَحَ أو يُبالغَ مَن عندَه بُشرى لأخٍ له، وهذا داخلٌ في بابِ صدقِ المَحبّةِ في الله تعالى؛ فالمُحبُّ لأخيه لا يُمكنُ أن يخدَعه حتى في أخبارِه بالبِشارةِ، لهذا كانَ كثيراً ما يُبشِّرُ اللهُ تعالى عبادَه على لسانِ رسولِه ﷺ في مواطنَ كثيرةٍ؛ منها قولُه ﷺ في فضلِ أعمالِ الحجِّ وبيانها وعظيم البَشائر فيمن أدركَ الوقوفَ بعرفةَ، حيثُ قالَ ﷺ لَمن جاءَ يسألُ: «.. **فَإِذَا وَقَفَ بعرَفَةَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا، اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَإِنْ كَانَ عَدَدَ قَطْرِ السَّمَاءِ وَرَمْلِ عَالِجٍ**»[(٢)]، فما أكرمَ اللهَ تعالى وأجزل نعماءَه على عبادِه بهذه البشارةِ العظيمةِ.

ومن بشائرِ المُصطفى ﷺ لهذه الأمةِ ما كانَت في حقِّ المُنفقينَ في سبيلِ الله تعالى عموماً؛ كالمُنفقينَ في الجهادِ وغيره، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ، -كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ- أَيْ فُلُ[(٣)] هَلُمَّ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَاكَ الَّذِي لاَ تَوَى[(٤)] عَلَيْهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[(٥)].. إن المتأملَ في هذا الحديثِ ليَلمَسُ الفَضلَ العظيمَ

(١) المراد: رجلٌ ثبت، أي: متثبت في أموره، ورجلٌ ثبت إذا كان عدلاً ضابطاً، والجمع أثبات. انظر: «الموسوعة الفقهية» (١٥/ ٩-١٠) تحت مصطلح (ثبوت).

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان (١٨٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٥٥)].
والمراد بقوله ﷺ: «**ورمل عالج**» أي: الكثير المتراكم بعضه فوق بعض، وهو دلالة على كثرة الذنوب والآثام.

(٣) فلْ: أي فلان.

(٤) لا توى: أي لا هلاك.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧).
والمراد بقوله ﷺ: «**زوجين**» قيل: فرسان أو بعيران، وقيل: درهم أو دينار – والزوج على الأثنين ويقع على الواحد. وقوله: «**أي فُل هلم**» معناه أي فَرخِّمَ، وقيل: فل لغة فلان في غير النداء والترغيم، وقوله رضي الله عنه: «**لا توى عليه**» أي: لا هلاك عليه. انظر «شرح الإمام النووي على مسلم» (٧/ ١٠٤).

في أجرِ الإنفاقِ في وجوهِ الـخيرِ حتى لو أنفقَ أيَّ غرضَينِ أو حاجتَينِ يَحتاجُهما الـمُجاهدُ أو الـمحتاجُ خالصةً بهذه الصَّدقةِ نيَّتُه لتَحقَّقَت فيه بشارةُ الـمحبوبِ ﷺ من دعوتِه من قبلِ الـملائكةِ (خزنتِها) أهلَ الـجنّةِ يومَ القيامةِ ولو كانَ البذلُ قليلاً. ومن هنا عَقَلَ الصِّديقُ أبو بكرٍ ﷛ هذهِ الـمسألةَ فقدَّمَ مالَه كلَّه في سبيلِ اللهِ تعالى، فدَعا له النَّبيُّ ﷺ وبشَّرَه بقولِه: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**» أي: من أولئك الذينَ يُدعَونَ من أبوابِ الـجنَّةِ كلِّها.. نعم، هذه هي بشائرُ الـخيرِ التي يَجِبُ بثُّها لأصحابِها دون مبالغةٍ أو تهويلٍ.

ولعلَّ حادثةَ متابعةِ سراقةَ بنِ مالكٍ ﷛ للنَّبيِّ ﷺ وصاحبِه أبي بكرٍ الصِّديقِ ﷛ أثناءَ الهجرةِ وكيفَ أنه لما أرادَ الوصولَ إليهما غاصَت فرسُه في الرِّمالِ، وما كانَ من بشارةِ الـمُصطفى ﷺ له إن هو آمنَ أن يُلبسَه سوارَي كسرى لدليلٌ واضحٌ على صدقِ نبوَّتِه ﷺ وبثِّ البشارة دونَ مبالغةٍ أو كذبٍ، وقد تحقق ذلك له ﷛، فعَنِ الْحَسَنِ ﷛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷛ أُتِيَ بِفَرْوَةِ كِسْرَى فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفِى الْقَوْمِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فَجَعَلَهُمَا فِى يَدِهِ فَبَلَغَا مَنْكِبَيْهِ، فَلَـمَّا رَآهُمَا فِى يَدَيْ سُرَاقَةَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ فِي يَدِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَكَ ﷺ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِكَ وَعَلَى عِبَادِكَ، وَزَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ نَظَرًا مِنْكَ لَهُ وَخِيَارًا، اللهمَّ إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷛ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ مَالاً فَيُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِكَ وَعَلَى عِبَادِكَ فَزَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ نَظَرًا مِنْكَ لَهُ وَخِيَارًا، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَكْرًا مِنْكَ بِعُمَرَ ثُمَّ

قَالَ يتلو قولَه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون][1].

ولعلَّ من أحبِّ البشائرِ التي تلقّاها المسلمينَ في المدينةِ النَّبويَّةِ ما كانَت عَقِبَ غزوةِ بدرٍ الكُبرى، وذلك عندما أرسلَ المُصطفى ﷺ عبدَاللهِ بنَ رواحةَ رضي الله عنه بشيراً إلى أهلِ العاليةِ وأرسلَ زيدَ بنَ حارثةَ رضي الله عنه إلى أهل السّافلةِ مُبشِّرينَ بنصرِ اللهِ تعالى على كفّار قريش وقتْل صناديدِها[2]، فعن أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما قال: (إنَّ النَّبيَّ ﷺ خَلَّفَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما عَلَى رُقَيَّةَ بنت رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ رضي الله عنها أَيَّامَ بَدْرٍ، فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه عَلَى الْعَضْبَاءِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبِشَارَةِ، قَالَ أُسَامَةُ: فَسَمِعْتُ الْهَيْعَةَ[3] فَخَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَدْ جَاءَ بِالْبِشَارَةِ، فَوَاللهِ مَا صَدَّقْتُ حَتَّى رَأَيْنَا الأُسَارَى، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه بِسَهْمِهِ)[4].. فهذه البِشارةُ والتي بثَّها الصَّحابيّانِ عبدُاللهِ بنُ رواحةَ وزيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنهما بثّاها دونَ مبالغةٍ أو زيادةٍ فقد أفرَحا أهلَ المدينةِ من المسلمينَ وأغاظا أعداءَ اللهِ تعالى من المنافقينَ واليَهود، وهذه حالُ بشائرِ أهلِ الإيمانِ والتُّقى والصّلاح.

ومن بشائره ﷺ لِمن صبرَ على الابتلاءِ في الدُّنيا واحتسَبَ الأجرَ والثَّوابَ عند اللهِ تعالى: قولُ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**»[5] .. والمُرادُ هنا الصَّبرُ على فقدِ نعمةِ البَصرِ؛ فسمَّاها عزَّ وجلَّ الحبيبتَين وسمّاها الكريمتَين كذلك ... فعن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ**

(١) رواه البيهقي في «السنن» (٦/ ٣٥٨).
(٢) صناديدها: أكابر القوم أو زعمائها.
(٣) الهيعة: هي صرخة الفزع.
(٤) رواه البيهقي في «السنن» (٩/ ١٧٤).
(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٥٣).

عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الـجَنَّةَ»[١] .. فليَهنأ مَن صَبَرَ واحتسبَ على فقدهِ لعينَيه، فما أكرَمها من بشارةٍ وما أعظمَه من أجرٍ وإكرام .. فهذه جملةٌ من البَشائرِ التي بثَّها الـمَولى عزَّ وجلَّ ورسولُه الكريمُ ﷺ وبعضٌ من بشائرِ الصّحابةِ ﷺ أجمعينَ في الدُّنيا طريقاً وثواباً إلى الـجنَّةِ بإذنِ اللهِ تعالى ..

وهنا بعضٌ من البشائرِ التي بثَّها اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ إخباراً بعظيمِ الأجرِ والثوابِ في الآخرةِ -أكرمَنا اللهُ تعالى بها وإيّاكم أجمعينَ .. آمين- فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا جَمَعَ اللهُ الْعِبَادَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ نَادَى مُنَادٍ: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. فَيَلْحَقُ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى النَّاسُ عَلَى حَالِهِمْ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ ذَهَبُوا وَأَنْتُمْ هَا هُنَا؟ فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ إِلَهَنَا فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ فَيَقَعُونَ سُجُوداً وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾** [القلم] **يَبْقَى كُلُّ مُنَافِقٍ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ يَقُودُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»**[٢].

ومن أجَلِّ وأكرمِ وأنفسِ البشائرِ التي بثَّها اللهُ تعالى لعبادِه الـمؤمنينَ على لسانِ خيرِ البريَّةِ محمّدِ بن عبداللهِ ﷺ، ما جاءَ عن صهيب ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»**[٣]... أَوَليسَت هذه أكرمَ البشائرِ؟ جعلَنا اللهُ تعالى وإيّاكم من أهلِها، والنِّعمُ والبشائرُ في هذا البابِ

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٠)، وأبو يعلى (٤٢٣٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٣٤٤٨)].

(٢) **إسناده قوي**: رواه الدارمي في «السنن» (٢٨٠٣)، [«السلسلة الصحيحة»(٥٨٣)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨١).

كثيرةٌ، فمَن أرادَ الاستزادةَ فعليه بالصِّحاحِ والسُّننِ وشروحِها ففيها ما يُغني إن شاءَ اللهُ تعالى.

أما بثُّ البُشرى لأهلِ الزَّيغ والضَّلالِ فهي ما بين تحذيرٍ وترهيبٍ بعذابِ اللهِ تعالى ووعيدٍ به، فمنها على سبيلِ الـمثالِ ما حدَّثَ به سعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه عن الأعرابيِّ الذي سألَ النَّبيَّ ﷺ عن أبيه وحالِه بعدَ موتِه قبلَ الإسلام، فقالَ له ﷺ: «**في النَّارِ**»، قالَ: فَكَأَنَّ الأَعْرَابيَّ وَجدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَيْنَ أَبُوكَ؟، قَالَ: «**حَيْثُ مَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**»، قَالَ: فَأَسْلَمَ الأَعْرَابيُّ بَعْدُ ذَلِكَ فَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ[1].. وقد أجملَ القولَ في هذا الـحديثِ العلاّمةُ الألبانيُّ رحمَه اللهُ تعالى بقولِه: (وفي هذا الـحديثِ فائدةٌ هامّةٌ أغفلَتها عامّةُ كتبِ الفقهِ، ألا وهي مشروعيّةُ تبشيرِ الكافرِ بالنّارِ إذا مرَّ بقبرِه، ولا يَخفى ما في هذا التّشريعِ من إيقاظِ الـمؤمنِ وتذكيرِه بخطورةِ جُرمِ هذا الكافرِ؛ حيثُ ارتكبَ ذنباً عظيماً تَهونُ ذنوبُ الدُّنيا كلُّها تجاهَه ولو اجتمعَت، وهو الكفرُ باللهِ عزَّ وجلَّ والإشراكُ به .. وإن الـجهلَ بهذه الفائدةِ مما أودى ببعضِ الـمُسلمِينَ إلى الوقوعِ في خلافِ ما أرادَ الشّارعُ الـحكيمُ منهم، فإننا نَعلَمُ أن كثيراً من الـمُسلمينَ يأتونَ بلادَ الكفرِ لقضاءِ بعضِ الـمصالـحِ الـخاصّةِ أو العامّةِ، فلا يَكتفونَ بذلكَ حتى يَقصِدوا زيارةَ بعضِ قبورِ من يُسمُّونَهم بعظماءِ الرِّجالِ من الكفّارِ ويضعونَ على قبورِهم الأزهارَ والأكاليلَ ويَقفونَ أمامَهم خاشعينَ مَحزونينَ مما يُشعِرُ برضاهم عنهم وعدمِ مقتِهم إيّاهم، معَ أن الأسوةَ الـحسنَةَ بالأنبياءِ عليهم السَّلامُ تَقضي خلافَ ذلكَ كما في هذا الـحديثِ الصَّحيحِ، واسمَع قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٥٧٣)، [«السلسلة الصحيحة»(١٨)].

﴿وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة:٤]، هذا موقفُهم منهم وهم أحياءُ، فكيفَ وهم أمواتٌ؟!(١).

ومن البشائرِ التي بثَّها الـمُصطفى ﷺ لأولئكَ الذين يأمرونَ النّاسَ بالبرِّ وينسَونَ أنفسَهم بالعملِ والامتثال، فعن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ؟!**»(٢). فلْيَحْذَرْ أولئكَ الـمُتقوِّلونَ من الوُقوعِ في مُستنقَعِ القَولِ دونَ العمل.

فبعدَ هذه النَّماذج والتي انتقَيناها مما بثَّ بشائرَها الباري عزَّ وجلَّ ورسولُه الصّادقُ الـمَصدوقُ ﷺ بخَيرِها لأهلِ الـخيرِ والإيمانِ، وبمُرِّها لأهلِ الكفرِ والضَّلالِ أو من بابِ التَّحذيرِ والتَّرهيبِ لمَنْ فرَّطَ في جَنبِ الله تعالى ... فإن العِبَرَ والفوائدَ منها كثيرةٌ، وهي واضحةٌ جليّةٌ لكلِّ ذي لُبٍّ وعقلٍ، فمَن أخَذَ بما جاءَ فيها من خيرٍ فقد استبرأَ لدينِه وعملِه، ونَعِمَ بالأجرِ والثَّوابِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن فَرَّطَ وغَضَّ الطَّرفَ عن سيِّئِها فقد خابَ وخَسرَ صالـحَ أعمالِه، ونالَ من اللهِ عزَّ وجلَّ سوءَ العاقبةِ في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ .. فالكَيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِلَ لآخرتِه قبلَ دنياه.

خامسًا: ما ينبغي أن يكون عليه المُبشَّر بعد البشارة

إن نِعمَ الـمَولى عزَّ وجلَّ على عبادِه الصّالـحينَ كثيرةٌ، قالَ عزَّ وجلَّ في محكمِ كتابِه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للعلامة الألباني رحمه الله تعالى (١/ ٢٦-٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٢٠)، وأبو يعلى (٣٩٩٢)، وعبد بن حميد (١٢٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٢٣٢٧)].

[النحل]، ولعلَّ من أماراتِ نُزولِ النِّعم على العبادِ الفرحَ والاستبشارَ، وذلكَ على اختلافِ الـمللِ والنِّحلِ باختلافِ النِّعم وصنوفِها؛ فأهلُ الكُفرِ والعصيانِ يَفرحونَ بالـخيرِ والنِّعمةِ وإن كانَت في حقيقتِها إما استدراجاً لهم أو إتماماً لصلاحِ أعمالِهم الدُّنيويّةِ دونَ سلامةٍ للعقيدةِ أو إيماناً بعقيدةِ البعثِ والنُّشورِ، مِصداقاً لقولِ الـمُصطفى ﷺ لعمرَ بن الـخطّابِ رضي الله عنه عندَما رأى آثارَ حاشيةِ الـحصيرِ على جنبِ النَّبيِّ ﷺ فَبَكَى فقَالَ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلنا الآخِرَةُ**»(١).

فمن هذه الرِّوايةِ تَستبينُ لنا الأمورُ بأن أهلَ الإيمانِ أشدُّ فرَحاً وسروراً واستبشاراً بفَضلِ الـمُنعم عزَّ وجلَّ، ومن هنا نتساءل ما ينبغي أن يكونَ عليه مَنْ بُشِّرَ بنعمةٍ أو فضلٍ من اللهِ تعالى، وما الضَّوابطُ لذلك، وما حدودُ الفَرحِ والاستبشار؟!

لهذا فإنا سَنتناولُ ما يُمكنُ ذكرُه من أمورٍ ينبغي على الـمسلم الأخذُ بها عندَما يتَلَقّى خبراً مُفرحاً، مُستشهِدينَ بالأدلّةِ من كتابِ اللهِ تعالى وسنَّةِ الـحبيبِ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم أجمعينَ. ومن تلكَ الأمورِ ما يلي:

أ- التبسُّم وإظهار السرور:

وهي وإن كانَت من أيسرِ الأمورِ ظهوراً على مُحيَّا الـمُسلمينَ عموماً، وذلك بدعوةِ النَّبيِّ ﷺ أمته بذلكَ، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(٢).. بل كانَ ذلكَ من هديه ﷺ، فعن عبدِاللهِ بنِ الـحارثِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٧٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٧٢)].

ﷺ قال: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[١]، وقد صوَّر لنا أنسُ ﷺ ما كانَ عليه الـمُصطفى ﷺ بعدَ البشارةِ بقولِه: (بَيْنَما رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إذْ أَغْفَى إغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُوم**»[٢]، قالَ الإمامُ النَّوويُّ رحمَه الله تعالى في شرحِه للحديثِ: (إنّه إذا رأى التّابعُ من مَتبوعِه تبسُّماً أو غيرَه فيما يَقتضي حدوثَ أمرٍ يُستحَبُّ له أن يَسألَ عن سببِه ..)[٣].

وقد تكونُ البَشاشةُ والإشراقةُ سمةً ظاهرةً لِمن عَلِمَ خبراً فيه بشارةُ خيرٍ له أو لغَيرِه، فقد كانَ ذلكَ معَ بداياتِ بَعثةِ النَّبيِّ ﷺ وبالتَّحديدِ ما كان من أمرِ أمِّ الـمؤمنينَ خديجةَ بنتِ خويلدٍ ﵂ عندَما عَلِمَت بنزولِ الوَحيِ على الـمُصطفى ﷺ، وذهابَها إلى ابنِ عمِّها الصَّحابيِّ الـجليلِ ورقةَ بن نوفلٍ ﵁ فما كانَ منه بعدَما (جاءَ به جبريلُ من الوَحيِ -على محمَّدٍ بنِ عبدِالله ﷺ- فاستبشَرَ ورقةُ بنُ نوفلَ بهذا النَّبأ العظيم، وهذا الطّالع الكريم الذي أفنى زهرةَ عمرِه في البحثِ عنه، وتَحسُّسِ أخبارِه أيَّما استبشارٍ، وتَيقَّنَ صِدقَ ذلكَ الرّاهبِ الذي قالَ لزيدِ بن عمرو بنِ نُفَيلٍ حينَ التقى به هو، وزيدٌ في الـمَوصلِ حينَ خَرجا يَلتمسانِ الـملّةَ الـحَنيفيّةَ: (أما إن الذي تطلبُ سيَظهرُ بأرضِك، أو قالَ له: وقد خرَجَ بأرضِك،

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٤١)، وأحمد (٤/ ١٩٠)، [«مختصر الشمائل» (١٩٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٠٠).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ٩٧) تحت رقم (٤٠٠).

أو هو خارجٌ، فارجِع وصدِّقْهُ، وآمِنْ به)[١])[٢].. فهذه الأساريرُ التي تَغمرُ عبادَ اللهِ تعالى لهي دلائلُ على رحمةِ الـمُنعمِ عزَّ وجلَّ، فالأولى بَثُّ الانبساطِ في الوجوهِ قبلَ القلوبِ.

ب- بذلُ العطيةِ[٣] أو الهديةِ:

قالَ الـمَولى عزَّ وجلَّ في كتابِه العزيز: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن] مُلفِتاً أنظارَنا إلى ما ينَبغي أن يكونَ عليه الـمُبشَّرُ بعدَ البِشارةِ وإظهارِ الفرحِ والسُّرورِ بتَقديمِ ما تَجودُ به نفسُه منَ الـخَيرِ إن وُجدَ عندَ تلقِّيه البِشارةَ، وذلكَ تحقيقاً لقولِه ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»[٤]، وتكونُ الـمكافأةُ للمُبشِّرِ إما قولاً؛ كالثَّناءِ عليه أمامَ الآخرينَ أو الدُّعاءِ له بظهرِ الغيبِ، وإما فِعلاً؛ كتقديمِ العَطيّةِ أو الهَديّةِ أو الهبةِ له، والأفضلُ والأكملُ إيقاعُ الأمرَينِ معاً قولاً وفعلاً.

وقد فَعلَ ذلك الـمُصطفى ﷺ عندَما أعطى عبدَاللهِ بنَ أنيسٍ رضي الله عنه العصا جزاءَ تبشيرِه بقَتلِ الـمُعتدي خالدٍ الهُذليّ، حتى يَعرِفَه بها يومَ القيامةِ عندما يتَخصَّرُ بها.

وقد استعملَ النَّبيُّ ﷺ أسلوبَ العَطيّةِ القَوليّةِ في البِشارةِ الـمَعنويّةِ للصَّحابيِّ عكّاشةَ رضي الله عنه عندَما قال: ادعُ اللهَ أن أكونَ منهم، فقالَ ﷺ: «**اللهمَّ**

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢/ ٦٧).

(٢) نقلاً عن دراسة وبحث بعنوان «ورقة بن نوفل في بطنان الـجنة» (ص١٠٢)، د. عويد بن عياد الـمطرفي، وهي دراسة قيمة ننصح باقتنائها وقراءتها.

(٣) العطية: هي التمليك في الـحياة بغير عوض وهي تشمل الهبة والهدية والصدقة.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٩٩)، [«صحيح الترغيب» (٨٥٢)].

اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»[١]. وقد فعلَت مثلَ ذلكَ أمُّ الـمؤمنينَ أمُّ حبيبةَ رضيَ اللهُ عنهما عندَما بشَّرَتها خادمةُ ملكِ الـحبشةِ أصحمةَ النَّجاشيِّ رضي الله عنه[٢].

وكذلكَ فعلَ الصَّحابيُّ كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه عندَما تيبَ عليه وجاءَه البشيرُ أعطاه رداءَه .. وكان لا يَملِكُ غيرَه، وتصدَّقَ بسهمِه من غزوةِ خيبرَ فَرحاً بتوبةِ اللهِ تعالى عليه[٣].

أما عن قَبولِ العَطيّةِ أو الهَديَّةِ. قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميّةَ رحَمه اللهُ تعالى: (ما أعطاه الرَّجلُ لصاحبِه مِن غيرِ سؤالٍ جازَ له أخذُه، فإن أعطاه مالاً يَستحِقُّه عليه، فإن أخذَه وكافأَه عليه فقد أحسنَ) ا.هـ.[٤].. لذا كانَ تقديمُ العَطيّةِ أو الهديّةِ من الـمُبشَّرِ أمراً مُستحباً تَطييباً لنفسِ الـمُبشِّر.

ج- السجودُ شكراً لله تعالى:

لقد كرَّمَنا الـمُنعِمُ الوهّابُ عزَّ وجلَّ بآلاءَ كثيرةٍ ومكارمَ جليلةٍ تُوجِبُ على الـخلقِ شكرَها وتقديرَها، فمن صورِ شكرِ اللهِ تعالى على أنعمِه الـحمدُ والثناءُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة] .. فهذا الثَّناءُ والـحمدُ دليلُهُ على ردِّ بعضِ جمائلِ الـمُنعم عزَّ وجلَّ، ومن صورِ شكرِ اللهِ تعالى كثرةُ العبادةِ والقُربى له، قالَ عزَّ من قائلٍ: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء]، ولعلَّ من أقربِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢١٦).

(٢) رواه الـحاكـم (٦٧٧٠)، والزبـير بن بكار في «الـمنتخب مـن كتاب أزواج النبي» (١٦)، «الإصابة» لابن حجر (١٢/ ٢٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٤) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٢٥/ ٩٤).

الدَّلائلِ على هذا الشُّكرِ ما أخبرَ به الـمُغيرةُ بنُ شعبةَ ﷺ بقولِه: قامَ النَّبيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

ومن صورِ شكرِ اللهِ تباركَ وتعالى السُّجودُ له طاعةً وامتثالاً. قال عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)**﴾ [الحج]، ولنا في رسولِ الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ فإنَّ سجودَ الشُّكرِ قد وردَ من فعلِ الـمُصطفى ﷺ وسنأتي على بيانِه لاحقاً .. وإخباراً لما سيكونُ في أصعبِ أحوالِ الـخلائقِ يومَ الـمَحشرِ، كما وردَ في حديثِ أبي سعيدٍ الـخُدريِّ ﷺ في صفةِ الـمَحشَرِ إلى أن قالَ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتُه وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِى مَا شَاءَ الله ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِى فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيه**»(٢)، والشاهدُ أن النَّبيَّ ﷺ يَسجدُ شكراً لله تعالى على تفضُّلِه على عبدِه محمَّد ﷺ في هذه الـمَكرمةِ دونَ غيرِه من الـخَلائقِ، وتعظيماً لقَدْرِه عزَّ وجلَّ فهو أهلُ الثَّناءِ والـمَجدِ تباركَ وتعالى .. لهذا فإنَّه (يُستحَبُّ سجودُ الشُّكرِ عندَ تجدُّدِ النِّعَمِ، واندفاعِ النِّقَمِ، وبهِ قالَ الشَّافعيُّ، وإسحاقُ، وأبو ثورٍ، وابنُ الـمنذرِ)(٣)، وقالَ الإمامُ النوويُّ عن مذهبِ العلماءِ في سجودِ الشُّكرِ: (مذهبُنا أنه سنّةٌ عندَ تَجدُّدِ نعمةٍ أو اندفاعِ نقمةٍ، وبه قالَ أكثرُ العلماءِ، وحكاه ابنُ الـمنذرِ عن أبي بكرٍ، وعليٍّ وكعبِ بن مالكٍ ﷺ، وعن إسحاقَ، وأبي ثورٍ، وهو مذهبُ اللَّيثِ وأحمدَ وداودَ.. قالَ ابنُ الـمنذرِ: وبه أقول) ا.هـ.(٤).

(١) متفق عليه: رواه البخاري(١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).
(٣) «الـمغني» لابن قدامة (٢/ ٣٦٣) مسألة رقم (٨٧٦) كتاب الصلاة - باب سجود التلاوة سنة مؤكدة.
(٤) «الـمجموع» للإمام النووي (٤/ ٧٨).

وأما ما وقَعَ من سجودِ الشُّكرِ في أحوالِ الـمُصطفى ﷺ، فقد أخبرَ أبو بكرةَ رضي الله عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلهِ عزَّ وجلَّ)(١). وهذا الأمرُ -سجودُ الشُّكرِ- فعلَه الـمصطفى ﷺ في أحوالٍ مُتفرِّقةٍ في حياتِه، وكذلكَ أصحابُه رضوانُ اللهِ تعالى عليهم كما سيأتي ذكرُه، بإذنِ اللهِ تعالى.

فقد سَجَدَ النَّبيُّ ﷺ شُكراً للهِ تعالى عندَما نزلَت عليه سجدةُ ص، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في سجدةِ ص: «**سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا**»(٢). ونحنُ معاشرَ الـمسلمينَ نَسجدُها كذلكَ اقتداءً بالـمُصطفى ﷺ فقد أُمِرنا باتِّباعِه ﷺ.

ومن مواطنِ سجودِه ﷺ ما رواه البراءُ رضي الله عنه قال: بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى أهلِ اليمنِ يدعوهُم إلى الإسلامِ فلم يُجيبوه، ثم إنّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ وأمرَه أن يُقفِلَ خالدًا ومَن كانَ معَه إلا رجلاً ممن كانَ معَ خالدٍ أحبَّ أن يُعقِّبَ معَ عليٍّ رضي الله عنه فليُعقِّب معه. قالَ البراءُ: فكنتُ ممن عَقَّبَ معه. فلما دنَونا من القَومِ خَرَجوا إلينا، فصلّى بنا عليٌّ رضي الله عنه وصفَّنا صفًّا واحداً، ثم تقدَّمَ بينَ أيدينا فقرأَ عليهم كتابَ رسولِ اللهِ ﷺ فأسلَمَت همدانُ جميعاً، فكتبَ عليٌّ رضي الله عنه إلى رسولِ اللهِ ﷺ بإسلامِهم، فلما قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ الكتابَ خرَّ ساجدًا، ثم رَفَعَ رأسَهُ فقال: «**السَّلاَمُ عَلَى هَمْدَانَ**»(٣).

وإن الـمُتأمِّلَ في سيرِ الصَّحابةِ ليَلمَسُ اتِّباعَهم للنَّبيِّ ﷺ في فعلِ سجودِ الشُّكرِ، فهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه يحدِّثُ عن حادثةِ تخلُّفِه عن حضورِ معركةِ تبوكٍ

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٧٧٤)، وابن ماجه(١٣٩٤)، [«صحيح ابن ماجه» (١١٤٣)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٩٥٧)، والطبراني في الكبير (١٢٣٨٦)، [«صحيح الـجامع» (٣٦٨٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي (٢/ ٣٦٩) وقال: (أخرج البخاري صدر الـحديث عن إبراهيم بن يوسف فلم يسقه بتمامه وسجود الشكر في تمام الـحديث صحيح على شرطه).

هو ومرارةُ بنُ الرَّبيع العَمريُّ وهلالُ بن أميّةَ الواقفيُّ رضي الله عنهم أجمعينَ، وكيفَ أنّ الذينَ تخلَّفوا أخذوا يَعتذِرونَ ويَتعلَّلونَ في عدمِ حضورِهم للمَوقعةِ .. ثم كيفَ كانَ حالُ الصَّحابيِّ الـجليلِ كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه وجفاءِ أصحابِه له وكيفَ أنه أرسَلَ زوجتَه إلى أهلِها، وأعظمُ من ذلكَ جفاءُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم له مع تعرُّضِه لمواطنِ جلوسِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأماكنِ تواجدِه ومرورِه .. إلى أن ضاقَت عليهم الأرضُ بما رَحُبَت، ثم كيفَ فُتِنَ الفتنةَ العظيمةَ من قِبلِ ملكِ الرُّوم حينَ قالَ له بأن صاحبَك -يعني النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم- قد جفاكَ -أي هجركَ- فالـحَق بنا نُواسِك ونُكرِمْكَ. إلا أن كعباً رضي الله عنه قال: فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاء. فتيَمَّمتُ بها التَّنُّورَ فَسَجَرتُهُ بها.

والشّاهدُ من هذه الـحادثةِ: قولُ كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَباحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ! قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ قَالَ فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ.

قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: «**لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سُرَّ

اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ[1] .. وقد أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ قوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة].

فهذه الحادثةُ القاسيةُ على كعبِ بنِ مالكٍ وصاحبَيه إنما هي أُنموذجٌ صادقٌ لقوّةِ إيمانِهم وتمسُّكِهم بالإيمانِ الخالصِ، كما وأن فيها جوازَ السُّجودِ شُكراً للهِ تعالى على نِعَمِه، وكذلك جوازُ الهبةِ من المُبشَّرِ إلى المُبشِّرِ، وجوازُ الصَّدقةِ لوجهِ اللهِ تعالى سروراً بفضلِه عزَّ وجلَّ ..

واستمرَّ الصحابةُ رضي الله عنهم باتباعِ هديِ المصطفى ﷺ في سجودِ الشكرِ فقد وردَ فعلُها من الخليفةِ الأولِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فعن محمدِ بنِ عبيدِاللهِ عن رجلٍ قال: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه لَـمَّا أَتَاهُ فَتْحُ الْيَمَامَةِ سَجَدَ»[2].. فهكذا يكونُ الاتباعُ لسُنَّةِ المُصطفى ﷺ. فالمسلمونَ مأمورونَ باتِّباعِه ﷺ، فالمأمولُ منهم اتِّخاذُه ﷺ قدوةً وأسوةً حسنةً لمَن أرادَ السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) رواه البيهقي (٢/ ٣٧٢)، وابن أبي شيبة (٣٧٥٦)، وقال الألباني في «الإرواء» (٢/ ٢٣٠): رجاله ثقات رجال الشيخين غير الرجل الذي لم يسم.

وكذا فعلَ الـخليفةُ الثّاني عمرُ بنُ الـخطّابِ رضي الله عنه عندَما تحقَّقَتْ أُمنيتُه في موافقةِ أمِّ الـمؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها في أن يُدفَنَ معَ صاحبَيه رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه حيثُ إنهما دُفِنا في غرفتِها، فعن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه قالَ: أنا آخرُكم عَهداً بعمرَ، دخلتُ عليهِ ورأسهُ في حِجرِ ابنهِ عبدِالله. فقال له: ضع خدي بالأرض. قال: فهَل فَخِذي والأرضُ إلا سواءٌ؟ قال: ضَع خدِّي بالأرضِ لا أمَّ لكَ في الثّانيةِ أو الثّالثةِ، وسمعتُه يقولُ: وَيلي وويلَ أمِّي إن لم تَغفِرْ لي، حتى فاضَتْ نفسُه(١).

والشاّهد هو وضعُ خدِّه رضي الله عنه على الأرضِ رغبةً بما عندَ اللهِ تعالى من الفَضلِ العميم، ومنه موافقةُ أمِّ الـمؤمنينَ أن يُدفنَ معَ صاحبَيه، ورهبةً من أليم عذابهِ عزَّ وجَل. فإنَّ السجودَ ووَضعَ الـخدِّ بالأرضِ سواءٌ، وهو تمريغُ الوجهِ والأنفِ بالتُّرابِ تذلُّلاً للمَلكِ العلاّمِ تبارَك وتعالى.

أما الـخليفةُ الثّالثُ عثمانُ بنُ عفّانٍ رضي الله عنه فقد كانَ يُكثِرُ من قراءةِ القُرآنِ والصَّلاةِ والصِّيام، والسُّجودِ للهِ عزَّ وجلَّ عندَما حُصِرَ من قِبَلِ الـخارجينَ عليه والـمُعتدينَ إلى أن مَنَّ اللهُ تعالى عليه بالبِشارةِ وقُربِ الشَّهادةِ، فعن مسلم أبي سعيدٍ مولى عثمانَ رضي الله عنهما قال: إن عثمانَ أعتقَ عشرينَ مملوكاً، ودعا بسراويلَ فشَدَّها عليه ولم يَلبَسْها في جاهليّةٍ ولا إسلام، وقال: إني رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ البارحةَ في الـمنام، ورأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ، وإنهم قالوا لي: «**اصْبِر، فَإنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا القَابِلة**» ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقُتِلَ وهو بينَ يدَيه(٢).. ومع ذلكَ فقد تكفَّلَ

(١) «صفة الصفوة» لعبدالرحمن أبي الفرج ابن الـجوزي (١/ ٢٩١).

(٢) رواه أحمد (١/ ٧٣) من حديث زوجته نائلة رضي الله عنها بلفظ: (ليَقْتُلَنَّني القوم .. إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي وأبو بكر وعمر، فقالوا: تُفْطِرُ عندنا الليلة)، وانظر: «العواصم من القواصم» للقاضي أبي بكر العربي (ص١٣٨-١٣٩)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨١-٣٨١).

الباري عزَّ وجلَّ بالانتقام ممَّن قتلوه، وقد وقعَت قطرةٌ من دمِه على قولِه تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، قال نافعُ بنُ أبي نُعَيم: بَصُرَت عينيَّ الدَّمَ على هذه الآيةِ(١)، وبذلكَ تحقَّقت فيه بشارةُ الـمُصطفى ﷺ بأنه مُبشَّرٌ بالـجنّةِ على بلوى تصيبُه، كما وإن لاعتكافه على قراءةِ القرآنِ شكراً للهِ تعالى على نعمةِ الإخبارِ بالرُّؤيا بدُنوِّ أجلِه، فقد فَدَى أمتَه ورعيَّتَه وعَصَمَ دماءَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ من القَتلِ وضياعِ حُرمةِ مدينةِ الـمُصطفى ﷺ، فقدَّمَ روحَه ونفسَه فداءً لهم ولزَوجاتِ النَّبيِّ ﷺ، ولو أنه قَبلَ بالدِّفاع عنه لضاعَت حرمةُ الـمدينةِ النَّبويَّةِ ولَمّا وَصَلَ إلينا هذا الدِّينُ بتلكَ الإيمانيّاتِ والأحاديثِ والأمثلةِ الرّائعةِ عن فداءِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فهذا دَرسٌ لملوكِ الدُّنيا وحُكّامِ الشُّعوبِ ليتَعلَّموا كيفَ يَعصِمونَ دماءَ شعوبهم، لا ما نراهُ اليومَ من كثرةِ القتلِ والدَّمارِ بينَ الأممِ بسببِ فئةٍ قليلةٍ من النّاسِ أو الـمُتَنفِّذينَ .. فالـحمدُ للهِ على نعمةِ الإسلامِ والإيمانِ.

وقد فعلَ ذلكَ -سجودَ الشُّكرِ- الـخليفةُ الرّابعُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وذلكَ بعدَ أن فرغَ من قتالِه معَ الـخوارِجِ الـمارقينَ، فعَن طارق بنِ زيادٍ، قالَ: سارَ عليٌّ إلى النَّهروانِ فقتَلَ الـخوارجَ، فقالَ: اطلبُوا، فإن النَّبيَّ ﷺ قال: «**سَيَجِيءُ قَوْمٌ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ؛ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، سِيمَاهُمْ أَوْ فِيهِمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ مُخْدَجُ الْيَدِ، فِي يَدِهِ شَعَرَاتٌ سُودٌ، إِنْ كَانَ فِيهِمْ فَقَدْ قَتَلْتُمْ شَرَّ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ فَقَدْ قَتَلْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ**» قال: «**ثم إنا وجَدنا الـمُخدَّج. قال: فخرَرنا سجوداً، وخرَّ عليٌّ ساجداً معَنا**»(٢) .. وقد ذكرَ هذا الشّاهدَ أهلُ الفقهِ فيما يَتعلَّقُ بسُجودِ الشُّكرِ في مواطنَ متعدِّدة ذَكرنا منها سَلَفاً، والرَّجلُ

(١) تفسير «ابن كثير» (١/ ٢٤٧).

(٢) **حسن**: رواه أحمد(١/ ١٠٧)، [«إرواء الغليل» (٢/ ٢٣٠)]

الأسودُ الـمُخدَّجُ هو ذا الثُّدَيَّةِ[١] الذي ذكرَه النَّبيُّ ﷺ في حديثِه عن الـخوارجِ وأماراتِهم وعلاماتِهم، فمن حديثِ أبي سعيدٍ الـخُدريِّ رضي الله عنه الطويل قولُه ﷺ: «...آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»[٢].

والشّاهدُ من ذكرِ هذه الرِّواياتِ سجودُ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ وخلفائِه شكراً للهِ تعالى اقتداءً به وامتثالاً لأمرِه؛ فالأولى والأحرى للمُسلمِ إذا تلقّى خبراً مُفرِحاً أن يَخِرَّ للهِ ساجداً شاكراً، وكذا لو دَفَعَ اللهُ تعالى عنه مصيبةً أو نقمةً فليُبادِرْ إلى سجودِ سجدةٍ له عزَّ وجلَّ شُكراً، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

فائدة: في بيانِ بعضِ الأحكامِ والمسائلِ المُتعلّقةِ بسجودِ الشكرِ:

لما كانَت الـحكمةُ من سجودِ الشُّكرِ لحُدوثِ نعمةٍ على العبدِ الـمسلمِ؛ كقُدومِ غائبٍ أو ولادةِ مولودٍ أو نصرٍ على عدوٍّ أو تحصيلِ رزقٍ .. وقد يكونُ السجودُ شكراً للهِ تعالى لدَفعِ نقمةٍ؛ كنَجاةٍ من حريقٍ أو غرقٍ أو غيرِ ذلك، فإن (سجودَ الشُّكرِ حَسَنٌ، إذا وردَت لله تعالى على الـمرءِ نعمةٌ فيُستحَبُّ له السُّجودُ، لأن السُّجودَ فعلُ خيرٍ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [الحج:٧٧])[٣].. ومن هنا سنتناولُ بعضاً من الأحكامِ والـمسائلِ الـمُتعلِّقةِ في سجودِ الشُّكرِ أو دفعِ العَطيّةِ للمُبشِّرِ والتي تناولَها أهلُ العلمِ، أوردتُها كما ذكَروها معَ بعضِ التَّصرُّفِ

---

(١) ذو الثدية: هو رجلٌ من الـخوارج الذين قتلهم علي رضي الله عنه يوم النهروان. ويقال له: الـمخدج، وكان في يده مثل ثدي الـمرأة على رأسه حلمة مثل حلمة الثدي عليه شعرات مثل سبالة السنور، وقصته مشهورة ذكرها الإمام مسلم في «صحيحه» وأبو داود وغيرهما. انظر: «نيل الأوطار» للشوكاني (٣/ ١٣٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) «الـمحلى» لابن حزم (٥/ ١١٢).

خشيةَ الإطالةِ، ومنها ما يلي:

س: هل سجودُ الشُّكرِ مثلُ سجودِ التِّلاوةِ؟ وما الفَرقُ بينَهما؟

الـجواب: ليسا تماماً؛ فهما تَتَّفقانِ في الكيفيّةِ... وأما (مَا افترقَ فيهِ سجودُ التِّلاوةِ والشُّكر ففي أمرَين أحدهما: أن سجودَ الشُّكرِ لا يدخلُ في الصلاةِ بخلافِ سجود التلاوة، الثّاني: أن في جوازِه على الرّاحلةِ وجهَين، وسجودُ تلاوةِ الصّلاةِ يجوزُ عليها قطعاً)[١].

ومما اختلفَ فيه سجودُ التِّلاوةِ عن سجودِ الشُّكرِ ما قالَه (الشيخُ أبو حامدٍ والأصحابُ: اتَّفقَ أصحابُنا على تحريمِ سجودِ الشُّكرِ في الصَّلاةِ، فإن سجدَها فيها بطلَت صلاتُه بلا خلافٍ)[٢]، بعكسِ سجودِ التِّلاوةِ في الصَّلاةِ، فإنها مُستحَبّةٌ، وقيلَ بوجوبها.

س: لَمَن تُدفَعُ العَطيّةُ أو الـجُعْلُ إذا تقدَّمَ أكثرُ من مُبشِّرٍ؟

الـجواب: إذا ما جَعلَ أو خصص رجلٌ ما مكافأةً لمن يُبشِّرُه أولاً فإن (إجماعَ العلماءِ على أن البِشارةَ تَتحقَّقُ من الـمُخبرِ الأولِ منُفرداً أو معَ غيرِه، فإذا قالَ رجلٌ: مَن بشَّرني من عبيدي بكذا فهو حرٌّ، فبشَّرَه واحدٌ من عبيدِه فأكثَر، فإن أوَّلَهم يكونُ حرًّا)[٣].. و(يدلُّ على ذلك ما رُويَ أنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مرَّ بابنِ مسعودٍ وهو يقرأُ القرآنَ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَن أَحَبَّ أن يَقرأَ القُرآن غَضًّا طَرِيًّا كَما نَزَلَ فَلْيَقْرَأ بِقِرَاءةِ ابنِ أمِّ عَبْدٍ**»، فابتدرَ إليه أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما بالبِشارةِ، فسَبَقَ أبو بكرٍ عمرَ، فكانَ ابنُ مسعودٍ يقولُ: (بشَّرني أبو بكرٍ،

---

(١) «الأشباه والنظائر»، للإمام السيوطي (١/ ٥٢٠).

(٢) «الـمجموع»، للإمام النووي بتحقيق محمود مطرحي (٤/ ٧٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٣٨) في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، و«تفسير الفخر الرازي» (٢/ ١٤٦).

وأخبرَني عمرُ) رضي الله عنهم أجمعينَ)[١].

س: مما مرّ معنا سابقاً عرَفنا بأنه يُستحَبُّ إعطاءُ الـمُبشِّرِ شيئاً ما تَطييباً لنفسِه وتَقديراً لمحبَّتِه واهتمامِه بأمرِ الـمُبشَّرِ .. فهل يَجوزُ للمُبشِّرِ أن يَرُدَّ عطيّةَ أو هبةَ الـمُبشَّرِ عن طيبِ نفسٍ منه؟

الـجواب: إذا كانَ الأمرُ كما ذُكِرَ فإنه لا بأسَ بذلكَ ما دامَ الأمرُ جاءَ من قِبلَ الـمُبشِّرِ الذي تقدَّم بالبشارةِ وأخبرَ صاحبَها .. وإلا فإن الأصلَ في ذلكَ على الكراهيةِ لصاحبِ العَطيّةِ أو الهبةِ أن يَرجعَ فيها، بل وقالَ بعضُ العلماءِ بتَحريمِ الرُّجوعِ في العَطيّةِ أو الهبةِ[٢]، أما دليلُ جوازِ إرجاعِ العَطيّةِ للمُبشَّرِ من الـمُبشِّرِ: ما كان من أبرهةَ جاريةِ النجاشي رضي الله عنه ملكِ الـحبشةِ، فعن أمِّ الـمؤمنينَ أمِّ حبيبةَ رضي الله عنها قالت: فلما وصلَ الـمالَ أرسلتُ إلى أبرهةَ التي بشرتني. فقلت لها: إني كُنت أعطيتك يومئذٍ ولا مالَ بيدي، وهذه خمسون مثقالاً فخذيها، فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حُقاً -صندوقاً صغيراً من العاج أو الزجاج- فيه كلُّ ما كُنت أعطيتها، فردَّته عليَّ. وقالت: عَزَمَ عليَّ الـملكُ أن لا أرزأَك -لا أُنقِصُك- شيئاً، وأنا التي أقوم على ثيابه وذهبه، وقد اتبعتُ دينَ محمدٍ ﷺ وأسلمتُ للهِ، وقد أمرَ الـملكُ نساءَهُ أن يبعثن إليكِ بكلِّ ما عندَهُنّ من العِطرِ[٣]، والشّاهدُ

(١) «حاشية ابن عابدين» (٣/ ١١٢)، والـحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٧٠٦٧)، والـحاكم في «الـمستدرك» رقم (٥٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، والـمراد بقوله: فابتدر إليه، أي: أسرعا وتقدما لتبشيره.

(٢) بعد القبض لقوله ﷺ: «**العائدُ في هبَتِه كالكَلب يَقيءُ، ثُمَّ يَعُودُ في قِيئِه**» رواه البخاري برقم (٢٥٨٩)، ومسلم (بشرح النووي رقم ١٦٢٢)، وقال قتادة: ولا أعلم القيء إلا حراماً. انظر: «الفقه الـحنبلي الـميسر» ا. د وهبة الزحيلي (٣/ ٣٥٢) وفيه مسائل وأحكام، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، لسعدي أبو جيب (٢/ ١٠٩٢).

(٣) رواه الـحاكم (٦٧٧٠)، والزبير بن بكار في «الـمنتخب من كتاب أزواج النبي» (١٦)، و«الإصابة» لابن حجر (١٢/ ٢٦).

قَبولُ أمِّ حبيبةَ رضي الله عنها عطيَّتها.

س: هل لسجودِ الشُّكرِ شروطٌ؟ وما هي؟

الـجواب: قالَ أهلُ العلمِ: إنَّ لسجودِ الشُّكرِ شروطاً كشُروطِ سجودِ التِّلاوةِ[١]، ومنها ما يلي:

(صَرَّحَ الشّافعيّةُ والـحنابلةُ بأنَّ سجودَ الشُّكرِ يُشترَطُ له ما يُشترطُ للصَّلاةِ، أي من الطَّهارةِ، واستقبالِ القبلةِ[٢] وسترِ العَورةِ واجتنابِ النَّجاسةِ .. وعلى القولِ بجوازِ سجودِ الشُّكرِ عندَ الـمالكيّةِ، فالـمشَهورُ أنه يَفتقِرُ إلى طهارةٍ على ظاهرِ الـمذهبِ، واختارَ بعضُ الـمالكيّةِ عدمَ افتقاره إلى ذلك، قال الـحَطّاب: لأن سرَّ الـمَعنى الذي يؤتى بالسُّجودِ لأجلِه يزولُ لو تراخى حتى يَتطهَّر. واختارَ ابنُ تيميّةَ أنه لا يُشترطُ الطَّهارةُ لسجودِ الشُّكرِ[٣])[٤]، والراجحُ أنه لا تُشترطُ الطَّهارةُ في سجودِ الشكْرِ؛ لأن الـمُبشَّرَ قد يكونَ بعيداً عن مكانِ الطَّهارةِ وإن أرادَ التَّطهُّرَ بعدَ سماع البشارةِ لذَهبَت ماهيّةُ الشُّكرِ لنِعمةِ الـمُنعم عزَّ وجلَّ عليه ولفَتَرت وقَلَّت هَمَّتُه في السُّجودِ له تباركَ وتعالى .. أما استقبالُ القبلةِ إن عَرفَ مكانَها، وسَترُ العورة، واجتنابُ النَّجاسةِ فهي شَرطٌ[٥] .. واللهُ تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) انظر: «الـمغني» لابن قدامة (٢/ ٣٦٣)، و«الـمبدع» لابن مفلح (٢/ ٣٢)، و«الـموسوعة الفقهية» (٢٤/ ٢١٤) مصطلح (سجود التلاوة).

(٢) «طبقات الشافعية» لابن بكر بن أحمد بن قاضي شهبة (٢/ ٣١٥) تحقيق د. الـحافظ عبدالعليم خان.

(٣) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/ ١٦٦) كتاب الصلاة - باب سجود التلاوة.

(٤) «الـموسوعة الفقهية» (٢٤/ ٢٤٨) مصطلح (سجود الشكر).

(٥) لا دليل على هذه الشرطية.

س: أيُّهما أتمُّ وأفضلُ السجودُ شكراً منْ قيامٍ أو قعودٍ؟

الـجوابُ: وَرَدَ هذا السُّؤالُ على شيخِ الإسلام ابنِ تيميّةَ رحمَهُ اللهُ تعالى فأجابَ: (بل سجودُ التلاوةِ قائماً أفضلُ منه قاعداً، كما ذكرَ ذلكَ من ذكرَه مِن العلماءِ من أصحاب الشَّافعيِّ وأحمدَ وغيرِهما، وكما نُقِلَ ذلكَ عن عائشةَ، بل وكذلكَ سجودُ الشُّكرِ .. وهذا ظاهرٌ في الاعتبارِ، فإن صلاةَ القائمِ أفضلُ من صلاةِ القاعدِ)[١].

س: ما كيفيةُ السُّجودِ شكراً للهِ تعالى؟

الـجوابُ: (سجودُ الشُّكرِ تُعتبَرُ في صفاتِه صفاتُ سجودِ التِّلاوةِ خارجَ الصَّلاةِ، وإذا أرادَ أن يسجدَ للشُّكرِ للهِ تعالى يَستقبلُ القِبلةَ، ويُكبِّرُ ويَسجُدُ سجدةً يَحمَدُ اللهَ تعالى فيها ويُسبِّحُه. ثم يكبِّرُ تكبيرةً أخرى ويَرفَعُ رأسَهُ. قال في «الفتاوى الهنديّة»: كما في سجود التلاوة، وقد قالَ في سجودِ التلاوةِ: يُكبِّرُ للسُّجودِ ولا يَرفعُ يدَيهِ. وإذا رَفَعَ من السُّجودِ فلا تشهُّدَ عليه ولا سلامَ .. وسجودُ الشُّكرِ يكونُ على الأعضاءِ السَّبعةِ، وأن ذلكَ ركنٌ فيه، ويَجبُ فيه التَّكبيرُ والتَّسبيحُ، إلا أنه ليسَ فيه تشهُّدٌ ولا جلوسٌ له، وأنه تُجزئُ فيه تسليمةٌ واحدةٌ»[٢].

وقالَ ابنُ مُفلح الـحَنبليُّ: (يقولُ في سجودِ الشُّكرِ: سبحانَ ربِّيَ الأعلى وجوباً، وإن زادَ ما وردَ فحَسنٌ)[٣].[٤]

س: أيُّهما أفضلُ إظهارُ سجودِ الشكرِ أم إخفاؤُهُ؟

الـجوابُ: أوضحَ العُلماءُ رحمَهم اللهُ تعالى هذه الـمسألة بقولِهم: (بأن مَن سَجَدَ لنعمةٍ أو اندفاعِ نقمةٍ لا تَتعلَّقُ بغيرِ السَّاجدِ يُستحَبُّ إظهارُ السُّجودِ، وإن

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٣/ ١٧٣)، و«الـمبدع في شرح الـمقنع» لابن مفلح (٢/ ٣٢).
(٢) «الـموسوعة الفقهية» (٢٤/ ٢٤٨-٢٤٩) مصطلح (سجود الشكر).
(٣) «الـمبدع»، لابن مفلح (٢/ ٣٢).
(٤) فائدة: اعلم أنه لا يشترط في سجود الشكر ما يشترط في الصلاة لأنه ليس صلاة.

سَجَدَ لبليّةٍ في غيره وصاحبُها غيرُ معذورٍ كالفاسق، يُظهرُ السُّجودَ فلعلَّهُ يَتوبُ، وإن كانَ معذوراً كالزَّمِنِ ونحوِه[١] أخفاه لئلا يتأذّى به، وعبَّر عن ذلكَ الـحنابلةُ بأن السُّجودَ لرُؤيةِ الـمُبتلى إن كانَ مُبتلى في دينِه سَجَدَ بحضورِه أو بغيرِ حضورِه، وقال: «الـحَمْدُ للهِ الذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ» وإن كانَ البلاءُ في بدنِه سَجَدَ وقالَ ذلك، وكتمَه عنه، ويسألُ اللهَ العافية، وقد قالَ إبراهيمُ النَّخَعيُّ: كانوا يكرهونَ أن يَسألوا اللهَ العافيةَ بحضرةِ الـمُبتلى) ا.هـ[٢].

س: ما ردُّ أهلِ العلمِ لِمَن ردَّ سُجودَ الشكرِ ولم يأخذْ ولم يَعملْ بهِ؟

الـجواب: لقد تبايَنَتْ ردودُ العلماءِ رحمهمُ اللهُ تعالى في هذِه الـمسألةِ؛ فمنها على سبيلِ الـمثالِ لا الـحصرِ:

١- قالَ الإمامُ ابنُ قيمِ الـجوزيةِ: (ولا أعلمُ شيئاً يرفعُ هذِه السننَ والآثارَ مع صِحتِها وكَثرتِها غيرُ رأيٍ فاسدٍ، وهو أن نعمَ اللهِ سبحانه وتعالى لا تزالُ واصلةً إلى عبدِه، فلا معنى لِتخصيصِ بعضها بالسجودِ. وهذا من أفسدِ رأيٍ وأبطلِه، فإن النعمَ نوعان: مُستمرةٌ، ومُتجددةٌ، فالـمستمرةُ شُكرُها بالعباداتِ والطاعات، والـمتجددةُ شُرِعَ لها سُجودُ الشُّكرِ، شُكراً للهِ عليها، وخُضوعاً له وذُلاًّ، في مُقابلةِ فرحةِ النعمِ وانبساطِ النفسِ لها، وذلكَ من أكبرِ أدوائها..)[٣].

٢- قالَ الإمامُ ابنُ حزمٍ رحمهُ اللهُ تعالى: (ولم يأتِ عنه نهيٌ عن النبيِّ ﷺ -يعني

(١) أي: لا يسجد شكراً أمام مَن ابتلاه الله تعالى بعاهة مستديمة أو مرض ظاهر حتى لا تتأثر نفسه ويكفي ذكر دعاء رؤية الـمبتلى في صدره فقط.

(٢) «الـموسوعة الفقهية» (٢٤/ ٢٥٠) مصطلح (سجود الشكر)، والـحديث الـمرفوع رواه الترمذي (٣٤٣١) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في «صحيح سنن الترمذي» (٣٦٧٣)، والبزار في «مسنده» برقم (١٢٤)، وحسّنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٨).

(٣) «أعلام الـموقعين عن رب العالـمين» لابن قيم الـجوزية (٢/ ٤١٠) مسألة (٢٩٦) سجود الشكر.

سجودَ الشُّكرِ- وليسَ لأحدٍ أن يقولَ: إنَّ هذا السُجودَ إنما هو سُجودُ الصلاةِ خاصةً، ومَن أقدمَ على هذا فقد قالَ على رسولِ الله ﷺ ما لم يَقُلْهُ، بلْ كَذَبَ عليه، إذ أخبرَ عن مُرادِه بالغيبِ والظنِّ الكاذبِ. وقد رُوينَا عن أبي بكرٍ الصّديق: أنه لّما جاءهُ فَتحُ اليمامةِ: سَجَدَ، وعن عليٍّ بن أبي طالب: أنه لّما وجدَ ذو الثُّدْيَةِ في القتلى: سَجَدَ، إذْ عَرَف أنّه في الـحزبِ الـمُبْطِلِ، وأنهُ هو الـمُحِقُّ، وصحَّ عن كعبٍ بن مالك في حديثِ تخلُّفهِ عن تبوكٍ: أنه لّما تيبَ عليه: سَجَدَ، ولا مخالفَ لهؤلاءِ مِنَ الصحابةِ أصلاً، ولا مَغْمَزَ في خبرِ كعبٍ ألْبَتَّةَ)[١].

٣- قالَ العلامةُ الصنعانيُّ رحمهُ اللهُ تعالى: (وفي معناهُ سجودُ كعبٍ بن مالكَ لما أنزلَ اللهُ توبتَهُ، فإنه يدلُّ على أنَّ شرعيةَ ذلكَ -يعني سجودَ الشكرِ- كانت مقرّرةً عندهم)[٢].

٤- قالَ الإمامُ ابنُ قدامةَ رحمهُ اللهُ تعالى: (وسجودُ الصدّيقِ حينَ فتحَ اليمامةَ، وعليٍّ حينَ وجدَ ذا الثدية. ورُوِيَ عن جماعةٍ مِنَ الصحابةِ، فثبتَ ظهورهُ وانتشارهُ فبطلَ ما قالوه، وتركهُ تارةً لا يدلُّ على أنه ليسَ بمستَحبٍ، فإنّ الـمستَحَبَ يُفعلُ تارةً، ويُترَكُ أُخرى)[٣].

وبعدَ هذِه الأدلةِ والأقوالِ في حقِّ من ردَّ سجودَ الشكرِ فليُعلمْ بأنَّ (الفقهاءَ فرَّقوا بينَ صلاةِ الكسوفِ وصلاةِ الاستسقاءِ بأنَّ هذهِ صلاةُ رهبةٍ، وهذهِ صلاةُ رغبةٍ، فصلواتُ اللهِ وسلامهُ على مَن جاءَتْ سُنته وشريعَتُه بأكملِ ما جاءت به شرائعُ الرُّسلِ

(١) «الـمحلى» لابن حزم (٥/ ١١٢) مسألة (٥٥٧) بتصرف.
(٢) «سبل السلام شرح بلوغ الـمرام» للإمام الصنعاني (١/ ٣٢٣).
(٣) «الـمغني» لابن قدامة (٢/ ٣٦٣) مسألة (٨٧٦).

وسننهم وعلى آلهِ)[1] .. وما أجملَ وأنفعَ وأحكمَ قولَ الناظمِ حيثُ قالَ:

فَلو كانَ يَستغني عنِ الشكرِ ماجدٌ لعِـزَّةِ مُلْـكٍ أو عُلُـوِّ مَـكانِ
لَمـا نَـدَبَ اللهُ العبـادَ لشـكرِهِ فقالَ: اشـكروني أَيُّهَا الثَّقَلانِ[2]

فهذا ما كانَ من بعضِ الـمسائلِ والأحكامِ الـمتعلقةِ بسجود الشكرِ، قدّمناها تسهيلاً وتيسيراً لكَ عزيزَنا القَارئَ.

د- الالتزامُ بالعملِ الصالحِ ونبذُ العملِ الطالحِ[3]:

إنّ الإنسانَ بفطرتِه مجبولٌ على فعلِ الـخيرِ والصالـحِ ابتداءً، وهذا أمرٌ لا خلافَ عليه، والأعمالُ بخواتيمِها، فربّما يَعملُ العبدُ عملاً صالـحاً فلا يُختَمُ له به، فحريٌّ بالعبدِ الصالـحِ إذا ما بدأَ بعملٍ مُبشَّرٌ به صاحبهُ برضوانِ اللهِ تعالى أن يُتمَّهُ ويُداومَ عليه ويُحسنَ النيّةَ في العملِ بهِ، فقد يكونُ له به حُسنُ خاتمةٍ في آخرِ نهارِه أو ختامِ أجلِهِ في هذهِ الـحياةِ الدنيا، فعن حُذيفةَ بن اليمانِ رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ في مرضِه فرأيته يهمُّ بالقعودِ وعليٌّ عندُه يَميدُ -يعني مِنَ النُعاسِ- فقلتُ: يا رسول اللهِ ما أرى عليًّا إلا قد ساهركَ في ليلتِه هذِه أفلا أدنو منكَ؟ قالَ: «عليٌّ أولَى بِذَلِكَ مِنْكَ»، فدنا منه عليٌّ فسانَدَه، فسمعتُه يقولُ: «**مَنْ خُتِمَ لهُ بإطعام مسكينٍ مُحتسِباً على الله عز وجل دخل الـجنة، منْ خُتِمَ له بصوم يوم مُحتسباً على الله عز وجل دخل الـجنة، من خُتِم له بقولِ لا إلهَ إلا اللهُ مُحتسَباً علَى اللهِ عزَّ وجلَّ دَخَلَ الـجَنَّةَ**»[4].

(١) «أعلام الـموقعين» لابن قيم الـجوزية (٢/ ٤١١).
(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٣٤).
(٣) رجل طالـح أي: فاسد لا خير فيه وهو عكس الصالـح. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٥٣٠).
(٤) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٦٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٤٥)].

وقد صنَّفَ أهلُ العلمِ كُتباً أوضحوا فيها بعضَ علاماتِ حسنِ الـخاتمةِ لما ذكرنا فَذكروا منها على سبيلِ الـمثالِ لا الـحصرِ:

١- الـموتُ بعرقِ الـجبينِ، لقوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الـجَبِينِ**»[١].

٢- الـموتُ يومَ الـجمعةِ أو ليلةَ الـجمعةِ.

٣- الـموتُ على طاعةٍ؛ كأن يموتَ في صلاةٍ أو مُحرِماً في حجٍّ أو عمرةٍ أو صيامٍ ... الـخ.

٤- ثناءُ جماعةٍ مِنَ الـمسلمينَ عليهِ بالـخيرِ؛ لقولِه ﷺ عندما مرّت جنازةٌ وقد أثنى أصحابُه رضوانُ الله تعالى عليهم عليها بخيرٍ، ومرت أخرى فذكروها بالشرِّ فقالَ ﷺ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[٢].

٥- الـموتُ في ساحاتِ الـجهادِ لنصرةِ دينِ الله تعالى.

٦- الـموتُ بالطاعونِ أو داءِ البطنِ أو الغَرَقِ أو الهَدْمِ أو الـحَرْقِ أو الـمرأةُ في الولادةِ. أو بالسُّلِّ لقولِه ﷺ: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ، وَالْحَرْقُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالسُّلُّ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ**»[٣].

٧- الـموتُ في سبيلِ الدفاعِ عن الـمالِ أو العِرضِ أو النفسِ لقولِه ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٩٨١)، والنسائي (١٨٢٨)، وأحمد (٥ / ٣٥٧، ٣٦٠)، [«أحكام الـجنائز»(٣٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٦١٥٥)، [«أحكام الـجنائز» (٤٠)].

مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١].

أما العلاماتُ التي تُرى على الـميتِ بعدَ وفاتِه تدلُّ على حسنِ الـخاتمةِ إن شاءَ اللهُ .. فمنها:

أ- الابتسامةُ على الوجهِ.

ب- ارتفاعُ السبابةِ (كالتشهُّد).

ج- الوَضاءةُ والإشراقةُ والفرحةُ بالبشرى التي سَمِعَها مِنْ ملكِ الـموتِ وأثرِها على وجهِه[٢].

فهذه بعضٌ من علاماتِ حُسنِ الـخاتمةِ للعبدِ الـمسلمِ نسألُ الـمولى عزَّ وجلَّ أن يرزقنا إيَّاها جميعاً، إنه هوَ السميعُ الـمجيبُ.

تنبيهٌ:

بعدَ هذهِ الرحلةِ الـمتراميةِ الأطرافِ والتي تناولنا فيها ما يتعلقُ بما ينبغي على الـمُبشَّرِ فِعلهُ حالَ البِشارةِ الـخيِّرةِ، وبعدَها .. لا يفوتُنا أن ننبهَ على بعضِ الـمحاذيرِ والأخطاءِ التي يقعُ فيها بعضُ الـمُبشَّرينَ بالأمورِ الـخيريةِ .. فقد تكونُ النتيجةُ بعدَها الندامةَ والـخسرانَ، ومنها على سبيلِ الـمثالِ ما يلي:

أ- تقديمُ سببِ النِّعمِ للمخلوقِ دونَ الـخالقِ عزَّ وجلَّ:

يعمدُ بعضُ الـمُبشَّرينَ جهلاً منهم في الوقوعِ بالشركِ -والعياذُ باللهِ- وذلكَ لسوءِ التقدير في الألفاظِ أو حتى الـمعتَقدِ أو النوايا؛ كأن يَصرِفَ أحدُهم تلكَ البشارةَ إلى سنةٍ كونيةٍ أو مصادفةٍ لظرفٍ ما، أو تقديرِها لجهودِ مخلوقٍ ما. وهذا

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، [«أحكام الـجنائز» (٤٢)].

(٢) للاستزادة انظر: «أحكام الـجنائز وبدعها» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى (ص٣٤-٤٣)، و«الوجازة في تحضير الـجنازة» لعبدالرحمن الغيث (ص٤٨-٥٠) وغيرها.

حدثَ كلُّه في حياةِ النبيِّ ﷺ، وأولُها عندما كسفتِ الشَّمسُ في عهدِ النبيِّ ﷺ وفَزِعَ إلى الصَّلاةِ فقالوا: إنَّ الشمسَ كُسفت لموتِ إبراهيمَ ابن النبيِّ ﷺ فأجابهم: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**»(١).

كذلكَ كَمَن كانَ يقولُ بأنَّ الناسَ أُمطروا بقربِ أو مصادفةِ النجم الفلانيِّ أو الـمُرتَفع الـجويِّ الفلانيِّ أو اصطكاكِ الغيوم الفلانيةِ. فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَـمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(٢).

وإنَّما ذلكَ كلُّه بتقديرِ العزيزِ الـحكيم حيثُ قالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف].. فليس بعد هذا الـحق إلا الضلال فاعتبروا يا أولي الألباب؟!

وأما قولُ بعضِ الناسِ: (لولا اللهُ وفلان لَمَا تحققت لنا هذهِ البشارةُ) وهذا خطأٌ عظيمٌ إذا اعتقدهُ العبدُ فقد يُدخِلهُ ذلكَ في شَرَكِ الشِّرْكِ باللهِ تعالى فقد أخبرَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(١٠٤١)، ومسلم (٩٠٤).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

عمرُ بن الـخطابِ ﷺ أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1].

فإذا كانَ هذا الأمرُ في حقِّ سيدِ وَلَدِ آدم ﷺ فما حالُ الذينَ مِن دونه يتشدّقونَ بذلكَ .. فليحذرْ هؤلاءِ مِنَ الوقوعِ في هذهِ الـمخالفةِ الشرعيةِ العظيمةِ.

وقد تكونُ هناكَ أعظمُ مِن تلكَ الـمخالفاتِ وهي ما يعتقدُه البعضُ مِنَ الـمُبشَّرينَ إما جَهلاً كذلكَ منهم أو اعتقاداً راسخاً بأنَّ الوليَّ الفلانيَّ أو صاحبَ القبرِ الفلانيِّ هو مَن حقَّقَ لهم هذهِ البشائرَ .. فهذهِ كلُّها مِنَ ألاعيبِ الشيطانِ الرَّجيم وأعوانِه مِنَ الإنسِ والـجنِّ الذينَ يُوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرفَ القولِ غروراً .. فربّما يتقرّبونَ إليهم بذبحِ القرابينِ أملاً في تحقيقِ الـمزيدِ مِنَ البشائرِ الـمزعومةِ أو استمرارِها اعتقاداً منهم .. وما هي في واقعِ الـحالِ إلا استدراجٌ مِنَ الـمولى عزَّ وجلَّ، وبالتالي يتحققُ فيهم قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام]، وهذا العملُ هو الشركُ الصريحُ الذي أخبَر عنه الـمولى عزَّ وجلَّ في مُحكم كتابه على لسانِ صاحبِ الـجنة بعدَ أن كَفَرَ وأشركَ باللهِ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف] .. فتحققَ وعيدُ اللهِ تعالى فيه بالـخسرانِ في الدنيا قبلَ الآخرةِ، وهذا مآلُ كلِّ مَن يَكفُرُ بنعمِ اللهِ تعالى، ومَن يُشركُ به عزَّ وجلَّ.

ب- استبدالُ تلكَ البشائرِ الـخيِّرةِ بمعصيةٍ:

إنَّ أفدحَ الـخسائرِ في حياةِ العبدِ لا تكونُ في فقدانِ عزيزٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو

(١) **صحيح**: رواه البخاري(٣٤٤٥).

سلطانٍ .. وإنما تلك التي يَفْقِدُ معها العبدُ رصيدَه مِنْ سائرِ أعمالِه الصالـحةِ من صلواتٍ وزكواتٍ وسائرِ الأعمالِ التعبُّديةِ، فالـمُبشَّرُ بعملٍ صالـحٍ ثُمَّ بعدَ فترةٍ مِنَ الزمنِ يتحولُ عنه إلى خلافة مِنَ الأعمالِ الشِّركية كما مرَّ معنا آنفاً.. فهذِه هِيَ أعظمُ الـخسائرِ ليست في حياتِه الدُّنيا فحسبْ بلْ وآخرتِه كذلكَ. قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

فلا شيءَ أعظمُ مِن خسارةِ الـحسناتِ وفناءِها فقد أخبرَ الـحبيبُ الـمحبوبُ ﷺ عن ذلكَ بقولِه: «**اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرَ، ....، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ...**»[(١)]، وليسَ الأمرُ مُقتصراً على الدعاءِ في السفرِ وإنما هو أعمُّ، فهذِه من إخبارياتِه ﷺ في خسائرِ الدنيا، أما عن خسائرِ العبدِ عند الـحسابِ فهي أعظمُ وأنكى. فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[(٢)].

فالـمسلمُ العاقلُ الفَطِنُ هو مَن يحرصُ على ما جَمَعَهُ في حياتِه الدنيا من أُجورٍ وحسناتٍ وأعمالٍ صالـحةٍ تنفعهُ يومَ الوقوفِ أمامَ الواحدِ القهّارِ، الذي لا تَخفى عليه خافيةٌ عزَّ وجلَّ، ويأتي وليسَ لأحدٍ عندهُ مظلمةٌ ... وإلا فإنَّ الـخاسرَ الكبيرَ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٣٩)، والنسائي (٥٥١٣)، وأحمد (٣/ ٨٣)، [«صحيح الترمذي» (٢٧٣٥)] وقال الترمذي: ويروى: بالـحور بعد الكون أيضاً. ومعنى قوله: الـحور بعد الكون أو الكور -وكلاهما له وجه- يقال: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو الطاعة إلى الـمعصية، وإنما يعني من رجوع شيء إلى شيء من الشر.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

مَنْ أخذَ ببشائرِ الـمصطفى ﷺ وجَمَعَها ثمَّ وزعَّها على مَن ظَلَمهم وأكلَ حُقوقهم .. فليحذر العبدُ الـمسلمُ!

ج- التصفيقُ(١) أو التصفيرُ(٢) أو الصراخُ والعويلُ(٣):

يُعرفُ الـمرءُ برجاحةِ العقلِ مِنْ عَدمهِ بمراقبةِ تصرفاتهِ لا سيَّما في أدقِّ الأحوالِ، ومِن تلكَ الظروفِ وقتَ تلقّيهِ الأنباءَ سواءً كانت خيرًا وسروراً فيلجأْ إلى التصفيقِ أو التصفيرِ مُعبِّراً بها عن سرورهِ وسعادتهِ بذلكَ الـخبرِ وهذهِ الأمورُ منهيٌّ عنها في الشريعةِ الإسلاميةِ بلْ عَدَّها أهلُ العلمِ مِنْ أمورِ الـجاهليةِ، فقد كانَ الناسُ يطوفونَ حولَ الكعبةِ ويصفرونَ ويصفقونَ ليشغلوا الـمؤمنينَ عن العبادةِ قالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥]، قالَ الشيخُ أبو بكرٍ الـجزائريُّ حفظهُ اللهُ تعالى مُعلقاً: (كانَ بعضُهم إذا طافوا يُصفقونَ ويُصفرونَ كما يفعلُ بعضُ دعاةِ التصوُّفِ حيثُ يرقصونَ ويُصفقونَ ويَصفرونَ ويَعدّونَ هذا مِن حضرةِ أولياءِ اللهِ، والعياذ باللهِ مِنَ الـجهلِ والضّلالِ .. وفيهِ كراهيةُ الصفيرِ والتصفيقِ، وبطلانُ الرقصِ في العبادةِ) ا.هـ(٤).

وكذلكَ الـحالُ في الصراخِ والعويلِ عِندَ تلّقي الأنباءِ الـمحزنةِ فهذهِ كذلكَ منهيٌّ عنها شرعاً، والأصلُ فيها تسليمُ الأمرِ لله عزَّ وجلَّ، ثمَّ إرجاعُ ما قد حَدَثَ لقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ وقَدرهِ.

(١) التصفيق: الضرب الذي يسمع له صوت وغالباً يكون باليد، وقد شرع في الصلاة للنساء إذا نابهنَّ شيء لقوله ﷺ: «**التَّسبيحُ للرِّجَال، والتَّصفيقُ للنِّسَاء**» رواه البخاري (١٢٠٣)، وله أحكام ومسائل. انظر: «الـموسوعة الفقهية» (١٢/ ٧٧-٨٣) (مصطلح تصفيق)، و«لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٢٤٦).

(٢) التصفير: صوت يصدر من بين ثنايا الأسنان بالنفخ، وهو الـمراد بالـمكاء في الآية الكريمة، انظر: «لسان العرب» (١٥/ ٢٨٩) مصطلح (مكا).

(٣) العويل: هو رفع الصوت بالبكاء والصراخ. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٤٨٢).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٤٠)، وتفسير «ابن كثير» (٢/ ٤٠٥)، و«أيسر التفاسير» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

أما ما تَعمدُ إليهِ بعضُ النساءِ مِنْ أعمالٍ لا تَنُم عن الاستسلامِ الكاملِ للقضاءِ والقدرِ خيرهِ وشرهِ مِنَ اللهِ تعالى كأن تسخطَ أو تعترضَ على ما حَدَثَ من أمورٍ لا ترضيهنَّ في إصابةِ مكروهٍ أو فَقدِ عزيزٍ أو نحوِ ذلكَ، لقولِه ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»[١].. وهذا دليلٌ على أنَّ اللواتي يفعلنَ ذلكَ فإنهنَّ لَسْنَ مِنْ أمةِ المصطفى ﷺ، فليتقينَ اللهَ تعالى مَنْ يفعلنَ ذلكَ في أنفسهنَّ وليَتُبْنَ يكُ خيراً لهنَّ.

د- إقامةُ حفلاتِ الرقصِ والغناءِ:

لعلَّ مِنْ أكثرِ وسائلِ التعبيرِ عن مشاعرِ الفرحِ والسرورِ عِندَ المُبشَّرينَ ببعضِ الأمورِ الخيِّرةِ إقامةُ مثل هذهِ الحفلاتِ والتي يترتبُ على إثرها الكثيرُ الكثيرُ مِنَ المخالفاتِ الشرعيةِ والتي منها على سبيلِ المثالِ:

١- إباحةُ المعازفِ بأنواعها وهي مزاميرُ الشيطانِ، وهي أمورٌ منهيٌّ عنها شرعاً لقولِه ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ**»[٢]، وهذا دليلٌ قاطعٌ صريحٌ على تحريمِ تلكَ الأمورِ ومنها المعازفُ أي الغناءُ.

٢- جلبُ المغنِّينَ والمغنياتِ والراقصينَ والراقصاتِ وغيرِهم، وهذا مِنَ الفسادِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).
والمراد باللطم، أي ضرب الخد أو الوجه بباطن الكف تسخطاً؛ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (خصَّ الخد بذلك لكونه الغالب في ذلك، وإلا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك، وقوله ﷺ: «وشق الجيوب» جمع جيب وهو ما يفتح ليدخل فيه الرأس.. وهو من علامات السخط) «الفتح» (٣/ ٢١١)

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٥٩٠).
والمراد بالحر أي: الفرج المحرم كناية عن الزنا. وقد أفتى أهل العلم رحمهم الله تعالى بأن المباح في الغناء ما كان للنساء فقط في إعلان الزواج، دون الرجال شريطة ألا تشتمل على كلمات الفسق والفجور. انظر «فتاوى المرأة المسلمة» اعتناء أشرف عبد المقصود (٢/ ٩٦٨). وفتوى «هيئة كبار العلماء» برقم ١٣٦٢٦ بتاريخ ٣١/ ١١/ ١٣٨٨هـ.

العظيمِ لما فيه مِنَ الاختلاطِ الـمُحرَّم بينَ الرجالِ والنساءِ وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ من ذلك بقوله: «**يَكُونُ في آخرِ أُمَّتِي الـخَسْفُ والقَذْفُ والـمَسْخُ**»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**باتِّخَاذِهم القَيْنَاتِ وشُربِهم الـخُمور**»[١].. وبما أنّ الأمرينَ اجتمعا معاً الـخمرُ والنساءُ، إذن هاجت الأمورُ وماجتْ وحَدَثَ ما كان مَحذوراً مِنَ الاختلاطِ بينَ الرجالِ والنساءِ .. ولا شكَّ بأنَّ مُحصِّلةَ ذلكَ انتهاكُ الـحرماتِ والوقوعُ في الزنا.

٣- استباحةُ الأعراضِ والـمحارمِ، وهذا أمرٌ لا يستبعَدُ فإنَّ الغناءَ والرقصَ رسولا الزنا كما أنهما يورثانِ السُّخطَ والغضبَ مِنَ اللهِ تعالى، ومِصداقُ ذلكَ الـحديثُ الذي ذكرناه: «**لَيَكُونَنَّ من أُمتي أقوامٌ يَستَحلّونَ الـحِرَّ والـحريرَ والـخمرَ والـمعازِف**»[٢].

٤- العُريُ وكشفُ العوراتِ، وذلكَ ما يقعُ من بعضِ النساءِ الـمسلماتِ -هداهنَّ اللهُ تعالى- وما فيهِ من عظيمِ الفتنةِ للرجالِ لقولِه ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[٣]... وليست الفتنةُ هنا مقصورةً على الـحفلاتِ فحسبْ بلْ قد تتعدّى إلى الأماكنِ العامةِ كالأسواقِ والـمتنزهاتِ وغيرِها. وهذا الأمرُ مُلاحَظٌ واضحٌ -إلا ما رحم ربُّكَ- واللهُ الـمستعانُ.

٥- السهرُ والتفريطُ في صلاةِ الفجرِ، فمن البدهيِّ أنَّ تِلكَ الـحفلاتِ لا تُقامُ إلا ليلاً وإلى ساعاتِ الصباحِ الأولى، وهذا مِنْ تشدُّقِ أصحابِ تلكَ

(١) **حسن**: رواه ابن عساكر في «التاريخ» (١٤ / ١٢٤، ١٢٥)، [«تحريم الآت الطرب» (٦٥)] والرسالة قيمة جداً ننصح بالرجوع إليها خاصة لأولئك الذين يبيحون الـمعازف والغناء.

(٢) **صحيـح**: رواه البخـاري (٥٥٩٠)، وهذا الـحديث أنا وضعتـه لأن الـمؤلف أورد رواية رواها الـحاكم وهي رواية موضوعة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

الـحفلاتِ .. ونتيجةً لذلك تَفُوتُ على الـمسلمينَ والـمسلماتِ ممّن حَضروا هذهِ الـحفلاتِ صلاةُ الفجرِ والتي قالَ فيها الـمصطفى ﷺ: **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»**[١].. بلْ وربّما يتعدّى هذا التفريطُ إلى صلاةِ الظهرِ بسببِ النومِ والتعبِ والإرهاقِ.

٦- التبذيرُ وضياعُ الأموالِ، والتي أُمرنا نحنُ الـمسلمينَ في بذلهِ في أَوْجُهِهِ الصَّحِيحَةِ من نفقاتٍ وصدقاتٍ ومساعداتٍ وغيرها بدلاً مِنْ صرفهِ فيما يُغضبُ اللهَ تعالى أولاً وحِرمانِ الـمحتاجينَ إليهِ ثانياً. وفي هذا يُحذِّرُ النبيُّ ﷺ العبادَ من تلك الأمورِ بقولِه: **«لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»**[٢].

وأخيراً وليس آخراً ربّما يتعاطى البعضُ أنواعاً مِنَ الـمحرماتِ كالدخانِ[٣] أو الـمُسكراتِ أو الـمُخدراتِ وغيرِها مما يُغضبُ اللهَ عزَّ وجلَّ، والتي قد يتحوَّلُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٥)، ومسلم(٤٣٧). والـمراد بقوله ﷺ: (استهموا) أي: اقترعوا فيما بينهم لمن يقف في الصف الأول، وذلك لما فيه من عظيم الأجر.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٧)،[«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦)].

(٣) سُئل العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى عن حكم التدخين فأجاب: (الدخان محرَّم لكونه خبيثاً ومشتملاً على أضرار كثيرة، والله سبحانه وتعالى إنما أباح لعباده الطيبات من الـمطاعم والـمشارب .. والدخان بأنواعه كلها ليس من الطيبات، بل هو من الـخبائث، وهكذا جميع الـمسكرات كلها من الـخبائث. والدخان لا يجوز شربه ولا بيعه ولا الاتجار فيه كالـخمر. والواجب على مَن كان يشربه أو يتجر فيه البدار بالتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، والندم على ما مضى، والعزم على ألا يعود في ذلك) ا.هـ. عن «كتاب الدعوة»، لابن باز (ص٢٣٦)، وانظر: «فتاوى علماء البلد الـحرام» لخالد الـجريسي (ص٧٩٤ و٨٧٨).

الفرحُ والسرورُ معها إلى فتنةٍ وحسرةٍ على أصحابها فكم تحوّلَ حفلٌ من غِبطةٍ وفَرحٍ إلى فَقدِ عزيزٍ أو حريقٍ أو غيرِ ذلكَ بسببِ ما فيهِ من منكراتٍ أو مخالفاتٍ وربّما محرّمات .. فإلى أولئكَ جميعاً نقولُ: اتّقوا الله عزَّ وجلَّ في أنفُسكم وأعمالكم وأموالكم فإنَّ اللهَ تعالى كما قالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله لَيُمْلي للظَّالم حَتَّى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود][1].

فالظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، وليسَ شيءٌ أظلمَ مِنْ ظلم العبدِ لربهِ ولنفسهِ وأهلهِ وأحبابهِ ومالهِ .. وهذهِ دعوةٌ لِمَن فرّطَ في جنبِ الله تعالى أن يعودَ ويرجعَ ويُنيبَ إلى الواحدِ القهّارِ فإنَّ مَنْ تابَ تابَ اللهُ عليهِ ومَنْ كَفَرَ وتكبَّرَ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ غَنيٌّ عَنْ العالـمينَ .. وصَدَقَ النبيُّ الكريمُ ﷺ فيما حَدَّثَ عن ربِّ العزّةِ عزَّ وجلَّ بقولهِ: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»[2].

ولئن أطلنا في هذه المقدمة فإن ذلك لأهميةُ موضوع (البشارة) الذي سيكون بين يدي ثلاثة كتب وهي: (البشارات النبوية)، (المبشرون بالجنة)، (المبشرون بالنار).

جعلنا الله وإياكم ممن يبشرهم ربهم في الدنيا وعند الموت ويوم القيامة، بالجنةِ والنعيم المقيم.

وكتبه

أبو إسلام صالح بن طه عبدالواحد

إمام وخطيب مجسد إبراهيم الحاج حسن مساء يوم السبت

الموافق ١٠ من ربيع الثاني ١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٣/٣م

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

١

محمد ﷺ البشير النذير

إنَّ الـحمْدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ: فإنَّ أصدقَ الـحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

موعدُنا في هذا اليوم - إن شاءُ الله تعالى- معَ مجموعةٍ جديدةٍ من خُطبِ الـجُمعةِ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعُنوان: (**اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القُرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**) والتي نَتكلَّمُ فيها عن قِصَّةِ نبيِّنا وحبيبنا محمَّدٍ ﷺ ... أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة.**

أمة الإسلام! أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمّداً ﷺ بالهُدى ودينِ الـحقِّ بشيراً ونذيراً ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ولو كره الـمُشركون.

قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة].

فبلَّغ ﷺ الرِّسالةَ وأدّى الأمانةَ ونَصحَ الأمّةَ وكشفَ الغُمةَ وجاهدَ في سبيلِ دينهِ حتى أتاهُ اليقين.

وأمرَ اللهُ عبادَهُ أن يتأسَّوا به ﷺ.

فقالَ تعالى: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا** ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب] وذلك لأن سيرتَهُ ﷺ هي الطريقُ الـمضيءُ الـموصلُ إلى سعادةِ الدُّنيا والآخرة.

- فمِن سيرتهِ ﷺ نَقطِفُ الثمارَ التي تَنفعُنا في الدُّنيا والآخرةِ كما سمعتُم في الـخُطبِ الـماضية.
- ومِن سيرتهِ ﷺ نَقطِفُ البشاراتِ النَّبويةَ، التي تدلُّ على صدقِ نبوَّتهِ ﷺ وَتُثبِّتُ الـمسلمَ على دينه، وتزيدُهُ إيماناً معَ إيمانِه كما سنَسمعُ في هذه السِّلسلةِ من الـخُطبِ التي بدأنا فيها اليوم.

• ومن سيرتِه ﷺ نَتعرَّفُ على معجزاتِه ﷺ التي تدلُّ على أنهُ رسولٌ من عند اللهِ حقّاً وصدقاً. وهذه هي سلسلةُ الـخُطبِ التي سنبدأُ فيها -إن شاءَ اللهُ تعالى- بعدَ هذه السِّلسلةِ التي نحنُ في صددِ الـحديثِ عنها.

• ومن سيرتِه ﷺ نتعلَّمُ وصاياهُ لأمته التي فيها سعادةُ الدُّنيا والآخرة، وهذه السِّلسلةُ من الـخُطبِ هي التي سَنبدأُ فيها بعدَ سلسلةِ الـمُعجزاتِ النَّبويَّةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- ثم بعدَ ذلكَ نتكلَّمُ عن سيرتِه ﷺ.

فكلامُنا عن قصَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ من القرآنِ والسُّنةِ سيكونُ على النَّحوِ التّالي:

أولاً: سلسلةُ (ثمراتُ السيرةِ النَّبويَّة) وقد تكلَّمنا عنها.

ثانياً: سلسلةُ (البشاراتُ النَّبويَّة) وهذه التي سنتكلم عنها.

ثالثاً: سلسلةُ (الـمعجزاتُ النَّبويَّة) وهذه سنتكلم عنها فيما بعد.

رابعاً: سلسلةُ (الوصايا النَّبويَّة) وهذه أيضاً سنتكلَّم عنها فيما بعد.

خامساً: سلسلةُ (السِّيرةُ النَّبويةُ من القرآنِ الكريم والسُّنَّةِ النَّبوية) وهذا كلُّه سيكونُ تحتَ سلسلةِ الـمواعظِ التي بعُنوان **اللؤلؤَ والـمرجانُ من قَصصِ القُرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**.

أما البِشاراتُ النبويةُ التي سنبدأُ الـحديثَ فيها من اليوم والتي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطرةِ فهي كثيرةٌ جداً، تُثبِّتُ الـمسلمَ على دينِه وتزيدهُ إيماناً مع إيمانِه.

• **البُـشارَةُ لغةً**: بضم الباءِ وكسرها؛ مِنَ البِشر، وهو الفرحُ والسُّرورُ تارةً، أو السّوءُ والشرُّ تارةً أخرى، والكَلمةُ تُستعملُ في الفَرحِ والسُّرورِ أكثر.

وقالوا: البِشارةُ الـمطلقةُ لا تكونُ إلا بالـخير، وإنما تكونُ بالشرِّ إذا كانَت

مُقيَّدَةً بِهِ كقولِه تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران]

• **والبِشارَةُ اصطلاحاً**: كُلُّ خَبَر صدقٍ تتغيرُ بهِ بَشَرَةُ الوجهِ، ويستعملُ في الـخيرِ والشرِّ، وفي الـخيرِ أغلبُ[1].

• **والبشارةُ نوعان:**

أ- بِشارةُ خيرٍ

وهي إما إخباريَّةٌ أو رؤيا صالـحة؛ فالـمرادُ من الإخباريّة: أن تُخبرَ الشَّخصَ بما لا يَعرِفُه مما هو خَيرٌ له.

• كقوله تعالى للصابرين: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

• وكقوله تعالى للمُجاهدِينَ في سبيله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

• وكقوله ﷺ للمُحافظِينَ على صلاةِ الفجرِ والعشاءِ في الـمسجد: «**بَشِّرِ الـمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2].

• وكقولِه ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ**»[3].

---

(١) «نضرةُ النعيم» (٣/ ٧٨٠).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٨٨)، والطبراني (١٠٥٦٢)، وابن حبان (٤٧٠) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٨)].

• أما الرؤيا الصّالـحةُ فهي ثابتةٌ في كتابِ اللهِ تعالى وسنّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ.

• **أما في كتاب الله**

قالَ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف].

• **وأما في سنة نبيه ﷺ**

قالَ ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ**»[٢].

ب- بشارةُ استهزاءٍ وسخريةٍ

وهي التي يكونُ ظاهرُها الـخيرَ، كونَها بدأت بكلمةٍ ترغبُها النُّفوسُ وتَطمَئنُّ إليها القُلوب، ولكنَّ حقيقتَها الشَّرُّ والوَيلُ والثُّبورُ لمن بُشِّرَ بهذا النَّوعِ من البَشائر.

• كقولِه تعالى في حقِّ الـمُنافقِين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء].

• وكقولِه تعالى في حقِّ مانع الزَّكاة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة].

• وكقولِه ﷺ: «**بَشِّرِ الكَانزِينَ برَضْفٍ**[٣] **يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ**[٤] **كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ، يَتَزَلْزَلُ**»[٥].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٧٩).

(٣) (برضف) بفتح الراء وسكون الضاد والـمعجمة، وهي الـحجارة الـمحماة.

(٤) (النغض) بضم النون وسكون العين الـمعجمة، وهو تجعد الكتف أي ثناياه.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٩٩٢).

• وكمخاطبتِه ﷺ لقتلى الـمُشرِكينَ في غزوةِ بدرٍ الكُبرى بعدَ أن أُلقوا في القَليبِ وتذكيرِهم بالذي كان، وفيه نوعٌ من إثباتِ نبوَّته ﷺ وأن الدَّينَ للهِ في قولِه: «**يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام! يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ! يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ! يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ! أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا**»[1].

• **البشارةُ قسمان:**

القسم الأول: بشارةٌ دنيوية.

من حكمةِ اللهِ تعالى ورحمتِه في عبادِه الـمؤمنينَ الـمُوحِّدِينَ أنه جَعَلَ البَشائرَ لهم في دُنياهم قبلَ آخرتِهم، وهذا قد يدخلُ في بابِ تثبيتِهم على طاعته وتقويةً لإيمانِهم به عزَّ وجلّ، وتسليةً لهم لما يُلاقونَه من مصاعبَ ومِحنٍ وابتلاء.

والأمثلةُ على ذلك في الكتابِ والسُنةِ كثيرةٌ جداً.

• **ففي كتاب الله**

يُبشِّرُ اللهُ عزَّ وجلّ عبادَهُ الـمؤمنينَ الـمُوحِّدينَ بالنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرض.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر].

وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ [الروم].

• **وفي سُنَّة رسولِ الله ﷺ**

قالَ ﷺ: «**بَشِّرْ هذه الأمةَ بالتيسيرِ، والسناءِ والرفعةِ بالدين، والتمكينِ في البلاد،**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٤).

والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب»[١].

وبشَّرَ ﷺ أصحابَهُ وأمتهُ بفَتح الأمصارِ بعدَ وفاته فقالَ ﷺ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ**» قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ! لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[٢].

وعن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**». أَوْ قَالَ: «**ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا**». قَالَ: **فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا**»[٣]. فأيُّ حديثٍ أصدقُ وأجلُّ من حديثِ رسولِ الله ﷺ!!

ومما سَبَقَ يتَّضِحُ لنا بأن إخباريّاتِه وبشائرَه ﷺ والتي أعلمَها أصحابَه رضوانُ الله عليهم تثبيتاً لهم على الإسلام، وإظهاراً لقوةِ عقيدتهم، وقد تحقَّقَت ووقعَت بل وعايشَها الكثيرُ منهم في هذه الدُّنيا وهي كثيرةٌ جداً سنعرِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من خلالِ الـخُطبِ القادمة.

القسم الثاني: بشارةٌ أُخروية

وبعدَما تناولنا البَشائرَ الدُّنيويّةَ والتي أوردَها اللهُ -عزَّ وجلَّ- وطمأنَ بها قلوبَ عبادهِ الـمؤمِنينَ الـمُوحِّدين، وكذا رسولَه محمّداً ﷺ... سنُعرِّجُ على بيانِ

(١) **صحيح**: رواه أحمد(٥/ ١٣٤)، ابن حبان (٤٠٥)، والحاكم (٧٨٦٢) بلفظ: (بَشِّرْ هَذه الأُمَّةَ بالسَّناء وَالرِّفْعَة)، أما باللفظ المذكور فرواه البيهقي في الشُّعَب (٦٨٣٥) وهو صحيح كذَلك، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٣).

بعضٍ من البشائرِ الأُخرويّةِ وهي كثيرةٌ جداً في الكتابِ والسُّنَّةِ.

• **أما في كتاب الله -عزّ وجلّ-**

فاللهُ عزَّ وجلَّ يُبشِّرُ عبادَهُ الـمُستقيمينَ على طاعتِه بالـجنَّة.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت] ويُبشِّرُ سبحانَهُ عبادَهُ المُؤمنينَ الـمُوحِّدينَ الذين يَعملونَ الصّالـحاتِ بالـجَنّات.

قالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

وقالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

• **أما في السُنة:**

قالَ ﷺ: «**يقولُ اللهُ -عزّ وجلّ-: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْك، وَالـخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فذاك حينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**».

قَالَ: فاشتدَّ ذلك عليهم. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّنَا ذَلِكَ الرَجُلْ؟ فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا. فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رجُلٌ**» قَالَ ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الـجَنَّةِ**» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الـجَنَّةِ**» فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ:

«وَالَّذي نَفْسي بيَدِه! إنِّي لأَطْمَعُ أَنْ يَكُونُوا شطرَ أَهْلِ الـجَنَّة، إنَّ مَثْلَكُمْ في الأُمَم كَمَثَلِ الشَعرَةِ البَيْضاءِ في جِلْدِ الثَوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كالرَّقمَةِ في ذراعِ الـحمارِ»(١).

وقال ﷺ: «**أَتَاني جبريلُ عليه السلام فَبَشَّرَني أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتك لاَ يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا دَخلَ الـجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»(٢).

فإذا كانت هذه البشارةُ يُرادُ بها عدمُ الـخلودِ في النّارِ ببَركةِ شفاعتِه -عليه الصَّلاةُ والسَّلام- فهذه لا تُعطي الـمُسلمَ الوَرِعَ التَّقيَّ الـحقَّ في اقترافِ الآثامِ والـمعاصي، فإنه لا يَدري بأنها قد تكونُ استدراجاً له فيخسرُ دنياه قبلَ آخرتهِ.

والبشارةُ من صفةِ النبيين والـمرسلين.

قالَ تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام].

وقالَ تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٩٤).

ولما قالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم لرسولِ اللهِ ﷺ أخبِرنا عن نفسِك.

قالَ ﷺ: **«نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامِ وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورِ الشَّامِ»**[1].

والبشارةُ من صفةِ المصطفى محمد ﷺ

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

وقالَ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

وقالَ تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود].

عبادَ الله! بل أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ محمداً ﷺ أن يبشِّرَ عبادَهُ الصّالحِينَ

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٠)، والحاكم (٣٥٦٦)، وذكره ابن كثير في «السيرة النبوية» (١/ ٢٢٨)، والطبري في تفسيره (٢٠٧٠)، كلاهما من طريق ابن إسحاق [«السلسلة الصحيحة» (١٥٤٥)].

الـمُوحِّدينَ الطّائعين.

فقالَ سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة]، وقالَ له أيضاً: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٢٣﴾ [البقرة] وقالَ له أيضاً: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٧﴾ [الحج] وقالَ له أيضاً: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ٣٤﴾ [الحج].

وقالَ له أيضاً: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر].

وقالَ له أيضاً: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١﴾ [يس].

فأخذَ ﷺ يُبشِّرُ عبادَ اللهِ الطّائعِينَ الـمؤمنين، ويُنذرُ العُصاةَ والكَفرةَ والـمُجرمِين، فما هي البشارةُ الأولى التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه؟ هذا الذي سنعرفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

٢

تبشيرُهُ ﷺ لأصحابه وأمته أن المستقبلَ للإسلامِ وأهلهِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [الفرقان].

موعدُنا في هذا اليوم – إن شاءَ اللهُ تعالى– معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعُنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ ... أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها –إن شاءَ اللهُ تعالى– من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطرةِ ألا وهي: تبشيرُه ﷺ لأصحابِه وأمّتِه أن المستقبلَ للإسلامِ وأهلِه.**

بشَّر اللهُ عبادَهُ المؤمنين بالنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ والغَلبةِ –أي: أن المستقبلَ للإسلامِ وأهلِه–

قالَ تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات]. وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر].

• وامتَنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِهِ وعلى الـمؤمنينَ بنَصرِهِ لهم.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ...﴾ [الأنفال:٢٦].

• وأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ ﷺ أن يبشرَ أصحابَهُ وأمتهُ بالنَّصرِ والتَّمكينِ والغَلبةِ -أي: أن المستقبلَ للإسلامِ وأهلِهِ-

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف]. -أي: مُنتصرينَ- لقولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة].

واستجابَ رسولُ اللهِ ﷺ لأمرِ ربِّهِ، وأخذَ يُبشِّرُ أصحابَهُ وأمَّتَهُ بالنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ والغَلَبةِ -أي: أنَّ المستقبلَ للإسلامِ وأهلِهِ-

• قالَ ﷺ: «**بشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ، وَالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ، وَالتَّمْكِينِ فِي البِلَادِ، وَالنَّصْرِ**»[1].

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[2].

(١) **صحيح**: رواه أحمد(٥/ ١٣٤)، ابن حبان (٤٠٥)، والحاكم (٧٨٦٢) بلفظ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ**» أما هذا اللفظ فرواه البيهقي في الشُّعَب (٦٨٣٥) وهو صحيح كذلك، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

• وقالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ، ولا يترُكُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أَدخلَهُ اللهُ هذا الدينَ، بعزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ؛ عزاً يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذُلاًّ يُذِلُّ به الكفرَ**»(١).

• يقولُ خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ رضي الله عنه: (شَكَوْنا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظلِّ الكعبةِ، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ**» -أي: هذا الدينَ- «**حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٢).

• وقد بشَّرَ ﷺ أصحابَهُ وأمتَهُ بفتحِ الأمصارِ وبكنوزِ كسرى وقيصر.

• قال ﷺ: «**تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ**»(٣).

• وقال ﷺ: «**يُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ(٤)، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤ / ١٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٥)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٨٥)، والحاكم (٨٣٢٦) [«السلسلة الصحيحة» (٣)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٠).

(٤) يَبُسُّونَ: يبس الناقة يسوقها ويزجرها ويقول لها: بس بس.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

• ويقولُ البراءُ بنُ عازب رضي الله عنه: (أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بحفرِ الـخندقِ، وعَرَضَ لنا صخرةٌ في مكانٍ منَ الـخندقِ، لا تأخُذُ فيها الـمعاولُ قالَ: فَشَكَوْنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فوضعَ ثوبَهُ ثم هَبَطَ إلى الصخرةِ، فأخَذَ الـمِعْوَلَ فقالَ: «**باسم اللهِ**» فضربَ ضربةً، فَكَسرَ ثُلُثَ الـحجَرِ، وقال: «**اللهُ أكبرُ، أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا مِنْ مَكَانِي هَذَا**» ثم قال: «**بِسْمِ اللهِ**» وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسرَ ثُلُثَ الـحجَرِ. فقال: «**اللهُ أكبرُ، أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لأُبْصِرُ الـمَدَائِنَ وأُبْصِرُ قَصْرَهَا الأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**». ثم قال: «**بِسْمِ اللهِ**» وضَرَبَ ضربةً أخرى، فقلَعَ بقية الـحجَرِ. فقال: «**اللهُ أكبرُ، أُعْطِيْتُ مِفَاتِيحَ اليَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**»[(١)].

• وقالَ ﷺ: «**لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الأَبْيَضِ**»[(٢)].

• وقالَ ﷺ: «**هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لاَ يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لَيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٣)].

• وسُئِلَ ﷺ: أيُّ الـمدينتين تُفتحُ أولاً: أقسطنطينيةُ أو رُومِيَّةٍ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مدينةُ هِرقلَ تُفْتَحُ أَوّلاً**» يعني: قسطنطينية[(٤)].

قالَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمَه الله تعالى: (و(روميةُ) هي روما؛ وهي عاصمةُ إيطاليا اليومَ، وقد تحقَّقَ الفتحُ الأولُ على يد محمدٍ الفاتحِ العثمانيِّ؛ كما هو معروفٌ، وذلك بعد أكثرَ من ثمانمئةِ سنةٍ من إخبارِ النبيِّ ﷺ بالفتحِ، وسيتحققُ الفتحُ الثاني بإذن

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٣٠٣)، والنسائي(٨٨٥٨)، وأبو يعلى(١٦٨٥)، [«فقه السيرة» (ص٢٩٧)].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩١٩).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٢٧)، ومسلم (٢٩١٨).
(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والـحاكم (٨٦٦٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٤)].

الله تعالى ولا بَدَّ، ولتعلَمُنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ.

ولا شكَّ أيضاً أنَّ تحقيقَ الفتحِ الثاني يستدعي أن تعودَ الـخلافةُ الراشدَةُ إلى الأمةِ الـمسلمةِ، وهذا مما يُبَشِّرنا به ﷺ بقوله: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شاءَ أنْ يرفعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبوَّةِ، فَتَكونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عاضّاً، فَيَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكُونُ مُلكًا جَبْرِياً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبوَّةِ. ثُمَّ سَكَتَ**»[1].

بَشَّرَ اللهُ عبادَه الـمؤمنينَ بالنَّصرِ والتَّمكِينِ في الأرض، وبشَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ وأمّتَه بالنَّصرِ والتّمكينِ في الأرض، وهذا النَّصرُ وهذا التَّمكينُ قادمٌ -إن شاءَ اللهُ- ولكن جَعلَ اللهُ له أسباباً مَنْ أخذَ بها نصرَهُ اللهُ ومكَّنه في الأرض، وهذه هي أسبابُ النَّصرِ والتَّمكينِ أضعُها بينَ أيديكم.

أسبابُ النصرِ والتمكينِ في الأرضِ.

أولاً: التوحيدُ الـخالص لله تعالى والابتعادُ عن كل مظاهر الشركِ

قالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور]. فاشترط اللهُ للتمكين في الأرضِ والأمنِ تحقيق التوحيدِ والابتعادَ عن الشرك.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والبزار (٢٩٧٦) [«السلسلة الصحيحة» (٥)].

ثانياً: أن نَنصرَ اللهَ في أنفسِنا بالإيمانِ الصّادقِ والعملِ الصّالحِ والابتعادِ عن المعاصي.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

وقالَ تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج].

وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم].

ونَصرَ اللهُ عبادَهُ المؤمنين في بدرٍ. قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ [آل عمران:١٢٣].

ونَصرَهم في مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حنين. قالَ تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [التوبة:٢٥].

ونَصرَهم يومَ الأحزاب. قالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب].

ولذلكَ امتنَّ اللهُ على المؤمنينَ بنعمةِ النَّصرِ على الأحزابِ، فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب].

وكانَ ﷺ يعترفُ لربِّه بهذه النِّعمةِ فيقول: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(١).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٤٧)، وابن ماجه (٢٦٢٧)، وأحمد(٣/ ٤١٠)، [«مناسك الحج والعمرة» (٢٤)].

• فبالإيمانِ الصّادقِ والعَملِ الصّالـحِ يَنصرُنا اللهُ على أعدائِنا، وبالذُّنوبِ والـمعاصي يَحرِمُنا اللهُ النَّصر.

• ففي غَزوةِ أُحدٍ انتصرَ الـمسلمونَ في بدايةِ الـمعركةِ انتصاراً عظيماً، ووَلَّى الكفارُ من أرضِ الـمعركةِ مُدبرينَ، ولما تَركَ الرُّماةُ الـجبلَ وخالَفوا أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ تحوَّلَ النَّصرُ إلى هزيمةٍ، وقُتِلَ من قُتِلَ فيها من الـمسلمينَ، وكادَ الكفّارُ أن يَصِلوا إلى رسول الله ﷺ لولا أنّ اللهَ سلَّم، فكُسِرَت رَباعيتُهُ ﷺ، وحَدَثَ ما حَدَثَ في الـمسلمينَ بسببِ هذه الـمخالفةِ، ولما تعَجَّبَ الـمسلمونَ مما نَزَلَ بهم. قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم مُربِّياً: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران].

فالـمعاصي والذنوبُ سببٌ للهَزيمةِ والذُّلِّ وسببٌ لكلِّ شرٍّ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى].

وقالَ ﷺ: «**إذَا تَبايَعْتُم بالعِينة، وأخذتُمْ أذنابَ البقرِ، ورَضِيْتُم بِالزّرْعِ، وتَرَكْتُم الـجِهادَ، سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلاً لا يَنْزِعهُ حتّى تَرجِعُوا إلَى دِينكُمْ**»(١).

ثالثاً: الاتِّحادُ والاعتصامُ وعدمُ التَّفرُّقِ والاختلاف.

قالَ تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

وقالَ ﷺ: «**لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»(٢). وقال

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٤)، [«السلسة الصحيحة» (١١)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠).

ﷺ: «**الـجَماعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذابٌ**»(١). وقالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالـجَماعَةِ وَإِيَّاكُم وَالفُرْقَةَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطَ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»(٣).

فبالاتِّحادِ والاعتصامِ نَنتصِرُ على أعدائِنا، ولا يكونُ ذلك إلا بالإيمانِ الصّادقِ والعملِ الصّالـحِ، وبالفُرقَةِ والاختلافِ نَنهزِمُ ونفشلُ ونَضعُفُ، وأسبابُ الفرقةِ والاختلاف كثيرةٌ منها:

١- **الاجتماعات السِّرِّيَّةُ التي ابتُلِيَت بعضُ الـجماعات بها**. قال عمرُ بنُ عبدالعزيز رحمه الله: (إِذَا رَأَيْتَ قَوْماً يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ بِشَيْءٍ دُونَ الْعَامَّةِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالة)(٤).

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: (جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ أوصِني! قالَ: «**اعْبُدِ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وَأَقِمْ الصَّلاةَ، وَآتِ الزَّكَاةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَحُجَّ البَيْتَ، وَاعْتَمِرْ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ، وَعَلَيْكَ بِالعَلانِيَةِ، وَإِيَّاكَ وَالسرَّ**»)(٥).

٢- **التَّحزُّبُ البَغيض**، قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الـمؤمنون].

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابنه في «زوائد الـمسند» (٤/ ٣٧٥)، والبزار (٤/ ٣٧٥) [«الصحيحة» (٦٦٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد (٥/ ٣٧٠)، [«إرواء الغليل» (٦/ ٢١٥)].

(٣) **صحيح**: مسلم (١٧١٥).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢٨٩، ٢٩١)، واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٢٥١).

(٥) **حسن**: رواه الـحاكم (١٦٥)، [«ضلال الـجنة» (١٠٧٠)].

٣- اتِّباعُ الهوى، وقالَ تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

٤- إساءةُ الظَّنِّ بولاةِ الأمرِ وسبُّهم والخروجُ عليهم، قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

وعن حُذيفةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَكُونُ فِيكُمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

٥- علماءُ السّوءِ الذين يُفتونَ بغيرِ علم، قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٣).

رابعاً: القوّة

ومن أسبابِ النَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ: القُوَّةُ بجميعِ أشكالِها: قوةُ الإيمانِ،

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم(١٨٤٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

قوَّةُ البدنِ، قوَّةُ السِّلاحِ، قُوَّةُ الاتِّحادِ والاعتصامِ، قوَّةُ الطّاعةِ بتَركِ الـمعاصي.

قالَ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال].

يقولُ عقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ وهو على الـمِنبرَ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»(٢).

خامساً: الصَّبرُ وعدمُ الاستِعجال

قالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقالَ ﷺ لخبّابِ بن الأرتِّ رضي الله عنه: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، والطبراني في الكبير (١١٠٨٠)، والحاكم (٦٣٠٤) [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

سادساً: الدُّعاء

قالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

وعلَّمَنا اللهُ عزَّ وجلَّ الدُّعاءَ واستجابَ لنا

ففي قولِه تعالى: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة][1] قالَ الله: «نَعَمْ». وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ -عِبَادَ اللهِ- بِالدُّعَاءِ**»[2]. ودعا رسولُ اللهِ ﷺ في غزواتِه واستجابَ اللهُ له.

فالنَّصرُ قادمٌ والـمستقبلُ للإسلامِ، وها هي أسبابُه بينَ أيديكم فاتَّقوا اللهَ في أنفسِكم وفي الإسلامِ.

فما هي البُشرى الثّانيةُ التي بَشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه وأمَّتَهُ؟ هذا الذي سَنعرِفُه في الـخُطبةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٢١).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، وأحمد (٥/ ٢٣٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

٣

تبشيرُه ﷺ للصابرينَ بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

موعدُنا في هذا اليوم – إن شاءَ اللهُ تعالى– معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبنا محمَّدٍ ﷺ أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها –إن شاءَ اللهُ تعالى– من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للصَّابرِينَ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

فقد ذكرَ اللهُ الصبرَ في كتابه في أكثرَ من تسعينَ موضعاً، وقرنهُ بالصلاةِ فقالَ تعالى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].

• وأمرَ اللهُ رسولَهُ محمداً ﷺ بالصَّبر

فقالَ تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقالَ تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

• وأمرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عبادَهُ المؤمنينَ بالصَّبر

فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

ذكرَ اللهُ الصَّبرَ في كتابه في أكثرَ من تسعينَ مَوضِعاً، وقرنهُ بالصَّلاةِ، وأمرَ به رسولَهُ ﷺ وعبادَهُ المؤمنينَ لأهميَّةِ الصَّبرِ في حياةِ المؤمنِ، وذلك:

أولاً: لأنَّ المؤمنَ محتاجٌ إلى صبرٍ على طاعةِ الله؛ فالمؤمنُ في هذه الدُّنيا يَتقلَّبُ في نعَمِ اللهِ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، كما قالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وهذه النِّعَمُ تَحتاجُ إلى شُكرٍ للهِ لتَبقى وتزدادَ، لقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

وشكرُ النِّعَمِ يكونُ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ لقولِه تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ].

ولقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١١٤﴾ [النحل]. والاستمرارُ على الطّاعةِ شكراً للهِ على نِعَمِه يحتاجُ إلى صبر.

ثانياً: لأن الـمؤمنَ محتاجٌ إلى صبرٍ عن معصيةِ الله، فالإنسانُ في هذه الدُّنيا مُعرَّضٌ لاقترافِ الذُّنوبِ والـمعاصي، لأنه ليسَ معصوماً.

قالَ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إلاَّ وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الفِينَة بَعْد الفِينَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لاَ يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا**»[١].

وقالَ ﷺ: «**كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الـخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ**»[٢] والاستمرارُ على طاعةِ اللهِ والابتعادُ عن معصيتِه يحتاجُ إلى صبرٍ.

ثالثاً: لأن الـمؤمنَ محتاجٌ إلى صبرٍ على الابتلاءِ والـمِحنِ التي يتعرَّضُ لها في هذه الـحياةِ الدُّنيا، وذلكَ لأن الإنسانَ خُلِقَ في هذه الدُّنيا للابتلاءِ والامتحان.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان].

وقالَ تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت] والإنسانُ لا يَنجَحُ في الابتلاءِ الذي ابتُلِي به إلا بالصَّبر.

فالإنسانُ الـمؤمنُ في هذه الدُّنيا محتاجٌ إلى صبرٍ على طاعةِ اللهِ، ومحتاجٌ إلى

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (١١٨١٠)، وفي الأوسط (٥٨٨٤) [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٧٦)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد(٣/ ١٩٨) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

صبرٍ عن معصيةِ الله، ومحتاجٌ إلى صبرٍ على الابتلاءاتِ والـمحنِ.

• والذي يَصبرُ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى الابتلاءاتِ والِمحَنِ يُبشِّرُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه، ويُبشِّرُهُ رسولُ اللهِ ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالإمامة في الدين

فالإمامةُ في الدِّينِ منزلةٌ عظيمةٌ عندَ الله تُنالُ بالصبرِ واليقينِ قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

فالدّينُ كُلُّهُ والإيمانُ كُلُّهُ علمٌ بالـحقِّ وعملٌ به، والعملُ به لا بدَّ فيه من الصّبرِ، بل وطلبُ عِلمِهِ يحتاجُ إلى الصّبرِ. كما قال معاذُ بن جبل رضي الله عنه: (عليكم بالعلمِ فإن طَلَبَهُ للهِ عبادةٌ، ومعرفتَهُ خشيةٌ، والبحثَ عنهُ جهادٌ، وتعليمَهُ لِمَنْ لا يعلَمُهُ صدقةٌ، ومذاكَرَتَهُ تسبيحٌ، به يُعرَفُ اللهُ ويُعبَدُ، وبهِ يُمجَّدُ اللهُ ويُوحَّدُ، يرفَعُ اللهُ بالعلمِ أقواماً يجعلُهم للنّاسِ قادةً وأئمّة يهتدون بهم وَيَنْتَهُونَ إلى رأيهم)[١].

فجعلَ البحثَ عن العلمِ من الـجهادِ، ولا بدَّ في الـجهادِ مِنَ الصبرِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: (ألا إنّ الصّبرَ من الإيمان بمنزلة الرّأس من الـجسد، فإذا انقطع الرّأسُ بانَ الـجسدُ، ثمّ رفع صوتهُ فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر لَهُ)[٢].

---

(١) رواه ابـن عبـد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٤-٥٥) مرفوعاً وهو كذب وإنما يرجح وقفه على معاذ، ورواه أبو نعيم في «الـحلية» (١/ ٢٣٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٨)، وأبو نعيم في «الـحلية» (١/ ٧٦).

ثانياً: بالرَّحمةِ والهدايةِ إلى الصِّراطِ المستقيم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة].

ثالثاً: بخَيرِ الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾ [النساء]. وقالَ تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [الحجرات].

وقالَ ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَا رَزَقَ اللهُ عَبْدًا خَيْرًا لَهُ وَلاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ له خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٣).

وجاءَ رجلٌ أعمى إلى النبيِّ ﷺ فقال: ادْعُ اللهَ أن يُعافِيَني، قال: «**إِنْ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٣٥٥٢) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٩٦)].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم(٢٩٩٩).

شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»[١].

رابعاً: بالمغفرةِ والأجر العظيم وتكفير السيئات

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

• وَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ**»[٢].

• وقالَ ﷺ: إن الله تعالى يقول: «**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْداً مِنْ عِبَادِي مُؤْمِناً فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ لِلحَفَظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا [لَهُ] مِنَ الأَجْرِ مَا كُنْتُم تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ صَحِيحٌ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وأحمد (٤/ ١٣٨)، [«التوسل» (٦٩)] واللفظ للترمذي.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٨٥).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٢٣)، والطبراني في الكبير (٧١٣٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠٠٩)].

• وعن أمِّ العلاءِ ﵂ قالَت: عادَني رسولُ اللهِ ﷺ وأنا مريضةٌ فقال: «**أبْشري يا أُمَّ العَلاَءِ فَإنَّ مَرَضَ الـمُسْلِمُ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذهِبُ النارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**»(١).

• فالأجرُ العظيمُ وتكفيرُ الـخطايا والذنوبِ يكونُ يومَ القيامةِ للصّابرين بغيرِ حساب.

ولذلك قالَ ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ العافَيةِ يَوْمَ القَيامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاءِ الثَّوَابَ؛ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ بالـمَقَارِيضِ**»(٢).

خامساً: يُبشر اللهُ في كتابه، ورسولُ اللهِ ﷺ في سنتهِ الصابرين: بمحبةِ اللهِ ومعيتهِ.

• قالَ تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾**﴾ [آل عمران].

واللهُ عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبدَهُ الـمؤمنَ الصابرَ لا يُعذبُهُ في النار أبداً.

• قالَ ﷺ: «**واللهِ! لا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(٣).

• وقالَ تعالى: ﴿**ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾**﴾ [البقرة].

وهذه الـمَعيَّةُ هي معيّةُ النَّصرِ والـحفظِ والتأييدِ والإعانةِ، فاللهُ عزَّ وجلَّ معَ الصّابرينَ؛ يُعينُهم ويُصَبِّرُهم ويُؤيِّدُهم ويَكلؤُهم، حتى يَتمَّ لهم الصَّبرُ على ما يُحِبُّه اللهُ عزَّ وجلَّ.

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ. فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الـجَزَعُ**»(٤).

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٩٢)؛ [«السلسلة الصحيحة» (٧١٤)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٢)؛ [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٠٦)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٥)، والـحاكم (٧٣٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٠٧)]

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٦)].

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُم، فَمَنْ رَضِيَ فلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ»(١).

سادساً: يُبشر اللهُ في كتابه، ورسولُ الله ﷺ في سنَّته الصابرين: بالجنّةِ والفوزِ العظيم.

• قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

• وقالَ تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

• وقالَ تعالى في وصفِ عبادِ الرَّحمن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾[الفرقان].

• وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ» -أي بعينيه- «فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الـجَنَّةَ»(٢).

• وقالَ ﷺ: «إذا مَرِضَ العَبْدُ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَقَالَ: انْظُرُوا مَا يَقُولُ لِعُوَّادِه؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُوهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ» -أي: صبر واحتسب- «رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ [أَنْ] أُدْخِلَهُ الـجَنَّةَ، وَإِنْ شَفَيتُه أَنْ

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٧)].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٥٣).

أُبْدِلَه لحماً خيراً مِنْ لحمِه، وَدَماً خَيراً مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»[١].

• وهذه بُشرى للمَرضى عامةً ولمرضَى السَّرطانِ خاصّةً أن الله عزَّ وجلَّ قادِرٌ إذا صَبَرَ المريضُ واحتسبَ أن يُبدِلَهُ دماً خيراً من دمِه ولحماً خيراً من لحمِه.

• وعن ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قالَ لعطاء: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» قَالَتْ: أَصْبِرُ! قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[٢].

فيا أَيُّها الصّابرُ على طاعةِ اللهِ! ويا أيّها الصابرُ عن معصيةِ اللهِ! ويا أيّها الصابرُ على الابتلاءاتِ والـمِحَنِ، أَبشِرْ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.

أيها المسلمون! بالصَّبرِ يتحصَّلُ الـمؤمنُ على سعادةِ الدُّنيا والآخرة.

يقولُ ﷺ: «**وَالْصَبْرُ ضِياءٌ**»[٣]. وقالَ ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[٤].

والصَّبرُ يكونُ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى الابتلاءاتِ والـمِحنِ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

أولاً: الصبرُ على طاعةِ اللهِ.

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ! وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا

(١) **حسن لغيره**: رواه مالك (١٦٨٢)، والبيهقي في الشّعب (٩٩٤١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٣١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم(٢٥٧٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم(٢٢٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[١].

٢- وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»[٢].

ثانياً: الصبرُ عن معصية الله

١- يقولُ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»[٣].

٢- وقالَ ﷺ: «**انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللهمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ** -وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كأشدِّ ما يُحِبُّ الرجالُ النساءَ-، **فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا** -وفي رواية: فلما قعدتُ بين رِجْلَيْهَا-، **قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الـخُرُوجَ مِنْهَا»[1].

ثالثاً: الصبرُ على الابتلاءاتِ والمِحنِ

١- يعقوبُ عليه السلام عندما ابتُلِيَ بفقدِ يوسفَ عليه السلام قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾ [يوسف].

٢- أيوبُ عليه السلام عندما ابتُلِيَ بالـمرض وصَبرَ عليه. قالَ اللهُ عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [ص].

٣- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي القِسْمَةِ... فقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ. ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[2].

ورسولُنا ﷺ بَشَّرَ الصّابرين بسَعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، وضربَ لهم أروعَ الأمثلةِ في الصَّبرِ على طاعةِ اللهِ، والصَّبرِ عن معصيةِ اللهِ، والصَّبرِ على الابتلاءاتِ والـمِحَنِ، فعلى الـمسلمين أن يتأسَّوا برسولِ اللهِ ﷺ في صبرِه ليَتحصَّلوا على سعادةِ الدُّنيا والآخرة.

ما هي البُشرى الثالثة التي بَشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمَّتَه؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

٤

تبشيرُه ﷺ للموحِّدين أهلِ «لا إله إلا الله» بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: قالَ تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾ [هود].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾ [الإسراء].

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم – إن شاءَ اللهُ تعالى– مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والـمرجانُ من قصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويةُ التي سنَقطِفُها –إن شاءَ اللهُ تعالى– من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة ألا وهي: تبشيرُه ﷺ للمُوحِّدينَ أهلِ «لا إله إلا الله» بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

اعلَموا أن كلمةَ التَّوحيدِ «لا إله إلا الله» لا تنفَكُّ عنها «محمد رسول الله»؛ فهما الرُّكنُ الأولُ من أركانِ الإسلام.

• قالَ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله...**»(١) الـحديث.

فـ «لا إله إلا الله، محمدٌ رسولُ الله» هي كلمةُ الإسلام، وعنها يُسألُ العبادُ يومَ القيامة، فلا تَزولُ قدما العبدِ بينَ يدي اللهِ حتى يُسألَ عن مسألتَين: **ماذا كنتم**

(١) متفق عليه: رواه البخاري(٨)، ومسلم (١٦).

تعبدون؟ وماذا أجبتم الـمرسلين؟

فجوابُ الأولى: بتحقيقِ «لا إله إلا الله» معرفةً وإقراراً وعملاً.

وجوابُ الثانية: بتحقيقِ «أن محمداً رسولُ الله» مَعرفةً وإقراراً، وانقياداً وطاعةً.

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ ومعناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، فهو الإلهُ الـحقُّ سبحانَه في عُلاه.

قالَ تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة]. وقالَ تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ تَشتمِلُ على جُزأين:

الـجزء الأول: النَّفيُ «لا إله» نافيةٌ جميعَ ما يُعبدُ من دونِ الله.

الـجزء الثاني: الإثباتُ «إلا الله» مُثبِتةً العبادةَ للهِ تعالى وحدَهُ فهو الإلهُ الـحقّ.

قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)﴾ [لقمان].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ التي شَهِدَ اللهُ بها لنفسِه، وشَهِدَ له ملائكتُهُ وأولوا العلمِ من خلقِه.

قالَ تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٨-١٩].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ هي الكلمةُ الطيبةُ

قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ هي العُروةُ الوُثقى.

قالَ تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ هي أفضلُ شُعبِ الإيمانِ

قالَ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١).

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ أفضلُ الذكرِ، وأفضلُ الدُّعاء.

قالَ ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٢). وقالَ ﷺ: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةٍ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»(٣).

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ خَلقَ اللهُ الخلق من أجلِها.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: ليُوحِّدونِ، أي: ليقولوا «لا إله إلا الله».

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ من أجلِها أرسلَ اللهُ الرُّسلَ، وأنزلَ الكتبَ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٥).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٦٦٧)، [«صحيح الترغيب» (١٥٢٦)].

(٣) **حسن**: رواه مالك (٥٠٠)، والبيهقي (٥/ ١١٧)، [«صحيح الجامع» (١١١٣)].

قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل].

• «لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ من أجلِها قامَتِ الحروبُ بينَ المؤمنينَ والكافرين.

قالَ تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وقالَ ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[1].

«لا إله إلا الله» كلمةُ التَّوحيدِ، مَنْ عَلِمَ معناها وعَمِلَ بمُقتضاها وجاءَ بشُروطِها نفعَته في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١).

وشروطُ «لا إله إلا الله» ثمانيةٌ:

الشرط الأول: العلمُ المنافي للجهل

قالَ تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

وقالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

الشرط الثاني: اليقينُ المنافي للشَّكّ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وقالَ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

وقالَ ﷺ لأبي هريرةَ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[٣].

الشرط الثالث: القَبولُ المنافي للرد.

قالَ تعالى في وصفِ أهلِ «لا إله إلا الله»: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

وقالَ تعالى في وصفِ الـمُجرمينَ الذين كفَروا بـ«لا إله إلا الله»: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣١).

الشرط الرابع: الانقيادُ المنافي للتَّرك.

والانقيادُ لـ «لا إله إلا الله» هو الاستسلامُ لما دلَّت عليه، قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ أي: ينقاد، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: وهو مُوحِّد، ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ «لا إله إلا الله». ومعنى ذلك: من أسلمَ وجهَه وانقادَ لله فقد استمسَكَ بلا إله إلا الله، ومن لم يُسلِم وجهَه ولم يَنقدْ للهِ فإنه لم يَستمسِك بلا إله إلا الله.

الشرط الخامس: الصدقُ المنافي للكذب.

قالَ تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ**»[1].

فالـمنافقونَ قالوا «لا إله إلا الله» وهم من أكذبِ الناس وفي الدَّركِ الأسفلِ من النّار.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

الشَّرطُ السادس: الإخلاصُ المُنافي للشِّرك.

قالَ تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

وقالَ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله»، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١).

الشَّرطُ السابع: المحبةُ المنافيةُ للبغض.

قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۝١٦٥﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام].

وقالَ ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢).

الشرط الثامن: الكفرُ بالطواغيت.

والطّاغوتُ هو: كلُّ ما يُعبدُ من دونِ الله برضاه، قالَ تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٩٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(١).

أمة التوحيد! المُوحِّدونَ أهلُ «لا إله إلا الله» الذين عَلِموا معناها، وعَمِلوا بمُقتضاها، وجاؤوا بشروطِها، يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابه، ورسولُهم محمدٌ ﷺ في سُنَّتِهِ بما يلي:

أولاً: بالحياةِ الطّيِّبةِ والأمنِ والأمانِ في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ -أي: المُوحِّدونَ أهل «لا إله إلا الله»- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

ثانياً: بالأجرِ الكبيرِ والفضلِ العظيم

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

ثالثاً: بالحصنِ الحَصينِ من الشَّيطانِ الرجيم

قالَ تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ -أي: الذين وحَّدوني- ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣).

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الـمُلْكُ وَلَهُ الـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا» -أي: حصناً- «مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»(١).

رابعاً: بتَثقيلِ الميزانِ يومَ القيامة

تُنصَبُ الـموازينُ يومَ القيامةِ من أجلِ «لا إله إلا الله».

قالَ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ -هم الـموحدون أهلُ «لا إلهَ إلا الله»- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف] -وهم الذين كفروا بـ«لا إله إلا الله-».

وقالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الـخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الـحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى! إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتُخْرَجُ بطاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: أُحْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوْضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلتِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣).

البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيءٌ»(١).

ويقولُ ﷺ في حقِّ الـموحِّدِ الذي قالَ: «لا إلهَ إلا الله» وعَلِمَ مَعْناها وعَمِلَ بمُقتضاها، وجاءَ بشُروطها: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُما**» -أي: ساقَي ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه- «**فِي الـمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**»(٢).

• أما الذي كَفَرَ بـ «لا إله إلا الله» فلا وزنَ له يومَ القيامة.

قالَ تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان].

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف]»(٣).

خامساً: بشفاعتِه ﷺ يومَ القيامة

قالَ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيامَةِ، مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مُخلصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِه**»(٤).

وقالَ ﷺ: «**لَقَدْ أُعْطِيْتُ اللَّيْلَةَ خَمْساً مَا أُعطِيهنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**» إلى أن قال ﷺ: «**وَالـخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ؟ قِيلَ لِي: سَلْ؛ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (١٥٣٣)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٥)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٤٠)، والطيالسي(٣٥٣)، والحاكم (٥٣٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٠)].

(٤) **متفق عليه**: البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

يَوْم القِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ، وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»(١).

سادساً: يُبشِّرُ اللهُ الموحِّدينَ في كتابِه ورسولُ اللهِ ﷺ في سنَّتِه بالفوزِ بالجنةِ والنَّجاةِ من النّار.

قالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد].

• قالَ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»(٢).

وقالَ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وابنُ أَمَتِه، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الـجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارُ حَقٌّ، وَأَنَّ البَعْثُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الـجَنَّةَ -عَلَى مَا كَانَ مِنَ عَمَلٍ- مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الـجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»(٤).

وقالَ ﷺ: ««أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٩).

(٢) حسن: رواه أحمد(٢/ ٢٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٣٤)].

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨).

وقالَ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(١).

وفي حديثِ الشَّفاعةِ يقولُ ﷺ: «... فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(٢).

وقالَ ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ، حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيَخْرُجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَرُشُّ عَلَيْهِم أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ»(٣).

وقالَ ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ يَقُولُ الكُفَّارُ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُم وَقَد صِرْتُم مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا، فَيُسْمَعُ مَا قَالُوا، فَأُمِرَ بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجَ كَمَا خَرَجُوا، قَالَ: وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾» [الحجر](٤).

وقالَ ﷺ: «إِذَا أَخْرَجَ اللهُ أَهْلَ النَّارِ مِنَ النَّارِ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَمَنَّى الآخَرُونَ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ»(٥).

فما هي البُشرى الرّابعةُ التي بشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـخُطبةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّةٌ.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٩٧)، وأحمد (٣/ ٣٩١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٥١)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني (٨٠٤٨)، والحاكم (٢٩٥٤)، [«ظلال الجنة» (٨٤٣)].

(٥) **صحيح لغيره**: رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٠١)، [«ظلال الجنة» (٨٤٤)].

٥

تبشيرُه ﷺ لأهلِ القرآنِ بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ].

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلُؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويّةِ العَطِرة ألا وهي: تبشيرُه ﷺ لأهلِ القرآنِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• القرآنُ كلامُ اللهِ، منه بدأ وإليه يعود، نَزلَ به جبريلُ الأمينُ على قلبِ رسولِنا ﷺ ليكونَ به من الـمُنذِرينَ بلسانٍ عربيٍّ مبين.

قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ -أي القُرآن- ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف].

• القرآنُ مَنْ تمسكَ به، وعَمِلَ بمقتضاهُ فلا يَضِلُّ في الدُّنيا، ولا يَشقى

في الآخرة، ومن تَركَهُ وأعرضَ عنهُ عاشَ في الدُّنيا عيشةً ضنْكا، وحُشِرَ يومَ القيامة أعمى.

قالَ تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه].

وقالَ ﷺ: «**خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(١).

• القرآنُ فيه نبأُ مَنْ قبلَنا، وخبرُ مَنْ بعدَنا، وحكمُ ما بينَنا، هو الفَصلُ ليسَ بالهزْلِ، من تَركَه من جبّارٍ قَصمَه اللهُ، ومن ابتَغى الهدى في غيرِه أضلَّه الله، هو حبلُ الله المتين، ونورُهُ المبين، وهو الذِّكرُ الحكيمُ، والصِّراطُ المستقيم، من قالَ بِه صَدَقَ، ومن حَكَمَ به عَدلَ، ومن عَمِلَ به أُجِر، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم.

قالَ تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقالَ تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود].

وقالَ تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء].

(١) **صحيح**: رواه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبزار(٨٩٩٣)، والحاكم (٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

• القرآنُ نورٌ أنزلَهُ اللهُ على رسولِهِ ﷺ ليُخرجَ البشريةَ من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ: من ظلماتِ الكفرِ إلى نورِ الإيمان، ومن ظُلماتِ الشِّركِ إلى نورِ التَّوحيدِ، ومن ظُلُماتِ الـجهلِ إلى نورِ العلم.

قالَ تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة].

• القرآن شفاءٌ لما في الصُّدورِ، وهدىً ورحمةٌ وبُشرى للمؤمنين، إذا قُرئَ في بيتٍ طردَ الشّياطين، ونَزلَت الـملائكةُ لسماعِهِ:

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس].

وقالَ تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

وقالَ ﷺ: «**لا تَجعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٨٠).

بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[١].

وقال ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ المَلَكُ خَلْفَهُ فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ -أَوْ كَلِمَةٌ نَحْوَهَا- حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ إِلاَّ صَارَ فِي جَوْفِ المَلَكِ؛ فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلقُرْآنِ**»[٢].

• القرآنُ ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود]. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص].

• القرآنُ الكتابُ الوحيدُ الذي لم يَصِل إليه تحريفٌ ولا تغييرٌ ولا تبديلٌ كما وَقَعَ في الكُتبِ الأخرى كالتَّوراةِ والإنجيل، فاليَهودُ حرَّفوا التَّوراةَ، والنَّصارى حرَّفوا الإنجيلَ، والقرآنُ محفوظٌ بحفظِ الله.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:٩]. وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت].

أما أهلُ القرآنِ فهم أهلُ الله وخاصتهُ؛ قالَ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: مَنْ هُمْ يا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ: «أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»**[٣].

• أهلُ القرآنِ هم الذينَ يتلونَهُ حقَّ تلاوتهِ، ويَتدبَّرونه.

قـالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) **حسن صحيح**: رواه البزار (٦٠٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢١٥)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢١٥)، والنسائي في الكبرى (٨٠٣١)، وأحمد (٣/ ١٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٣٢)].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [المائدة].

• ومن الأمثلة على ذلك:

١- هذا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه خَرجَ يَعسُّ الْمدِينَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَمرَّ بدَارِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فوَافَقَهُ قَائِمًا يُصَلِّي، فوَقَفَ يَسْتَمِعُ قِرَاءَتَهُ فقَرَأَ: ﴿وَٱلطُّورِ ١﴾ حتَّى بَلَغَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ قَالَ: قَسَمٌ -وَرَبِّ الْكَعْبَةِ- حَقٌّ. فَنزَلَ عَنْ حِمَارِهِ واسْتَنَدَ إِلَى حَائِطٍ، فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ رَجعَ إِلَى مِنْزِلِهِ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَعُودُهُ النَّاسُ، لَا يَدْرُونَ مَا مَرَضُهُ، رضي الله عنه [1].

٢- وهذا أبو طلحةَ رضي الله عنه لَـمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةِ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ تدبَّرَها وفَهِمَهَا فجاءَ إلى رسولَ الله ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إنَّ الله تَعالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وإنَّ أحبَّ مالي إليَّ بيرحاء، وإنَّها صَدَقَةٌ للهِ تَعالَى، أَرْجُو بِرَّها وذُخْرَها عِندَ الله تَعالَى، فَضَعْها يا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فقَالَ رسول الله ﷺ: «**بخ! ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِح، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تجعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». فقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله. فقَسَمها أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ [2].

• أهلُ القرآنِ هم الذين يتلونَه آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النهارِ، وإذا سَمِعوه وَجِلَتْ قلوبُهم.

قالَ تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر].

---

(١) ذكره «ابن كثير» (٦/ ٨) من طريق ابن أبي الدنيا، وابن عساكر (٤٤/ ٣٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال].

• أهلُ القرآنُ هم أهلُ السنةِ، وأهلُ السُّنَّةِ هم أهلُ القرآن، فلا يُستغنى بالقرآنِ عن السُّنَّةِ، ولا يُستَغنى بالسُّنَّةِ عن القرآن.

قالَ تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [التغابن:١٢]. وقالَ تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠].

وقالَ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَّ الْحَوْضَ**»(١).

وقال ﷺ: «**يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَّا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهِ**»(٢).

فأهلُ القرآنِ هم أهلُ السُّنَّةِ الذين يَتمسّكونَ بالكتابِ والسُّنَّةِ، ويتأسَّونَ برسولِ اللهِ ﷺ الذي قالَت عائشة رضي الله عنها عنه: «**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ**»(٣) فأهلُ القرآنِ يُحِلُّونَ حلالَه، ويُحرِّمونَ حرامَه، ويأتمِرونَ بأمرِه، ويَنتهونَ عن نَهيِه، ويتأدَّبونَ بآدابِه.

أمةَ القرآن! وأهلُ القرآنِ الذينَ يقرؤونَه بالليلِ والنَّهارِ، ويُحِلُّون حلالَهُ ويُحرِّمونَ حرامَه، ويتأدَّبونَ بآدابِهِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه ورسولُهُم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

---

(١) **صحيح**: رواه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبزار (٨٩٩٣)، والحاكم (٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٢)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والطبراني (٢٠/ ٢٧٤، ٦٤٩)، والحاكم (٣٧١)، [«صحيح الجامع» (٨١٨٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٦).

أولاً: تجارتُهم بالقرآن مع الله عزَّ وجلَّ تجارةٌ رابحة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر].

وقال ﷺ: **«مَنْ قرأَ حرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ وَلكنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**(١).

وقال ﷺ: **«أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطحَانَ(٢) أَوْ إِلَى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بناقَتَيْنِ كومَاوَيْنِ(٣) فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ، أفَلا يَغْدُو أَحَدُكُم إِلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِن أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبلِ»**(٤).

وقال ﷺ: **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَة؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَهُ ثُلُثَ القُرْآنِ»**(٥).

وقال ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ [مِنَ الأجر]، وَالْقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ: اقْرَأْ وَارْقَ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ، يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ للعَبْدِ: اقْبِضْ، فَيَقُولُ العَبْدُ بِيَدِهِ: يَا رَبِّ! أَنْتَ أَعْلَمُ. يَقُولُ: بِهَذِهِ»** -أي: اقبض بيمينك- **«الْخُلْدُ وَبِهَذِهِ»** -أي بشمالك- **«النَّعِيمُ»**(٦).

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢١٦) [«صحيح الجامع» (٦٣٤٥)].

(٢) بطحان: واد في المدينة.

(٣) كوماوين: عظيمة السنام من الإبل.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٣).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٨٠٣).

(٦) **حسن**: رواه الطبراني (١٢٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٨)].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ قَامَ بعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الـمُقَنْطِرِينَ**»(١). نعم والله إنها تجارةٌ رابحةٌ!

ولذلكَ قالَ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(٢).

ثانياً: بالرفعةِ في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١] والقرآنُ أفضلُ العلمِ. وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الله يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(٣).

• **ففي الدنيا: يجعلُهم أئمةً**

قالَ ﷺ: «**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله**»(٤). وهذه رفعةٌ لحاملِ القرآنِ وإنْ كانَ صبياً فهو الذي يؤمُّ القومَ.

• عن عمرو بنِ سلمةَ رضي الله عنه قال: (لَـمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي وَقَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ فَلَـمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَالله مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا. فَقَالَ: «**صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا**» فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرُ قُرْآنًا مِنِّي لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن حبان (٢٥٧٢) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٩)].
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٧).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧٣).

سَبْعِ سِنِينَ)(١).

• **وفي الآخرةِ يرفعُهم فوقَ غيرهم.**

• قالَ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيَقُولُ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»(٣).

ثالثاً: يُبشِّرُهم بشفاعةِ القرآن لهم يومَ القيامة

• قالَ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(٤).

• وقالَ ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآن يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ**»(٥).

• وقالَ ﷺ: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مِنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي فى الكبرى (٨٠٥٦)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٤٠)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم (٢٠٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٥)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٤).

(٥) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، وابن المبارك في المسند (٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٤)].

(٦) **صحيح**: الطبراني (٨٦٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) عن ابن مسعود، ومن حديث جابر رواه ابن حبان (١٢٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٠١٩)].

• وقالَ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِه الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِه، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[(١)]، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[(٢)].

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[(٣)].

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا هِيَ إِلاَّ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفِعَتْ لِرَجُلٍ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ»[(٤)].

رابعاً: يبشرُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه، ورسول الله ﷺ في سنته حمَلَةَ القرآنِ بالهدايةِ وعدمِ الضلال، والخيرية.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وقالَ تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النمل].

وقالَ تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ [طه].

وقالَ ﷺ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلِكُوا، وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً»[(٥)].

(١) شرق: أي: ضياء ونور.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٥).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٨٩١)، والنسائي في الكبرى (١٠٥٤٦)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وأحمد (٢/ ٢٩٩) [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٧٤)].

(٤) **حسن**: رواه الحاكم (٣٨٣٨)، وعبد بن حميد (١٤٤٥)، [«صحيح الجامع» (٢٠٨٨)].

(٥) **صحيح**: رواه البزار (٣٤٢١)، والطبراني في الكبير (١٥٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٢)].

وقالَ ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلى الهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»(١). وقال ﷺ: «خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»(٢).

ولذلكَ قالَ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه عندَما طلبَ منه أن يوصِيَه: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهَا رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ».قلتُ: يا رسولَ الله! زِدني. قال: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ»(٣).

وقالَ ﷺ: «مَن سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ ورسولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الـمصحف»(٤). وقالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٥).

خامساً: يُبشرُ حملةَ القرآنِ بالفوزِ العظيمِ في جنات النعيم.

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

وقالَ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الـجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) **صحيح**: رواه الدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبزار (٨٩٩٣)، والحاكم (٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن حبان (٣٦١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٢)].

(٤) **حسن**: رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٠٩)، والبيهقي فى الشعب (٢٢١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٢)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧).

لكُلِّ آيَةٍ دَرَجَة، حتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»[(١)]. وقالَ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ»**[(٢)]. وقالَ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ»**[(٣)].

وقالَ ﷺ: **«المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُه وَيَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»**[(٤)].

فالقرآنُ كلامُ الله، جعله اللهُ في صدور الذين أوتوا العلم. قالَ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

فقاموا به اللَّيلَ، وصاموا بسببه النَّهارَ، فسَعِدوا في الدُّنيا والآخرة، قالَ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة].

فيا أمّةَ القرآنِ عليكُم بالقرآنِ حِفظاً وتلاوةً وفهماً وتدبُّراً، وعَملاً بما فيه لتكونوا من أهلِه لتَسعَدوا في الدُّنيا والآخرة.

ما هي البُشرى الخامسةُ التي بشَّرَ بها النبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الخُطبةِ القادمة -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٧٨٠)، وأحمد (٣/ ٤٠)، [«صحيح الجامع» (٧٩٧٧)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في الكبرى (٩٩٢٨)، والطبراني (٧٥٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٩٥)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٥ / ٤٣٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٨٩)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٥٣)، ومسلم (٧٩٨).

٦

تبشيرُه ﷺ للواصلينَ أرحامَهم بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليوم - إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مَع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة، ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للواصلينَ أرحامَهم بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

قطيعَةُ الأرحام ظاهرةٌ خطيرةٌ انتشرَت في هذا الزَّمانِ بسبب البُخلِ والشُّحِّ وحُبِّ المالِ؛ فهذا أخٌ قطعَ أخاهُ، وهذا أخٌ قطعَ أُختَه، وهذا رجلٌ قطعَ عمَّهُ وعمَّتَهُ، وخالَه وخالتَهُ من أجلِ الدُّنيا الفانية.

والنَّبيُّ ﷺ حذَّر من ذلك فقال: «**إيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا**»(١).

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٩٨)، وهناد في الزهد (١٠٢٠)، والبيهقي (٤/ ١٨٧)،[«صحيح الجامع» (٢٦٧٥)].

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ ذِي رَحِم يَأْتِي رَحِمَهُ فَيَسْأَلُهُ فَضلاً أَعْطَاهُ اللهُ إيّاه فيَبْخَلُ عَلَيْهِ؛ إلا أُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةٌ يُقَال لَهَا: شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ، فَيُطَوَّقُ به**»(١).

اللهُ أكبرُ! هذا العذابُ لمن جاءَهُ ذو رحم يطلبُ فضلاً -أي: شيئاً زائداً- فما بالُكم بمن جاءهُ رحِمُهُ يطلبُ حقَّه من الـميراثِ -مثلاً- فيَمنعُه؟!

وقالَ ﷺ: «**ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أن يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِه العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا -مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ- مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ**»(٢).

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ في أرحامِكم، واعلَموا أن الصَّدقةَ على الرَّحمِ أجرُها مضاعفٌ وعظيمٌ عندَ الله.

• قالَ ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الـمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحْمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وصِلَةٌ**»(٣).

• وقالَ ﷺ لِزَيْنَبَ امْرَأَةِ ابنِ مَسْعُود رضي الله عنهما عِنْدَمَا سَأَلَتْهُ عَنْ الصَّدَقَةِ عَلَى زَوْجِها، وَأَيْتَام فِي حِجْرِها؟ «**لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ القَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»(٤).

• ولما قالَ أبو طلحةَ رضي الله عنه يا رَسُولَ الله! إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعالَى يَقُولُ: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وَإنَّ أحبَّ مالي إلَيَّ بيرُحاء، وَإنَّها صَدَقَةٌ للهِ تَعالَى، أَرْجُو بِرَّها وذُخْرَها عِنْدَ اللهِ تَعالَى، فَضَعْها يا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**بَخٍ، ذَلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلكَ مَالٌ رَابِح، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي**

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٢٣٤٣)، وفي الأوسط (٥٥٩٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٤٨)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، أحمد (٥/ ٣٦)، والبخاري في الأدب الـمفرد (٢٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٩١٨)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٦٥٨)،. والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وأحمد (٤/ ١٨)، « إرواء الغليل » (٣/ ٣٨٧)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) .

أَرَى أَنْ تجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَسَمها أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[١].

- **فالرَّحِمُ شأنُها في الإسلام عظيمٌ، ولذلك:**

- **أمرَ اللهُ في كتابِه بوَصلِها، ولعَنَ من قطعَها**

فقالَ تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦].

وقالَ تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

- **وأمرَ ﷺ في سُنَّتِه بوَصلِها وحذَّر مِن قَطعِها.**

فقالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[٢]. وقالَ ﷺ: «**اتَّقُوا اللهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ**»[٣]. وقالَ ﷺ: «**بُلُّوا أَرْحَامَكُم وَلَوْ بِالسَّلاَمِ**»[٤]. وقالَ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الـجَنَّةَ قَاطِعٌ**» وفي رواية: «**يَعْنِي: قَاطِعُ رَحِمٍ**»[٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦١٣٨).

(٣) **حسن**: رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٢٧) [«السلسلة الصحيحة» (٨٦٩)].

(٤) **حسن**: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٦٠٢)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٣/ ١١٩) [«السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧)]

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

• «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»(١). والله سائلُنا عنها يومَ القيامة.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١]. أي اتَّقوا الأرحامَ أن تَقطعوها.

قالَ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ! خَلَقْتُ الرَّحِمَ؛ وَشَقَقْتُ لها اسماً مِنِ اسْمِي، مَنْ وَصَلَها؛ وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعها؛ بَتَتُّهُ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ(٣) مِنَ الرَّحْمَن، فإذا كَانَ يوْمُ القِيَامَة تَقُولُ: أي ربِّ! إنِّي ظُلِمْتُ! إنِّي أُسيءَ إليَّ! إنِّي قُطِعْتُ! قَالَ فَيُجِيبُها ربُّها: ألاَ تَرْضَينَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، وأَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ؟!**»(٤).

عبادَ الله! أمَّا الواصلونَ أرحامَهم فهم الذين يَصِلونَ أرحامَهم وإن قَطعتْ، وإن أدبرتْ.

• قال ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(٥).

• ويقولُ أبو ذرٍ رضي الله عنه: (أوصاني خليلي أن أصِلَ رَحِمي وإن أدْبَرَتْ»(٦).

• وقال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونني، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٠٧)، وأبو داود (١٦٩٤)، وأحمد (١/ ١٩٤)، [«صحيح الجامع» (٤٣١٤)].

(٣) (شِجنةٌ من الرحمن) أي: مشتقةٌ من اسم الرحمن.

(٤) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٣٨)، وابن حبان (٤٤٤) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٠)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٩١).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٩) وابن حبان (٤٤٩)، والطبراني في الأوسط (٥٦٣٩) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٥)].

وَيُسيئُونَ إليَّ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَما قُلْتَ، فَكَأَنَّما تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

• الواصِلونَ أرحامَهم هم الذين يَخشَونَ ربَّهم ويَخافونَ سوءَ الـحساب.

قالَ تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد].

• الواصلون أرحامَهم هم الذين يَعلَمونَ أنهم إلى ربِّهم راجعونَ، وأمامَهُ موقوفونَ، وعن أرحامِهم سيُسألون.

قالَ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]. وقالَ تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف]. وقالَ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الـحجر].

أيُّها الواصلُ للرَّحم! أيها القاطعُ للرحم!

مَثِّل وقوفَك يومَ العرضَ عُريانا ... مُستوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حَيرانا
والنّارُ تَلهَبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العُصاةِ وربُّ العَرشِ غَضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عبدي على مهَلٍ ... فهل تَرى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأت ولم تُنكِر قراءتَه ... إقرارَ من عَرَفَ الأشياءَ عِرفانا
نادى الـجليلُ خُذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنَّارِ عَطشانا
الـمجرمونَ غداً في النّار يلتَهِبوا ... والـمؤمنونَ في دارِ الـخلدِ سكانا

الواصلونَ أرحامَهم ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّته بما يلي:

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٨).

أولاً: بزيادة المال وسَعة الرزق وطول العمر

• قالَ ﷺ: «**إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِم، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لِيَكُونُوا فَجَرَةً، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**(٢)**، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**صِلَةُ الرَّحْمِ وَحُسْنُ الـجِوَارِ أَوْ حُسْنُ الـخُلُقِ يُعَمِّرَانِ الدِّيَارِ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ**»(٤).

ثانياً: يبشرهم بأن صلةَ الرحم من أحبِّ الأعمالِ إلى الله وأفضلها.

• عن رجلٍ من خثعمٍ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في نفرٍ من أصحابهِ فقلتُ: أنت الذي تزعُم أنك رسولُ الله؟ قال: «**نَعَمْ**». قال: قلتُ: يا رسول الله! أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الإِيمَانُ بِاللهِ**» قال: قلتُ: يا رسول الله! ثُم مَهْ؟ قال: «**ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ**» قال: قلتُ: يا رسول الله! ثُم مَهْ؟ قال: «**ثُمَّ الأَمْرُ بِالـمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**» قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الأعمال أبغضُ إلى الله؟ قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**» قال: قلتُ: يا رسول الله! ثُم مَهْ؟ قال: «**ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحْمِ**» قال: قلتُ: يا رسول الله! ثُم مَهْ؟ قال: «**ثُمّ الأَمْرُ بِالـمُنْكَرِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الـمَعْرُوفِ**»(٥).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن حبان (٤٤٠) والطبراني في الأوسط (١٠٩٢) [«السلسلة الصحيحة» (٩١٨، ٩٧٨)].

(٢) (وينسأ له في أثره) أي: يزاد له في عمره.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٤)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٢)].

• وعن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه قال:....... ثم لقيتُ رسول الله ﷺ فأخذتُ بيده فقلتُ: يا رسول الله! أخبرني بفواضل الأعمال. قال: «**يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(١).

ثالثاً: يبشرهُم رسولُ اللّه ﷺ أن صلةَ الأرحامِ تُوصِلُ صاحبَها إلى أعلى المنازلِ في الدنيا والآخرة.

• قالَ ﷺ: «**إِنَّما الدُّنْيا لأربعةِ نَفَر: عَبْدٌ رزَقَهُ اللهُ مالاً وعِلْماً، فَهُوَ يَتّقِي فيه رَبَّهُ، ويَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، ويَعلمُ للهِ فيهِ حقًّا، فهَذَا بِأَفْضَلِ الـمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ -عزّ وجلّ- علماً وَلَمْ يَرْزقْهُ مالاً، فَهُوَ صَادقُ النيّةِ، يقول: لَو أَنَّ لي مالاً لَعَمِلْتُ بعملِ فلانٍ، فَهْوَ ونيَتَهُ فأجرُهُمَا سواء، وَعَبْدٌ رزقهُ اللهُ مالاً ولَمْ يَرزقْهُ علماً وهُوَ يَخبط في مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْم، لاَ يَتّقِي فِيهِ ربَّه، وَلَا يَصلُ فِيهِ رَحِمَه، وَلاَ يَعْلمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فهذا بَأَخْبَثِ الـمنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَم يَرْزقْهُ اللهُ مالاً ولا عِلماً، فهُوَ يقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فيه بِعَملِ فلانٍ، فَهُوَ نيّتِهِ، فَوِزْرُهُما سَواءٌ**»(٢).

رابعاً: يُبشِّرُهم رسولُ اللّه ﷺ أن صلةَ الأرحامِ من خصالِ الخير.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: «أَوْصَانِي أَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كنزٌ من كنوز الـجنة»(٣).

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٤٨، ١٥٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٦)]

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، وابن حبان (٤٤٩)، والطبراني في الأوسط (٧٧٣٩) [«السلسلة الصحيحة» (٢١٦٦)]

خامساً: الواصلُ للأرحام لا يُخزيه اللّه أبداً، واللّهُ معهُ يحفظه وينصرهُ ويوفقهُ.

لَـمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْغَارِ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُ جبريل لأَوَّلَ مرة، رَجَعَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ بَعْدَمَا أَخْبَرَهَا الـخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: (كَلَّا وَاللهِ! لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحمِلُ الكُلَّ، وَتَكْسِبُ الـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الـحَقِّ)[1].

سادساً: صلةُ الأرحام سببٌ لقبولِ الأعمال.

قالَ ﷺ: «**إِنَّ أَعْمالَ بَنِي آدمَ تُعْرضُ كُلَّ خَميسٍ لِيْلَةَ الـجُمُعةِ، فَلاَ يُقبَلُ عَمَلُ قَاطِعُ رَحِم**»[2].

كيفَ لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

وواصلُ الرَّحم من الـمُتَّقين.

سابعاً: صلةُ الأرحامِ سببٌ لدخولِ الجنّة.

• قالَ تعالى في وصفِ أهلِ الـجنَّة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ إلى أن قالَ ربُّ العزَّة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

• وسأل أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ عن عملٍ يُقرِّبُه من الـجنّةِ ويباعدُه من النّار، فقالَ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦١)، وأحمد (٢/ ٤٨٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٨)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

• وقالَ أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسولَ الله! أنبئني عن أمرٍ إذا عَمِلتُ به دَخَلتُ الجنة. قال صلى الله عليه وسلم: «**أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلِ الجنة بسلامٍ**»(١).

• ويقولُ عبدُ الله بنُ سلام رضي الله عنه: لما قَدِمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ انجَفَلَ الناس عليه -أي: أقبلوا عليه- وكنت فيمن انجفل، فلما رأيتُه عرفتُ أن وجهَه ليسَ بوجهِ كذّابٍ. فكانَ أولَ شيءٍ سمعتُه يقول: «**يا أيُّها الناسُ! أَفْشوا السَّلَامَ، وَأَطْعِموا الطَّعَامَ، وَصِلوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلوا الجنة بسلامٍ**»(٢).

فأبشِر يا واصلَ الرَّحم بسعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، وأبشِر يا قاطعَ الرَّحم بعذاب الدُّنيا والآخرةِ، فالرَّحمُ مُعلَّقةٌ بالعَرشِ تقولُ: من وَصلَني وَصلَهُ اللهُ -أي: وصلَهُ إلى كلِّ خيرٍ-، ومن قَطعَني قطعهُ اللهُ -أي: قطعَهُ عن كلِّ خيرٍ- فاتَّقوا اللهَ عبادَ الله في أرحامكُم! واعلَموا أن اللهَ سائلُكم عنها يومَ القيامة.

عبادَ الله! ما هي البُشرى السّادسةُ التي بَشَّرَ بها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه وأمّتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى-

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥)، وابن حبان (٥٠٨)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٣٨)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والحاكم (٣/ ١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٤٩)].

٧

تبشيره ﷺ للبارِّين آباءهم بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة].

• موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةٍ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة، ألا وهي: تَبشيرُهُ ﷺ للبارِّينَ آباءَهم بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

الآباءُ (الأبُ والأمُّ) فَضلُهم على الأبناءِ عظيمٌ جداً بعدَ فَضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ وذلكَ لأن الآباءَ هم سببُ وجودِ الأبناءِ في هذه الدُّنيا، ولذلك أمرَ اللهُ الأبناءَ ببرِ الآباء.

فقالَ تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء]. وقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦].

بل وصَّى الله عزَّ وجلَّ الأبناءَ بالآباءِ

فقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان:١٤]. وقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]. وقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥].

ووَصَّى النَّبيُّ ﷺ في سنَّتِه الأبناءَ بالآباء

• عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتِسْعٍ، منها: «**وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دنياك؛ فاخرج لهما**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ**»(٢).

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أَبُوكَ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**»(٤).

• وعن أبى بُرْدَةَ؛ أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ، ورجلٌ يمانيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ -حَمَلَ أُمَّهُ وراء ظهره- ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ عُمَرَ! أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا. وَلَا بِزَفْرَةٍ واحدة»(٥).

برُّ الآباءِ من أخلاقِ الأنبياءِ والصَّحابةِ والصّالـحِينَ من عبادِ الله.

---

(١) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (١٨)، والـمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٩١١) [«صحيح الأدب الـمفرد» (١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (٦٠)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (٣٦٦١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٦٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٥١٠).

(٥) رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (١١).

• أما الأنبياءُ

فهذا نوحٌ عليه السلام يقولُ في دعائِه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

وهذا إبراهيمُ عليه السلام يقولُ في دعائِه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وهذا عيسى عليه السلام يقولُ الله -عزَّ وجلَّ عنه-: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

وهذا يحيى عليه السلام يقولُ الله عنه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم].

• أما الصحابة رضي الله عنهم **:**

• فهذا أبو هريرةَ رضي الله عنه مع أمِّهِ الـمشركةِ قبلَ أن تُسلِمَ. يقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»** فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَـمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَبْشِرْ فَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا»[١]. رضى الله عنك يا أبا هريرة والله! إنَّ هذا لـهُوَ البر.

• وبعدَ أن أسلمَتْ أُمّهُ كانَ رضي الله عنه إذَا دَخَلَ عَلَيْها صَاحَ بأَعْلَى صوته: «عَلَيْكِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ يا أُمَّتَاهُ! تقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ. يَقُولُ: رَحِمَكِ اللهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا. فَتَقُولُ: يا بُنَيَّ! وَأَنْتَ. فَجزَاكَ اللهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ، كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا»[٢].

• وهذه أَسْمَاءُ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ تَقُولُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: قَدمتْ علي أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ -أي طَامِعة فيما عِنْدِي تَسْأَلُنِي البِرَّ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهَا- أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»[٣].

• وهذا ابنُ عمرَ رضي الله عنهما كان باراً بوالدِهِ في حياته وبعد موته ومن الأدلة على ذلك:

• كَانَ ابْنِ عُمَرَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ، إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَالْعِمَامَةَ قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللهُ لَكَ، أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩١).

(٢) **حسن**: رواه البخاري في الأدب الـمفرد (١٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ** -أي أَصْحَابِ أبيهِ- **بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ رضي الله عنه(١).

• وزارَ ابنُ عمرَ رضي الله عنه رجلاً في الـمدينةِ فقالَ له: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوانَ** -أيْ أصْحَابَ- **أَبِيهِ بَعْدَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي** -**عُمَرَ**- **وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ**»(٢).

وأما الصّالـحونَ من عبادِ الله

• فهذا رجلٌ كان يُقبِّلَ رأس أُمِّهِ، وكانَ لا يمشي فوق ظهر بيتٍ هي تحتَه، إجلالاً لها(٣).

• وهذا رجلٌ بَارٌّ بأُمِّهِ كَانَ يَضَعُ خَدَّهُ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ يَقُولُ لأُمِّهِ: قُومِي ضَعِي قَدَمَكِ عَلَى خَدِّي(٤).

• وهذا رجلٌ بارٌ بأبيهِ، بَلغَ من برِّهِ إياه أنهما كانا في السِّجنِ، وكانَ أبوهُ مريضاً لا يتوضّأُ إلا بماءٍ ساخنٍ، فَمنعَهما السَّجَّانُ من إدخالِ الـحطبِ في ليلةٍ باردةٍ، فلما نام أبوه، قام الابنُ البارُ لوالدهِ إلى إناءٍ وملأهُ ماءً، ثم أدناهُ من الـمصباحِ، ولم يزل قائماً والإناءُ في يده حتى أصبح(٥).

• وقالَ رجلٌ لعمرَ بنِ الـخطّابِ رضي الله عنه: إن لي أُمّاً بلغ بها الكبرُ، وأنها لا تَقضي حاجتَها إلا وظهري مطيَّةٌ لها، فهل أدَّيتُ حقَّها؟! قال: لا، لأنها كانَت تَصنعُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان (٤٣٢)، [«صحيح الـجامع» (٥٩٦٠)].

(٣) «صلاح الأمة» (٥/ ٦٥٣).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٥٦).

(٥) «بر الوالدين» للطرطوشي (ص٧٨).

بكَ ذلك، وهي تَتمنّى بقاءَك، وأنت تَصنعُهُ وتَتمنّى فِراقَها[(١)]!!

برُ الآباء جهادٌ في سبيل الله

• عَن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يُرِيدُ الـجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[(٢)].

• وعنه رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ قَالَ ﷺ: «**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ ﷺ: «**فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**»[(٣)].

بل وقد قدَّمَ النبيُّ ﷺ برَّ الوالدين على الـجهادِ في سبيل الله؛ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الـجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٤)].

عباد الله! البارّون بآبائهم يبشرهم ربهم في كتابه، ورسولهم ﷺ في سنته بما يلي:

أولاً: أيها البارُّ بوالديك! أبشرْ برضا اللهِ عليك، واستجابتهِ لدعائكِ.

• قالَ ﷺ: «**رِضَا الرَبِّ فِي رِضَا الوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا**»[(٥)].

---

(١) «مختصر بر الوالدين» لعبد الرؤوف الـحناوي.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (١٨٩٩)، والبزار (٢٣٩٤)، والـحاكم (٤/ ١٦٨)، ولفظ الترمذي «رضا الرب في رضا الوالد» [«السلسلة الصحيحة» (٥١٦)].

• وعن عمرَ بن الـخطّاب رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**».

وفي رواية: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاستغفِرْ لي، فاستغفَرَ لهُ**»(١).

ثانياً: أيها البارُّ بوالديكَ! أبشرْ بتفريجِ الكُرُباتِ واستجابةِ الدعواتِ

• عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بن الـخطاب رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نفرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَاهُمُ الـمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الـجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**»، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: «اللهمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشجرِ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ -وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ-، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، وَالصِّبيَةُ يتضاغَوْنَ عندَ قدمي، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الـخُرُوجَ منهُ»(٢).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢٧٢) ومسلم (٢٧٤٣).

ثالثاً: أيها البارُّ بوالديك! أبشرْ فإن برَّ الوالدين يُكفرُ الذنوبَ العظيمةَ.

• عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَبِرَّهَا**»(١).

• وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: تُبْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ.

قالَ عطاءُ بنُ يسار: فَذَهَبْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاس: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ»(٢).

رابعاً: أيها البارُّ بوالدَيك! أبشرْ فأنتَ يومَ القيامةِ مع النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ. ولن يَجعلَكَ اللهُ جباراً شقياً.

• جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصليتُ الخمسَ، وأديتُ زكاة مالي، وصمتُ رمضانَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ هَكَذَا** -ونصبَ أصبعيه- **مَا لَمْ يَعِقَّ وَالِدَيْهِ**»(٣).

ويُفهمُ من هذا الحديثِ: أن من بَرَّ والدَيهِ كانَ يومَ القيامةِ مع النَّبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداء.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٠٤)، وأحمد (٢/ ١٣)، وابن حبان (٤٣٥)، والحاكم (٤/ ١٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠٤)].

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣٩/ ٥٢٣-طبعة مؤسسة الرسالة)، وابن أبي خيثمة في التاريخ (١٣٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٥)].

وقالَ تعالى عن عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

قالَ بعضُ السَّلف: (لا تجد أحداً عاقّاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً)(١).

خامساً: أيها البارُّ بوالديك! أبشرْ فإن برَّ الوالدينِ سببٌ لدخولِ الجنة.

• عن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ:** «**مَنْ هَذَا؟**» قَالُوا: «**هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ»(٢).

• وجاءَ رجلٌ إلى أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه فقال: إن أبي لم يزلْ بي حتى زوَّجني، وإنه الآن يأمُرني بطلاقها. قال: ما أنا بالذي آمرك أن تعُقَّ والدَيكَ، ولا بالذي آمُرك أن تُطلِّق امرأتك، غيرَ أنك إن شئت حدَّثتُك بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعتُه يقول: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ**». فحافظ على ذلك البابِ إن شِئتَ، أو دَعْ. قال: فأحسبُ عطاءً قال: فطَلَّقها(٣).

• وهذا رجلٌ قال: أَصَبْتُ ذُنُوبًا لَا أَرَاهَا إِلَّا مِنَ الْكَبَائِرِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكَبَائِرِ، هُنَّ تِسْعٌ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَإِلْحَادٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ، وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ.

قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: أَتَفْرَقُ(٤) مِنَ النَّارِ، وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي، واللهِ!

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥١) والنسائي في الكبرى (٨٢٣٣) وابن حبان (٧٠١٤)، [محققو المسند].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٠٠)، وابن حبان (٤٢٥)، والحاكم (٢/ ٢١٥)، واللفظ لابن حبان، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨٦)].

(٤) (أَتَفْرَقُ) أي: أتخاف وتفزع.

قال: أحيٌّ والداك؟ قُلْتُ: عِنْدي أُمِّي. قَالَ: فَوَاللهِ! لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلامَ، وَأَطْعَمْتَها الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الكبائر(١).

• وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ**». قِيلَ: مَنْ؟ يا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُما أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**»(٢).

برُّ الوالدَينِ شأنهُ في الإسلام عظيمٌ، وفضلُهُ عندَ اللهِ كبيرٌ، كيفَ لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ قرنَ برَّ الوالدَينِ بعبادتهِ، وشُكرَهما بشُكرِه.

فقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾[لقمان].

فالبارُّ لوالدَيه يَتحصَّلُ ببرِّه لوالدَيه على سعادةِ الدُّنيا والآخرة، جعلَني اللهُ وإيّاكُم من البارِّينَ بوالديهم.

• أما أنتَ أيها العاقُّ لوالدَيك! فأبشرْ بسخطِ اللهِ عليك. قالَ صلى الله عليه وسلم: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا**»(٣).

• أيُّها العاقُّ لوالدَيكَ! أبشرْ فإن اللهَ لا يَنظرُ إليكَ يومَ القيامة، ولن يُدخلَكَ الـجنَّةَ. قالَ صلى الله عليه وسلم: «**ثَلاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالـمَرْأَةُ الـمُتَرَجِّلَةُ الـمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُوثُ، وَثَلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الـجَنَّةَ: العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالـمُدْمِنُ الـخَمْرَ، وَالـمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى**»(٤).

(١) رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥١).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (١٨٩٩)، والبزار (٢٣٩٤)، والـحاكم (٤/ ١٦٨)، ولفظ الترمذي «رضا الرب في رضا الوالد»، [«السلسلة الصحيحة» (٥١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه النسائي (٥/ ٨٠)، أحمد (٢/ ١٣٤)، وأبو يعلى (٥٥٥٦)، [«صحيح الجامع» (٣٠٧١)].

• أيُّها العاقُّ لوالديك! أبشِر بلعنةِ اللهِ قالَ ﷺ: **«مَلْعُونٌ مِنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ»**.

وقال ﷺ: «[illegible]»(١).

• أيّها العاقُّ لوالدَيك! أبشِرْ فإن اللهَ لا يقبلُ منكَ صَرْفاً ولا عدلاً.

قالَ ﷺ: **«ثَلاثَةٌ لا يقبلُ اللهُ مِنْهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلاً: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بالقَدَرِ»**(٢).

• أيُّها العاقُّ لوالدَيك! أبشِر فإنك لن تُفلِحَ أبداً، لأن جبريلَ عليه السلام دعا عليك، ورسولُ الله ﷺ أمَّنَ على دعائِه. ووالداك يدعُوانِ عليك، واللهُ يستجيبُ لهما فيك.

• صَعِدَ النبيُّ ﷺ المنبرَ فقال: **«آمينَ، آمينَ، آمينَ»**. ثم قال: **«أَتَاني جِبْرِيلُ** عليه السلام **فَقَالَ: يَا مُحَمّد! مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ»**(٣).

• وقالَ ﷺ: **«ثلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِما»**(٤).

• أيّها العاقُّ لوالدَيك! اعلَم أنهُ كما تَدينُ تُدانُ، والجزاءُ من جنسِ العملِ؛ فمن برَّ والديه برَّهُ أولادهُ، ومن عقَّ والديه عقَّهُ أبناؤُهُ، والعاقلُ من اتَّعظَ بغيرِه، فهذه قصصٌ واقعيّةٌ من حياةِ النّاس:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٢٣) والروياني في مسنده (١٢٠٤) وعنده «أربع لا ينظر الله إليهم» وزاد «مدمن خمر» [«السلسلة الصحيحة» (١٧٨٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه ابن حبان (٤٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩٦)].

(٤) **حسن**: رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٢) الترمذي (١٩٠٥) وأبو داود (١٥٣٦) وابن ماجه (٣٨٦٢) وأحمد (٢/ ٢٥٨) واللفظ للبخاري [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٢)].

القصّةُ الأولى: «أن أحدَ الأغنياءِ لما تُوفِّي أبوه ضَمَّ والدتَه إليه لتَعيشَ تحت كنفه، يقومُ على شأنها... ويَقضي حاجتَها... ولما تَزوَّجَ هذا الغَنيُّ... تزَوَّجَ بامرأةٍ لا تُحِبُّ إلا نفسَها... ولا تَرى في الـحياةِ إلا ذاتَها...وضاقَت بأمِّه ذرعاً... فكانَت تتوعَّدُها بالوَيلِ والثُّبورِ وعظائمِ الأمور!!... وتُكثِرُ الشَّكوى منها لزَوجِها... ودارَت عجلةُ الزمن... وأُصيبَتِ الأمُّ «الـمسكينةُ» بنَوباتِ صرعٍ... واعتراها لمٌ –نوعٌ من الـجنونِ– فأعلنَتِ الزَّوجةُ الـمَنحوسةُ حالةَ التَّمرُّدِ العامِّ... وقالَت لزوجِها: لكَ أن تختارَ إما أنا وإما أمَّك... وتَردَّدَ «الزوجُ» البائسُ أولاً، ثم استقرَّ رأيه على أن يتخلَّصَ من أمِّه!! فماذا فَعَلَ؟

صَعِدَ بوالدتِه في ليلةٍ «مظلمةٍ» على سطحِ البيت، وألقاها... فهَوَت الأمُّ على الأرضِ تَلفِظُ أنفاسَها الأخيرة!!! ثم ماذا؟ مَرَّتِ الأيام... «وبشِّر القتّالين بأن للهِ سيفاً لا ينام».. ابتلى اللهُ هذا الظّالمَ بنَفسِ مرضِ أمِّه... وفي إحدى اللَّيالي «الشاتيةِ الـمظلمة» صَعِدَ على سَطحِ بيتِه، وألقى بنفسِه من نفسِ الـمكانِ الذي ألقى والدتَه منه... فهَوى على الأرضِ يَلفِظُ أنفاسَه الأخيرة... لتَطيرَ إلى ربِّها حاملةً من الآثامِ ما تنوءُ به الـجبالُ. «والـجزاءُ من جنسِ العمل» ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات].

القصة الثانية: أخذَ عاقٌّ والدَهُ إلى الصَّحراءِ ليَذبَحهُ، فلما همَّ بذبحِ أبيه، قالَ له أبوه: يا بنيَّ! إن كنتَ فاعلاً فاذبَحني عندَ هذه الصَّخرة، فسألهُ ابنه لماذا عندَ هذه الصَّخرةِ بالذّاتِ؟ فقال له أبوه: لأني ذبحتُ والدي عندَ هذه الصَّخرةِ. نَعمْ واللهِ! كما تدينُ تدان، والـجزاءُ من جنسِ العمل، ولا يَظلِمُ ربُّك أحداً.

عبادَ الله! ما هي البُشرى السابعةُ التي بَشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمّتَه؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـخُطبةِ القادمةِ –إن شاءَ اللهُ تعالى– إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

٨

تبشيره ﷺ للمصلحين بسعادة الدنيا والآخرة(١)

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾ [الإسراء].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [الفرقان].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويةُ التي سنَقتطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويّةِ العَطِرة، ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُصلِحينَ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

الإصلاحُ نقيضُ الإفسادِ، والصّلاحُ نقيضُ الفسادِ، والصّالحُ نقيضُ الفاسدِ، والمصلحُ نقيضُ المفسدِ.

• واللهُ عزَّ وجلَّ يَعلَمُ المفسدَ من المُصلح، والفاسدَ من الصّالح، قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠]. وقالَ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ [يونس].

ولذلك عندَما ادَّعى المنافقونَ أنهم من المُصلحِينَ كذَّبهم اللهُ عزَّ وجلَّ وفَضحَهم.

(١) هذه الخطبة وما بعدها كانت بسبب الثورات والمظاهرات والخروج على ولاة الأمر في بلاد المسلمين.

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ [البقرة].

• واللهُ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ الـمُصلِحينَ ولا يُحبُّ الـمُفسدِينَ، ويُحِبُّ الإصلاحَ ولا يُحبُّ الفساد.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص].

وقالَ تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ [القصص].

وقالَ تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ [البقرة]. وقالَ تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ [المائدة].

• واللهُ عزَّ وجلَّ يُنجي الـمُصلحِينَ ويُهلِكُ الـمُفسدِينَ

قالَ تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ [هود].

ومن الأمثلة على هلاك المفسدين

١- فرعونُ كان من المُفسدِينَ في الأرضِ فأهلكَهُ اللهُ ومن معَه

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾ [القصص] فانظُروا كيفَ أهلَكَهُ الله عزَّ وجلَّ.

قالَ تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

٢- قارونُ كانَ من الـمُفسدِينَ في الأرضِ فأهلكَه اللهُ تعالى.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص]. فانظروا كيف أهلكَهُ الله عزَّ وجلَّ.

قالَ تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

٣- قومُ عادٍ وثمودَ، أفسَدوا في الأرضِ فأهلكَهم اللهُ.

قالَ تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

والعاقلُ من اتَّعظَ بغَيرِه. ولذلكَ أمرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ أن نَتَّعِظَ بهلاكِ الـمُفسدِينَ.

قالَ تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]. وقالَ تعالى: ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف].

عبادَ الله! ومن رحمةِ اللهِ بعبادهِ أمرَهم بالإصلاحِ، وحذَّرَهم ونهاهُم عن الفَساد

قالَ تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

وقالَ تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠].

• ومن رحمتهِ سبحانَه بعبادهِ أرسلَ رسلَهُ للإصلاحِ، ويُحذِّرونَ النّاسَ من الإفساد.

• فهذا شعيبٌ عليه السلام يقولُ لقَومِه: ﴿فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

ويقولُ لهم أيضاً: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

• وهذا موسى عليه السلام يقولُ لأخيه هارونَ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف].

فرسُلُ اللهِ جميعاً ومن سَلَكَ سبيلَهم يُصلِحونَ ويأمرونَ بالإصلاحِ، ويُحذِّرونَ النّاسَ من الفَسادِ والإفسادِ.

وهناكَ من النّاس في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، لا أقولُ إنهم يَصطادونَ في الـماءِ العَكرِ، وإنما أقولُ إنهم يُعكِّرونَ الـماءَ ليَصطادوا فيه؛ فيَخدَعونَ النّاسَ أنهم مُصلِحونَ،

وفي الـحقيقةِ هم أفسدُ النّاسِ. واللهُ عزَّ وجلَّ أخبرَنا في كتابِه عن هؤلاءِ لنكونَ منهُم على حَذرٍ.

قالَ تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

• وانطلاقاً من قولِه ﷺ: «**الدِينُ النَصيحَةُ**» أقولُ للمُسلمينَ في كلِّ مكانٍ حُكّاماً ومحكومِينَ: الإصلاحُ أنواعٌ، والإفسادُ أيضاً أنواعٌ.

فالدَّعوةُ إلى الإيمانِ إصلاحٌ في الأرضِ، والدّعوةُ إلى الكُفرِ إفسادٌ في الأرضِ.

والدَّعوةُ إلى التّوحيد إصلاحٌ في الأرض، والدَّعوةُ إلى الشرك إفسادٌ في الأرضِ.

والدَّعوةُ إلى السنةِ إصلاحٌ في الأرض، والدَّعوةُ إلى البدعةِ إفسادٌ في الأرضِ.

والدَّعوةُ إلى الإتحادِ والاعتصام إصلاحٌ في الأرض، والدعوةُ إلى الفُرقةِ والاختلافِ إفسادٌ في الأرضِ.

والـمحافظةُ على أرواحِ الآمنِينَ إصلاحٌ في الأرض، وقتلُ الأبرياءِ والتَّفجيرُ والإرهابُ إفسادٌ في الأرض.

والـمحافظةُ على الأمنِ في البلادِ إصلاحٌ في الأرض، والعبثُ بأمن البلاد إفسادٌ في الأرض.

والأمرُ بالـمَعروفِ والنَّهيُ عن الـمُنكرِ إصلاحٌ في الأرضِ، والأمرُ بالـمُنكرِ والنَّهيُ عن الـمعروفِ إفسادٌ في الأرض.

والطّاعاتُ والأعمالُ الصّالـحةُ إصلاحٌ في الأرضِ، والـمَعاصي والذُّنوبُ إفسادٌ في الأرض.

• واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

فمن قالَ: إن الفسادَ ظهرَ في الأرضِ بما كسبَت أيدي ولاةِ الأمرِ فقط، فقد جارَ وظلمَ، ومن قال: إن الفسادَ ظهَرَ بما كَسبَت أيدي الرَّعيّةِ فقد جارَ وظَلَمَ أيضاً، فالفسادُ إذا ظهر في الأرض فيكونُ بسببِ الـحاكم والـمحكوم، الرّاعي والرَّعيّةِ، والواجبُ على الـجميعِ أن يَتوبوا إلى اللهِ؛ الرّاعي يَتَّقي اللهَ في رعيّتِه، والرَّعيّةُ تَتَّقي اللهَ في راعيها.

فها هو الـمطر إذا تأخَّرَ في نزولِه على النّاسِ فهو بسببِ الـمعاصي والذُّنوب، فلا يَجوزُ لأحدٍ أن يقولَ: إن الـمطرَ تأخَّرَ بسَببِ فسادِ الرّاعي، ولا يجوزُ أيضاً أن يقولَ إن الـمطرَ تأخَّرَ بسَببِ فسادِ الرَّعيّةِ، وإنما يتأخَّرُ الـمَطرُ بسَببِ الفَسادِ من الـجَميع، فإذا رَجَعوا جميعاً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بالإيمانِ الصّادقِ والعَملِ الصّالـحِ والتّوبةِ النَّصوحِ نَزلَت عليهم البَركاتُ من السَّماءِ والأرضِ، وعاشوا في أمنٍ وأمانٍ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف].

وقطيعةُ الرحمِ، وعقوقُ الوالدين من الإفساد في الأرض، وإصلاحُ ذاتُ البين من الإصلاح في الأرض.

وكلامُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ عن إصلاح ذاتِ البَين؛ لأن فسادَ ذاتِ البين هي الـحالقة، لا أقول: تَحلِقُ الشَّعرَ وإنما تَحلِقُ الدِّين.

• والذينَ يُصلِحونَ في الأرضِ عامةً، ويُصلحونَ ذاتَ البَينِ خاصّةً يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: أيُّها المصلحُ! أبشِرْ بالأجرِ العظيمِ عندَ اللهِ -العظيم-

قالَ تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء].

وقـالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)﴾ [الأعراف].

ثانياً: أيها المصلحُ! أبشرْ برحمةِ الله في الدنيا والآخرة.

قـالَ تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الـحجرات].

ثالثاً: أيها المصلحُ! أبشرْ فإنَّ إصلاحَ ذاتِ البين تجارةٌ رابحةٌ يُحبُّها الله عزَّ وجلَّ

قالَ ﷺ لأبي أيوبَ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟**» قال: بلى. قال: «**صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَقَرِّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا**»[(١)].

وقالَ أبو أيوبَ: قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا أَيُّوب! أَلا أَدلُّكَ عَلى صَدَقَةٍ يُحِبُّها اللهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وَتَفَاسَدُوا**». وفي روايةٍ، قالَ ﷺ: «**ألا أدُلُّك على صدقةٍ يُحبُّ اللهُ موضِعَها؟**» قالَ: قلتُ: بلى بأبي أنتَ وأمّي! قالَ: «**تُصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ يُحِبُّ اللهُ مَوْضِعَهَا**»[(٢)].

رابعاً: أيها المصلحُ! أبشرْ فإن إصلاح ذات البين أفضلُ من نوافلِ العباداتِ.

قال ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟**»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «**إِصلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الـحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[(٣)].

خامساً: أيها المصلحُ! أبشرْ فإن إصلاحَ ذات البين من أفضل الأعمال.

قالَ ﷺ: «**مَا عُمِلَ شيءٌ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلاَةِ، وَصَلاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وَخُلُقٍ جائزٍ بَيْنَ الـمُسْلِمِينَ**»[(٤)].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطيالسي (٥٩٨) من حديث أبي أيوب، والبزار من حديث أنس (٦٦٣٣) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٨)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه عبد بن حميد (٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٠)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٤)].

(٤) **حسن**: رواه الأصبهاني، وابن عساكر (٥٢/ ٢٦٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨١٦)].

سادساً: أيها المصلحُ! أبشرْ فإن إصلاح ذات البين من أفضل الصدقات.

قالَ ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَى**(١) **مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ**(٢)»(٣).

فكُن أيُّها المسلمُ! دائماً من المُصلِحين، ولا تكُن من المُفسدِينَ، وكُن دائماً مِفتاحاً للخَير مِغلاقاً للشَّرِّ، ولا تكُن مِفتاحاً للشَّرِّ مِغلاقاً للخير؛ كما قالَ ﷺ: «**إنَّ مِنَ النَّاسِ نَاساً مَفَاتِيحَ للخَيْرِ مَغَالِيقَ للشَّرِّ، وإِنَّ مِنْ النَّاسِ نَاساً مَفَاتِيحَ للشَّرِّ مَغَالِيقَ للخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**»(٤).

نسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العَرشِ العَظيمِ أن يجعلَني وإيّاكُم من المُصلِحينَ، ويَجعلَني وإيّاكُم مفاتيحَ خيرٍ مغاليقَ شرٍّ، إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

أيها المسلمون! الإصلاحُ عملُ الأنبياء

قالَ تعالى على لسانِ شُعيبٍ عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨].

والصُّلحُ القائمُ على الشرعِ كُلُّهُ خيرٌ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

وإصلاحُ ذاتِ البَينِ من أجلِّ القُرُباتِ وأفضلِ الطاعاتِ، وذلكَ لأنهُ يَعمَلُ على المَحبَّةِ والمودّةِ والاتِّحادِ والاجتماعِ، وهذا لا يُحبُّهُ الشيطانُ، فإن شياطينَ

(١) (كل سلامى) أي: كل مفصل.

(٢) (يعدلُ بين الاثنين) أي: يصلح بينهما.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٩٧)، [«صحيح الجامع» (٢٢٢٣)].

الإنسِ والـجنِّ يَعملونَ ليلَ ونهارَ على التَّفريقِ بين الأحبَّةِ: من زَوجَينِ أو صديقَينِ أو جارَينِ أو أخوَينِ.

قالَ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[1].

وقالَ ﷺ: «**خيارُ عبادِ اللهِ الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ، وشرارُ عبادِ اللهِ الـمشاؤون بالنميمةِ الـمفرِّقون بين الأحبةِ، البَاغون للبُرآءِ العيبَ**». وفي رواية: «**الـمُفْسدونَ بينَ الأحبةِ**»[2].

كيفَ لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ**﴾[المائدة:٩١].

والإنسانُ منّا في هذه الدُّنيا ليسَ معصوماً، فإذا وقعَتِ الفُرقةُ والبَغضاءُ والشَّحناءُ بينَ الرُّجلِ وزوجتِهِ، أو بينَ الرَّجلِ وجارِهِ، أو بينَ الصَّديقِ وصديقِهِ، أو بينَ الـحبيبِ وحبيبِهِ، جاءَ الشَّرعُ.

• يَحُثُّ كلاً من الـمُتخاصمَينِ أن يُبادِرَ بالصُّلحِ ليَفوزَ بالأجرِ العظيم.

قالَ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ؛ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[3].

وقَالَ ﷺ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ** -أي: أعمالُ العِبادِ- **فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ** -أي: على اللهِ تعالى- **فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَءاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيَقُولُ: أَنْظِرا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٢).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٤٥٩)، وعبد بن حميد (١٥٨٠)،البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٢٤)]، والزيادة هي للإمام أحمد وغيره وهي زيادة حسنة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٣٧) ومسلم (٢٥٦٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٥).

• فإن رَكِبَ كُلٌّ من الـمُتخاصمَينِ رأسَهُ واتّبعَ هواهُ، واتَّسعَتِ الفَجوةُ بينَهما، واشتدَّ الـخِصامُ واستَفحلَ الشرُّ، جاءَ الشَّرعُ يأمرُ الـمسلمِينَ بالتَّدخُّلِ للصُّلحِ بينَهما.

قالَ تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:١].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٠].

وقالَ تعالى في حقِّ الزَّوجَينِ الـمُتخاصِمَين: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء].

وبَلَغَ من حرصِهِ ﷺ على إصلاحِ ذاتِ البين أن رخَّصَ للمُصلحِينَ في الكَذبِ للوصولِ إلى الإصلاحِ.

فقالَ ﷺ: «**لَيسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»(١). وكانَ ﷺ يَذهبُ بنفسِه ليُصلِحَ بينَ الـمُتخاصِمينَ.

• عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالـحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ**»(٢).

• وعن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رسولِ الله ﷺ فِي الـمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رسولُ الله ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ(٣) حُجْرَتِهِ، وَنَادَى كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ: «**يَا كَعْبُ!**» قَالَ: لَبَّيْكَ! يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَشَارَ إِلَيْهِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٣).
(٣) (سَجْف) أي: سترها.

بِيَدِهِ أَنْ ضَع الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِك، قَالَ كَعْبُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ: «**قُمْ فَاقْضِهِ**»(١).

فكونوا يا عبادَ اللهِ من الـمُصلحِينَ ولا تكونوا من الـمُفسدِينَ.

عبادَ اللهِ! ما هي البشرى الثّامنةُ التي بشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ وأمتهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه -إن شاءَ اللهَ تعالى- في الـجُمعةِ القادمةِ إن كانَ في العُمرِ بقيَّةٌ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨).

٩

تبشيره ﷺ لأهلِ العلمِ بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانَه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والـمرجان من قصص القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ اللهِ؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسّيرةِ النَّبويّةِ العَطِرة. ألا وهي: تبشيرُه ﷺ لأهلِ العلمِ بسعادة الدُّنيا والآخرة.**

• العلمُ الذي نَقصِدُهُ هو العلمُ الشَّرعيُّ، علمُ الكتابِ والسُّنةِ، علمُ الوحيَينِ، قالَ اللهُ، قالَ رسولهُ ﷺ، قالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم.

• العلمُ هو الذي يُورثُ صاحبَهُ الـخشيةَ من الله. قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨].

• العلمُ هو الذي أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يسألهُ الـمزيدَ منهُ. قالَ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

فكانَ ﷺ يُكثرُ من دعائِهِ: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»(١).

ويقولُ ﷺ: «**اللهمَّ! انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا**»(٢).

• العلمُ الذي امتَنَّ اللهُ به على رسولِهِ ﷺ

فقالَ تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء].

• العلمُ الذي هو ميراثُ محمدٍ ﷺ

قالَ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(٣). -أي القرآنَ والسنةَ-.

وقالَ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي**»(٤).

• الكتابُ والسُّنةُ ميراثُ محمدٍ ﷺ

• عن أبي هريرةَ ﷺ أنه مرَّ بسوقِ المدينةِ فوقفَ عليها فقال: يا أهلَ السوقِ! ما أعجَزَكُم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراثُ رسولِ اللهِ ﷺ يُقسَمُ، وأنتم ها هنا؛ ألا تذهبونَ فتأخذونَ نصيبَكُم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجدِ، فخَرَجوا سِراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٣٠)، وأحمد (٦/ ٢٩٤)، [«صحيح ابن ماجه» (٧٥٣)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٢٥١)، من حديث أبي هريرة، والنسائي في الكبرى (٧٨٦٨)، والحاكم (١/ ٦٩٠)، من حديث أنس، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٥١)]

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٨٣)، [«صحيح الجامع» (٢٦٤٣)].

(٤) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا الـمسجد فدخلنا فيه، فلم نرَ فيه شيئاً يُقسَمُ! فقالَ لهم أبو هريرة: وما رأيتمُ في الـمسجدِ أحداً؟ قالوا: بلى؛ رأينا قوماً يُصَلُّونَ، وقوماً يَقرؤونَ القرآنَ، وقوماً يتذاكرونَ الـحلالَ والـحرامَ، فقال لهم أبو هريرة: ويحكُم! فذاك ميراثُ محمد ﷺ[(١)].

• العلمُ الشَّرعيُّ هو الذي تَعرِفُ به ربَّك الذي خَلقَك، وتَعرِفُ به نفسَك.

• العلمُ الذي تعرفُ به الإيمانَ من الكُفرِ، والتَّوحيدَ من الشِّركِ، والهُدى من الضَّلالِ، والسُّنَّةَ من البدعةِ، والـحلالَ من الـحرامِ.

• العلمُ الذي هو أفضلُ من الـمالِ والـجاهِ والسُّلطانِ.

• قالَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه لِرجُلٍ مِن أصحابهِ: يا كُمَيْلُ: «**الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ؛ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الـمَالَ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، والْمَالُ تُنْقِصُهُ النَفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو بِالإِنْفَاقِ**»[(٢)].

• وقالَ والدٌ لولده: (يا بنيّ: عليك بالعلم فإنك إن افتقرتَ كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً).

• وقالَ بعضُ السَّلفِ: (إذا أردتَ الدُّنيا فعليكَ بالعلمِ، وإذا أردتَ الآخرةَ فعليكَ بالعلمِ، وإذا أردتَ الدُّنيا والآخرةَ فعَليكَ بالعلم).

• وقالَ بعضُ السَّلفِ أيضاً: (ليسَ شيءٌ أعزَّ من العلمِ، الـملوكُ حكّامٌ على النّاسِ، والعُلماءُ حكّامٌ على الـمُلوك)[(٣)].

كيفَ لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٨٠) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٥).

(٣) «تذكرة السامع والـمتكلم» (ص١٠).

﴿عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف].

واحتاجَ الـمَلِكُ إلى يوسفَ عليه السلام وهو سجينٌ في داخل السجن.

وسادَ الـحسنُ البصريُّ البصرةَ بعلمه. دخل رجلٌ البصرةَ فسألَ، مَن سَيِّدُ هذه البلدة؟ فقالوا لهُ: الـحسنُ البصريُّ. قال: وبما سادهم؟ قالوا: استغنى عن دنياهُم واحتاجوا لعلمِه، فسادهم.

أمة الإسلام! أما أهلُ العلمِ الذين يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه فَهُم:

أولاً: الذين أمر اللهُ عزَّ وجلَّ بطاعتهم

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وقد اختلفَ الـمُفسِّرونَ في أولي الأمرِ، فمنهم من قال: هم الأمراءُ، ومنهم من قال: هم العُلماء. والرّاجح أنهم هم الأُمراءُ والعُلماء.

يقول الإمامُ ابن قيِّم الـجوزيَّةِ -رحمه الله-: (وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْأُمَرَاءَ إنَّمَا يُطَاعُونَ إذَا أَمَرُوا بِمُقْتَضَى الْعِلْمِ؛ فَطَاعَتُهُمْ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ إنَّمَا تَكُونُ فِي الْمَعْرُوفِ وَمَا أَوْجَبَهُ الْعِلْمُ، فَكَمَا أَنَّ طَاعَةَ الْعُلَمَاءِ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الرَّسُولِ، فَطَاعَةُ الْأُمَرَاءِ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ، وَلَـمَّا كَانَ قِيَامُ الْإِسْلَام بِطَائِفَتَيْ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُمْ تَبَعًا، كَانَ صَلَاحُ الْعَالَمِ بِصَلَاحِ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَفَسَادُهُ بِفَسَادِهِمَا)(١).

ثانياً: أهلُ العلمِ الذين أوجبَ اللهُ على الناسِ الرجوعَ إليهم وسؤالَهم عما أُشكلَ عليهم.

قالَ تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

في موضعَينِ من كتابِ اللهِ يأمرُ ربُّنا -جلَّ وعلا- عبادَهُ أن يسألوا أهلَ العلمِ

(١) «إعلام الـموقعين» (١/ ١٠).

فقط، وذلك لأن أهلَ العلمِ يُجيبونَ بـ (قال اللهُ، وقال رسولُهُ) ويَزِنونَ الأمورَ بميزانِ الكتابِ والسُّنَّةِ وفَهمِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم.

والناظرُ في أحوالِ كثيرٍ من النّاسِ -إلا من رَحم ربِّي- يرى أنهم يَسألونَ الـمُفكّرينَ والـمُثقَّفينَ والحركيِّينَ والتَّكفيريِّينَ وأهلَ الأهواءِ والمبتدعةَ فضَلُّوا وأضلّوا.

وقد أخبرَنا النَّبيُّ ﷺ عن ذلكَ فقالَ: «**إنَّ اللهَ تعَالَى لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ العِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ[2] فَذَلِكَ حِينَ هَلَكُوا)[3].

ثالثاً: أهلُ العلمِ هم أهلُ الفهمِ والخشيةِ لا يخافون إلا من الله.

• **والدليلُ على فهمهم**

قالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت].

قالَ ابنُ كثيرٍ -رحمَه اللهُ تعالى- (وما يفهمُها ويتدبَّرُها إلا الرَّاسخونَ في العلمِ الـمُتَضَلِّعونَ منه)[4].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).
(٢) الصغيرُ هو الجاهلُ وإن كان شيخاً كبيراً، والكبيرُ هو العالـمُ وإن كان فتىً صغيراً.
(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧٥٩٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٩).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤١٤).

• **والدليلُ على خشيتهم**

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. وقالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب].

رابعاً: أهلُ العلمِ هم ورثةُ الأنبياء.

قالَ ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

خامساً: أهلُ العلمِ هم أولياءُ الله.

قالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ الله تعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»(٢).

وقالَ أبو حنيفةَ رحمه اللهُ: (إن لم يكُنِ الفقهاءُ أولياءَ الله؛ فليسَ للهِ ولي).

وقالَ الإمامُ أحمدُ رحمَه الله: (لحومُ العلماءِ مسمومةٌ، من شمَّها مَرِض، ومن أكلها مات)(٣).

وقالَ ابنُ المبارِك: (من استَخفَّ بالعُلماءِ ذهبَت آخرتُه، ومن استَخفَّ بالأمراءِ ذهبَت دنياه، ومن استَخفَّ بالإخوانِ ذهبَت مروءَتُه)(٤).

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

(٢) **صحيح**: البخاري (٦٥٠٢).

(٣) كتاب «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» (ص٧١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٤٤٤).

سادساً: أهلُ العلمِ هم أبصرُ الناسِ بالشرِّ ومداخلِ الشرِّ والفتنِ، وأعلمُ الناسِ بالخيرِ والهدى

ولذلك هم النّاطِقونَ بالـحقِّ في الدُّنيا ويومَ يقومُ الأشهادُ

• أما في الدُّنيا فيَظهرُ ذلكَ من مَوقفِهم من فتنةِ الـمالِ في قصّةِ قارون.

قالَ تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

فأهلُ العلمِ هنا كانوا مُتميِّزينَ عن غيرِهم، فهم بُصراءُ بالشَّرِّ وعلماءُ بالـخَيرِ، فلما رأَوُا النّاسَ يتمنَّونَ مثلَ ما أوتيَ قارون، حذَّروهم من الشَّرِّ، وبيَّنوا لهم الـخيرَ، وأن الدارَ الآخرةَ خيرٌ لمن آمن، وعَمِلَ صالـحاً ولم يَعرفْ هؤلاءِ الذين تَمنَّوا حظوظَ الدُّنيا أن العُلماءَ على الـحقِّ إلا حينَما حلَّتْ عقوبةُ اللهِ بقارونَ عندَها: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص].

• وهذا ما يَقعُ من كثيرٍ من النّاسِ إذا جاءَتِ الفتنةُ وعرفَها العُلماءُ وحذَّروهم منها، فلا يَستجيبونَ للعُلماءِ بسببِ الهوى والتَّحزُّبِ والتَّقليدِ الأعمى، فإذا ذهبَتِ الفِتنةُ عرَفَها هؤلاءِ ونَدِموا في وقتٍ لا يَنفعُ فيه النَّدم.

• ولذلك لما نَصَحَ مؤمنُ آلِ فرعونَ فرعونَ وقومَه ولم يَستجيبوا له قالَ لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤].

أما في الآخرةِ ويومَ يقومُ الأشهادُ فأهلُ العلم هم الذين يتكلَّمون

قالَ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ -أي: العلماءُ الرَّبّانيُّونَ، ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾ -أي: يومَ القيامة، ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ -أي: سوءَ العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم].

سابعاً: العُلماءُ في الأرضِ كالنُّجومِ في السَّماء.

قال أبو مسلم الـخَولانيُّ: (مَثَلُ العلماءِ في الأرضِ مثلُ النُّجومِ في السَّماءِ، إذا بدَت للنّاسِ اهتدَوا بها، وإذا خَفِيَت عليهم تحيَّروا)[1].

والنُّجومُ في السَّماءِ لها ثلاثةُ فوائدٍ:

الفائدة الأولى: أنها علاماتٌ للناس يَهتدونَ بها في الظُّلمات

يقولَ الله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

الفائدة الثانية: أنها زينةٌ السماء

يقولُ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥].

الفائدة الثالثة: أنها رجومٌ للشّياطينِ الذين يَسترقون السمع

يقولُ الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

والعلماءُ تَجتمِعُ فيهم هذه الأوصافُ، فهم:

- الهداةُ الذين يَهتدي بهم النّاسُ في الظُّلماتِ، حيثُ يَشتبِهُ الـحقُّ بالباطل.
- وهم زينةُ هذه الأرض.
- وهم رجومٌ للشَّياطينِ الذين يَخلِطونَ الـحقَّ بالباطلِ، ويُدخِلونَ في الدِّينِ ما ليسَ فيه من أهلِ البدعِ والأهواءِ والضَّلالات[2].

---

(١) «تذكرة السامع والـمتكلم» (ص١٠).

(٢) انظر: ابن رجب الـحنبلي «شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم» (ص١٦).

• فالعلماءُ بالـحُجَّةِ والبُرهانِ جَعلَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ رجوماً لأهلِ الأهواءِ والبدعِ والضلالات. وأضربُ لذلكَ مثلاً واحداً وهو: **أهلُ العلم معَ الـخوارج.**

الـخوارجُ فرقةٌ ضالةٌ يَتَّبعونَ أهواءَهم، ولا يَرجِعونَ في أيِّ أمرٍ من أُمورِهم إلى العُلماءِ.

قالَ ﷺ في وصفهم: «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**سُفَهَاءُ الأَحْلامِ**»(٢). -أي: سفهاءُ العقولِ، يَضَعونَ الأشياءَ في غيرِ مواضعِها.

وقالَ ﷺ: «**يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ... وَيَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»(٣) حتى أنهم كما قالَ ﷺ: «**يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ**»(٤).

فلما خَرجَتِ الـحَروريَّةُ على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حُكمَ إلا للهِ، قالَ عليٌّ رضي الله عنه تَعليقاً على كَلِمتِهم هذه: «كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل» أي: يَضعونَها في غيرِ موضعِها.

وكما قالَ ﷺ: «**وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ**»، فإنهم كما قالَ ﷺ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»(٥).

وقد جَمعوا معَ سوءِ فَهْمِهم اتباعَهُم لأهوائِهم كما قالَ ﷺ: «**وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٦٥)، من حديث أبي سعيد وأنس ورواه أحمد (٣/ ٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٩٦٣)، من حديث أنس انظر [«ظلال الـجنة» (٩٤٠)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

مَفْصَلٌ إلا دَخَلَهُ»(١).

ومعَ هذا كلِّه فإنهم يُعجِبونَ النّاسَ ويُعجَبون بأنفسِهم، فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: **«إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَتَعَبَّدُونَ حَتَّى يُعْجِبُوا النَّاسَ، وَيُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**(٢).

• وقالَ ﷺ أيضاً في وصفِهم: **«شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»**(٣).

• وقالَ ﷺ: **«الْخَوَارِجُ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»**(٤).

فالـخوارجُ فرقةٌ ضالةٌ يَتَّبعونَ أهواءَهم يَخدَعونَ النّاسَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، يَظهَرونَ أمامَ النّاسِ بالإصلاح وهم من أفسدِ الناسِ، العلماءُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ لهم بالـمرصادِ؛ يَرُدونَ على شُبهاتِهم، ويُحَذِّرونَ النّاسَ من شَرِّهم، فها هو ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما حَبرُ الأمةِ وتُرجمانُ القرآن يذهبُ إلى الـخوارجِ في دارِهم التي اعتزَلوا فيها ليَخرُجوا على أميرِ الـمؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه فتعالَوا بنا لنَستمِعَ إليه وهو يَقذِفُ بالـحقِّ الذي مَعه على الباطلِ الذي معَ الـخوارج.

يقولُ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: لما خَرجَتِ الـحَروريَّةُ -وهم الـخوارجُ- اعتزَلوا في دارِهم وكانوا ستَّةَ آلاف. فقلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: يا أميرَ الـمؤمنين! أبرِدْ بالظُّهرِ لعَلِّي آتي هؤلاءِ القَوم؛ فأُكلِّمُهم. قال: إني أخافُ عليك، قلتُ: كلا. قال: فقمتُ ودخلتُ عليهم في نصفِ النَّهارِ وهم قائلونَ، فسَلَّمتُ عليهم. فقالوا: مرحباً بك يا ابنَ عبّاسٍ، فما جاءَ بك؟ قلتُ لهم: أتيتكُم من عندِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والـحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥١)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٤٠٦٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٩٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٧).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٧٦)، والـحاكم (٢/ ١٦٣)، [«ظلال الـجنة» (٩٠٤)].

وصهرِه، وعليهم نزَلَ القرآن، وهم أعلمُ بتأويلِه منكُم، وليسَ فيكُم منهُم أحدٌ؛ لأبلغَكم ما يقولون، وتُخبرون بما تقولون. قلت: أخبِروني ماذا نَقِمتُم على أصحابِ رسولِ اللهِ وابنِ عمِّه؟ قالوا: ثلاث.

قلتُ: ما هنَّ؟ قالوا: أما إحداهنَّ فإنه حكَّمَ الرِّجالَ في أمرِ اللهِ؛ وقالَ تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما شأنُ الرِّجالِ والـحُكم؟ فقلت: هذه واحدةٌ، قالوا: وأما الثّانيةُ فإنه قاتلَ، ولم يسبِ، ولم يَغنَم، فإن كانوا كفاراً سَلَبَهم، وإن كانوا مؤمنينَ ما أَحلَّ قتالَهم؟ قلت: هذه اثنانِ فما الثّالثةُ. قالوا: إنه مَحى نفسَه عن أميرِ الـمؤمنينَ فهو أميرُ الكافرينَ. قلت: هل عندَكم شيءٌ غيرُ هذا؟ قالوا: حُسبُنا هذا.

قلتُ: أرأيتُم إن قرأتُ عليكُم من كتابِ اللهِ، ومن سنَّةِ نبيِّه ﷺ ما يرُدُّ قولَكُم، أترضَون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولُكم حكَّمَ الرِّجالَ في أمرِ اللهِ، فأنا أقرأُ عليكُم في كتابِ اللهِ أن قد صيَّرَ اللهُ حكمَه إلى الرِّجالِ في ثَمنِ ربعِ درهم؛ فأمرَ اللهُ الرِّجالَ أن يَحكُموا فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥] الآية، فأنشدتُكم باللهِ تعالى أحُكمُ الرِّجال في أرنب، ونحوِهما من الصَّيدِ أفضل، أم حكمُهم في دمائِهم وصلاحِ ذاتِ بينِهم؟ وأنتم تعلَمونَ أن اللهَ لو شاءَ لحكَمَ، ولم يُصيِر ذلكَ إلى الرِّجال.

قالوا: بل هذا أفضلُ. وفي الـمرأةِ وزوجِها قالَ تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥]. فأنشدتُكم باللهِ حُكمُ الرِّجالِ في صلاح ذاتِ بينِهم، وحَقنِ دمائِهم أفضلُ من حكمِهم في امرأةٍ؟ أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولُكم: قاتلَ ولم يَسب ولم يَغنَم، أفتَسبونَ أمَّكُم عائشةَ، وتَستحِلُّون منها ما تَستحِلُّونَ من غيرِها. وهي أمُّكُم؟ فإن قلتم: إنا نَستَحِلُّ منها ما نَستحِلُّ من غيرِها. فقد كفرتُم،

ولئن قلتُم: ليسَت بأمِّنا. فقد كفرتُم، لأن الله تعالى يقولُ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]. فأنتم تدُورون بينَ ضلالتَين، فأتوا منهما بمخرج. قلت: فخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. وأما قولُكم محى اسمَه من أمير الـمُؤمنينَ – فأنا آتيكُم بمَن تَرضونَ، وأراكم قد سَمعتُم أن النَّبيَّ ﷺ يومَ الـحُدَيبيةِ صالـحَ الـمُشركينَ، فقال لعليٍّ رضي الله عنه: اكتُب هذا ما صالـحَ عليه محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ الـمُشركونَ: لا واللهِ ما نَعلَمُ أنك رسولُ اللهِ؛ لو نعلمُ أنكَ رسولُ اللهِ لأطعناكَ، فاكتُب: محمدُ بنُ عبدِ الله.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: امحُ يا علي رسولَ الله، اللَّهمَّ إنك تعلَمُ أني رسولُك، امحُ يا عليّ، واكتُب: هذا ما صالـحَ عليه محمَّدُ بنُ عبدِ الله. فواللهِ لرسولُ اللهِ ﷺ خيرٌ من عليٍّ وقد محا نفسَه؛ ولم يكن محوُه ذلكَ يَمحوه من النُّبوَّةِ. خَرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرُهم –أي: على عليِّ بن أبي طالب– فقُتِلوا على ضلالتهم، فقتلهم الـمهاجرون والأنصار[١].

هكذا يَفعلُ الـجهلُ بأصحابهِ، يُفسِدونَ في الأرضِ، ويَبتدِعونَ في الدِّينِ، ويَظُنُّونَ أنهم يُحسِنونَ صنعاً.

• قالَ تعالى في وصفِ هؤلاء: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف].

• وَقَالَ الْـحَسَنُ البصريُّ رحمه الله تعالى: (الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْم كَالسَّالك عَلَى غَيْر طَرِيق، وَالْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْم يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ طَلَبًا لَا تَضُرُّوا بِالْعبادَة، وَاطْلُبُوا الْعِبَادَةَ طَلَبًا لَا تَضُرُّوا بِالْعِلْم، فَإِنَّ قَوْمًا طَلَبُوا الْعبادَةَ وَتَرَكُوا الْعِلْمَ حَتَّى خَرَجُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ وَلَوْ طَلَبُوا الْعِلْمَ لَمْ يَدُلَّهُمْ

(١) **حسن**: أخرجه النسائي في «الخصائص» (١٨٥)، وفي «الكبرى» (٥/ ١٦٥-١٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، [«الصحيح المسند من فضائل الصحابة»].

عَلَى مَا فَعَلُوا)[١].

أمة الإسلام! أهلُ العلمِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالرفعةِ في الدنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْمَلُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الـمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[٣].

فاللهُ عزَّ وجلَّ يَرفَعُ أهلَ العلمِ إلى أفضلِ الـمنازلِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن رَفعَه اللهُ بالعلمِ فلن يَستطيعَ أحدٌ أن يُسقِطَهُ أبداً.

ثانياً: يا أهلَ العلمِ أبشِروا فأنتُم عندَ اللهِ بمَنزلةِ الـمُجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ بل تَقومونَ بأفضلِ الـجهادِ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (١/ ٣٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٧).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

فسمَّى ربُّنا -جلَّ وعلا- طلبَ العلمِ والـخُروجَ لطلبِه نفيراً كالنَّفيرِ لملاقاةِ العَدوِّ.

• وقالَ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ -أي: بالقرآنِ وما نَزلَ إليكَ من الـحَقِّ -أي: بالعلم- ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

• وقالَ ﷺ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»(١).

ومعلومٌ أن الـجهادَ باللِّسانِ يكونُ بإقامةِ الـحُجَّةِ عليهم، وهذا لا يكونُ إلا بالعِلمِ الشَّرعيِّ.

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢).

• وقالَ أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه: (مَنْ رَأَى الْغُدُوَّ وَالرَّوَاحَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَيْسَ بِجِهَادٍ، فَقَدْ نَقَصَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ)(٣).

• وقالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: (أفضلُ الـجهادِ: مَنْ بَنَى مسْجِداً فَعَلَّم فيه القرآنَ وَالْفِقْهَ وَالسُّنَّةِ)(٤).

فجهادُ العلماءِ بالـحُجَّةِ والبُرهانِ أفضلُ الـجهادِ، وذلك لأن الـجهادَ بالسَّيفِ والسَّنانِ يَقدِرُ عليه كلُّ أحدٍ، أمَّا الـجهادُ بالـحجةِ والبُرهانِ لا يَقدِرُ عليه إلا أهلُ العلم.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٦/ ٧)، وأحمد (٣/ ١٢٤) [«صحيح الـجامع» (٣٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، وأبو يعلى (٦٤٧٢) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧)].

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٩).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٩٦).

ثالثاً: يا أهلَ العلمِ أبشروا بسعادة الدنيا والآخرة

فالنَّبيُّ ﷺ دعا لكم، وأهلُ السَّماواتِ والأرضِ يَدعونَ لكم.

• قالَ ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الـحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الـخَيْرَ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَه بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٤).

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٥).

فمن تَفقَّهَ في دينِ اللهِ فقد أرادَ اللهُ بِهِ الـخيرَ والسَّعادةَ في الدُّنيا والآخرةِ، فما بالُكم بمن فَقَّه الـمُسلمِين؟!

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٩)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨١)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

رابعاً: يا أهلَ العلمِ أبشِروا بجنةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرض.

قالَ ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الـجَنَّةِ**»[1].

وقالَ تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ [فاطر:٢٨].

قالَ ابنُ القَيِّم -رحمَه الله-: (وهذا حَصرٌ لخَشيتِه في أولي العلم. وقالَ تعالى: ﴿**جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾**﴾ وقد أخبر أن أهلَ خشيتِه همُ العلماءُ، فدَلَّ على أن الـجزاءَ الـمذكورَ للعُلماءِ بمَجموعِ النَّصَّين)[2].

وقالَ تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾**﴾ [آل عمران]. وقالَ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾**﴾ [الكهف].

والعُلماءُ دائماً في مُقدِّمةِ الـمُتَّقينَ والصّالـحينَ، بل هم أفضلُ البَشرِ بعدَ الأنبياءِ، والدليلُ على ذلكَ أن اللهَ استشهدَ بهم على أجلِّ مشهودٍ وهو توحيدُهُ سبحانه، فإنهُ لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماءِ لقَرنَهم اللهُ باسمِه، واسمِ ملائكتِه.

قالَ تعالى: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾**﴾ [آل عمران].

جعلَنا اللهُ وإيّاكم والسّامعينَ في كلِّ مكانٍ من أهلِ العلمِ العامِلين بعلمِهم. إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١).

عبادَ الله! ما هي البُشرى التّاسعةُ التي بَشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه وأمّتَهُ؟

هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

١٠

تبشيره ﷺ للمحافظين
على الأمنِ في بلاد المسلمين بسعادة الدنيا والآخرة(١)

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة].

ويقولُ -عزَّ وجلَّ-: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

موعدُنا في هذا اليوم - إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَةِ نبيِّنا وحبيبِنا مُحمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويّةِ العَطِرة. ألا وهي:**

تَبشيرُه ﷺ للمُحافظِينَ على الأمنِ في بلادِ المسلِمينَ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرةِ

الأمنُ ضِدُّ الخوفِ، فإذا ذهبَ الأمنُ من بلدٍ حلَّ مكانهُ الخوفُ والحزنُ والرُعبُ والفَوضى والنَّهبُ والسَّلبُ وتركُ العبادةِ، وغيرُ ذلك من البلايا.

(١) هذه الخطبة كانت بسبب الأحداث الجارية في بلاد المسلمين.

• وفي ظلِّ الأمنِ يأمَنُ الناسُ على أنفسِهِم وأموالِهِم وأعراضِهِم، ويتَمكَّنونَ من عبادةِ ربِّهِم.

قالَ تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر].

وقالَ تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة:١٩٦].

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: إِذَا تمَكّنتم من أداءِ الـمَناسِكِ.

وقالَ تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة].

ففي هاتين الآيتين عدةُ فوائد:

١ - **منها**: أهميةُ الصَّلاةِ والأمرُ بأدائِها في وقتِها على أيِّ وجهٍ.

٢- **ومنها**: نعمةُ الأمنِ حيثُ تؤدّى العبادةُ بوجودِه في أكملِ صورةٍ كما أمرَ اللهُ تعالى.

٣- **ومنها**: أن الأمنَ نعمةٌ تَستحِقُّ شكرَ اللهِ وكثرةَ ذكرِه إذا وُجدَت؛ لقولِه تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٣٩].؛ فذِكرُ اللهِ حمدٌ وثناءٌ له وعليه، وكلُّ ذلكَ لما يَترتَّبُ على الأمنِ من نعم.

عبادَ اللهِ! الأمنُ مِنَّةٌ إلهيةٌ ومِنحةٌ ربانيّةٌ وعطيّةٌ من اللهِ -جلَّ وعلا- يَمُنُّ به على من يشاءُ ومتى شاء سبحانه، لأن الأمرَ أمرُه والـخلقَ خلقُه ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود:١٢٣].

ولذلك سألَ إبراهيمُ عليه السلام ربَّهُ نعمةَ الأمنِ لذُريَّته قبلَ أن يَسألَهُ الرِّزقَ لهم.

قالَ تعالى في سورةِ البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ

﴿ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وقالَ تعالى في سورةِ إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].

وقد استجابَ اللهُ عزَّ وجلَّ دعوةَ إبراهيمَ عليه السلام وجعلَ مكّةَ حَرَماً آمناً، فقالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت] وامتَنَّ اللهُ على قُريشٍ بنعمةِ الأمنِ وأمرَهم أن يَشكروه عليها.

فقالَ تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [سورة قريش] فلم يَشكروه على هذه النِّعمةِ العَظيمةِ وكفَروا بالله، ولم يَستجيبوا لرسولهِ ﷺ.

قالَ تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

فلما كفَروا بنعمةِ الأمنِ وعصَوا ربَّهم حرَمَهم نِعمَهُ عامةً، ونعمةَ الأمنِ خاصةً، قالَ تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

ونعمةُ الأمنِ نعمةٌ عظيمةٌ جداً، لا يَعرِفُ قدْرَها إلا من حُرِمَها، وقد جاءَتِ الأدلةُ الكثيرةُ في الكتابِ والسُّنةِ تدلُّ على نعمةِ الأمنِ.

أولاً: الأدلةُ من كتابِ الله .

١ – امتنَّ اللهُ على عبادهِ بنعمةِ الأمنِ في غزوةِ أُحد؛ حيثُ ذكَّرَهم بتلكَ النِّعمةِ في ذلكَ الـمَوطنِ الصَّعبِ الذي احتاجوا فيه للرَّاحةِ والطُّمأنينة.

قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ...﴾

[آل عمران:١٥٤].

٢– وامتنَّ اللهُ على موسى عليه السلام بالأمنِ وذهابِ الـخوفِ عندَما أمرهُ أن يُلقيَ عصاه، فقالَ تعالى مُخاطباً موسى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص].

٣– وامتنَّ اللهُ تعالى على قومِ سبأٍ أو مملكةِ سبأ وأهلِها بعديدٍ من النِّعم:

منها: أمنُ الطَّريق بينَ القُرى والأماكن، معَ وضوحِ الطَّريقِ برؤيةِ القُرى.

قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ].

٤ – ولقد مَنَّ اللهُ تعالى على نبيِّه محمَّدٍ ﷺ بنعمةِ دخولِ الـمسجدِ الـحرامِ وهو آمنٌ معَ أصحابِه.

فقالَ تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

ثانياً: نعمةُ الأمنِ في السنةِ المطهرة

١ – قالَ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛

فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[١].

فتأمَّل يا عبدَ الله! هذا الـحديثَ فإنه يَدلُّ على أنَّ من حازَ على ثلاثةِ أشياءَ فكأنه ملكَ الدُّنيا بأسرِها:

أولاً: الأمنُ في النَّفسِ والـمالِ والأهلِ والعيال.

ثانياً: الصِّحَّةُ والعافيةُ في الـجَسد.

ثالثاً: تَوفُّرُ قوتِ اليوم.

فأولاً بدأ النَّبيُّ ﷺ بنعمةِ الأمنِ؛ لأنه لا لذةَ ولا تَمتُّعَ بنعمةِ العافيةِ والطَّعامِ إلا بوجودِ نعمةِ الأمنِ والأمانِ.

٢- وقالَ ﷺ: «**الـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[٢]. قولُه: «**مَنْ سَلِمَ الـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»؛ معناه: من لم يُؤذ مسلماً بقول ولا فعل. وخَصَّ اليدَ بالذِّكر؛ لأن معظمَ الأفعالِ بها[٣].

إذن الـمسلمُ الكاملُ الإسلامِ من سلمَ النّاسُ من أذاه؛ بيدِه أو بقولِه، ولا شكَّ أن أذيّةَ النّاس بالقَتلِ، والتَّفجيرِ، واحتجازَهم كرَهائنَ، وقتلَ أطفالِهم، وإتلاف أموالِهم، كلُّ ذلكَ داخلٌ تحتَ هذا الـحديثِ. فتأمَّل أيُّها الـمسلم!!

٣- وقالَ ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٤]. وفي لفظ: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٥].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، والبخاري في «الأدب الـمفرد» (٣٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٣٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٣) «شرح مسلم» للنووي (١/ ٢/ ٢٠١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٤)، ومسلم (٩٨).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٩٩).

فعلى من سوَّلَت له نفسُه أو حرَّضَه غيرُه على قتلِ الـمسلمِينَ في عُقرِ دارِهم أن يَتمعَّنَ في هذا الـحديثِ مَلِيًّا؛ لأن معناه عميقٌ جداً وخطير؛ فهو يُشكِّلُ تهديداً لكلِّ من سوَّلَت له نفسُه بقَتلِ الـمسلمِينَ سواءٌ بالسِّيفِ أو التَّفجيرِ أو الاغتيال.

٤ - وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»(١).

قلت: نفيُ الـحِلِّ هنا غايةٌ في الزجرِ عن التَّرويعِ والفَزعِ، ودعوةٌ لرَفعِ الرَّوْعِ والـخوفِ عن النّاس، فلا ينبغي للمُسلم أن يُفزِعَ أو يروِّع مُسلماً ولو بأخذِ أبسطِ الأشياءِ منه كالـحَبلِ مثلاً، فكيفَ بالتَّفجيرِ، والإرهابِ، وسَلبِ حياتِه منه، أو أطرافِه أو مالِه أو بيتِه أو عيالِه؟!

أيها المسلمون! الأمنُ في الـمجتمعِ نعمةٌ عظيمةٌ تُطلبُ من اللهِ وحدَه، ومن رحمةِ الله بعبادِه أن جعلَ للأمنِ أسباباً من جاءَ بها تحصَّلَ على الأمنِ، وجَعَلَ أيضاً أسباباً لذهابِ الأمنِ فمن فَعلَها حُرِمَ نعمةَ الأمن.

وها أنا أضعُ أمامَ الـمسلمِينَ في كلِّ مكانٍ حُكَّاماً ومحكومِينَ أسبابَ الأمن ليهلِكَ من هلكَ عن بيِّنةٍ ويحيى من حَيَّ عن بيِّنةٍ.

السببُ الأولُ: الإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ، والابتعادُ عن كلِّ مظاهرِ الشركِ والمعاصي.

• الإيمانُ الصّادقُ والعملُ الصّالـحُ من أهمِّ الأسبابِ التي يَحصلُ بها الأمنُ والأمانُ في بلادِ الـمسلمِين.

• والشِّركُ والـمعاصي سببٌ من أسبابِ غيابِ الأمنِ في كثيرٍ من بلادِ الـمسلمِين.

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢)، انظر: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٠٥)].

قالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقالَ تعالى: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وقالَ تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام].

وإذا انتفى الـخوفُ والـحُزنُ بسببِ الإيمانِ حَصلَ الأمنُ والأمان.

فالإيمانُ والأمنُ مُترابطانِ إذا وُجدَ هذا وُجدَ ذاك، كما أن السَّلامةَ مرتبطةٌ بالإسلام، يَظهرُ ذلك من قولِه ﷺ إذَا رَأَى الهِلَالَ قَالَ: «**اللهمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِاليُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ الله**»(١).

فالأمنُ لَزيمُ الإيمانِ وقرينُه، والسَّلامةُ لزيمةُ الإسلام وقرينتُه، فمن طَلبَ الأمنَ والسَّلامةَ فعليه بالإيمانِ والإسلامِ، ولهذا يُربِّي الإيمانُ أهلَه على ما يُحقِّقُ أمنَهم.

قالَ ﷺ: «**الـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالـمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»(٢).

فمن هذا الـحديثِ نعلمُ أن تحقيقَ أهلِ الإيمانِ وأهلِ الإسلام للإيمانِ والإسلامِ -على صورتِه الصَّحيحةِ بقواعدِه وضوابطِه الشَّرعيَّةِ- هو الذي يُحقِّقُ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٥١)، وأحمد (١/ ١٦٢)، وأبو يعلى (٦٦١)، والحاكم (٤/ ٣١٧)، [«الصحيحة» (١٨١٦)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢٧)، والنسائي (٨/ ١٠٤)، وأحمد (٢/ ٣٧٩)، والحاكم (١/ ٥٤)، [«صحيح الجامع» (٧٦١٠)].

لهم الأمنَ، وهو الذي يَجلِبُ لهم السَّلامة.

السببُ الثاني: تطبيقُ الحدودِ التي فيها ردعُ المعتدي، وكفُّ الظالمِ كما جاءت في الشريعة الإسلامية.

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة].

فالأمنُ والأمانُ والحياةُ السعيدةُ والبركةُ في ظل شريعة الإسلام.

• فالإسلامُ دينُ الأمنِ والأمانِ، جاءَ لحفظِ الدِّينِ والنَّفسِ والمالِ والعَقلِ والعِرضِ؛ وهي الضَّروراتُ الخَمسُ التي جاءَتِ الأديانُ تَحفظُها وفي مُقدِّمتِها الإسلام.

فحِفاظاً على الدِّينِ شَرعَ اللهُ حدَّ الرِّدَّة، فقالَ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)].

وحفاظاً على النَّفس شَرعَ اللهُ حدَّ القَتلِ، قالَ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ...﴾ [المائدة:٤٥].

وحفاظاً على المالِ شَرعَ اللهُ حدَّ السَّرقة، قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

وحفاظاً على العَقلِ شَرعَ اللهُ حدَّ الخَمرِ فقالَ ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثَّانِيَةَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثَّالِثَةَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ»(١).

وحفاظاً على العِرضِ شَرَعَ اللهُ حدَّ الزِّنى، قالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٍ﴾ [النور:٢]. والزَّاني الـمُحصَنُ يُرجمُ حتّى الـموتِ.

ففي ظلِّ شريعةِ اللهِ يكونُ الأمنُ والأمانُ في البلاد، وإذا لم تُطبَّق حدودُ اللهِ غابَ الأمنُ والأمانُ عن الـمجتمعات.

السببُ الثالث: إعطاءُ الـحقوقِ لأصحابها

النَّاسُ إذا أعطوا حقَّ اللهِ عليهم بأن عبدوهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأطاعوا رسولَهُ ﷺ، وأعطى كلُّ واحدٍ منهم حقَّ الآخرِ سادَ الأمنُ والأمانُ في الـمجتمع.

• ومن أعظمِ الـحقوقِ التي تُوفِّرُ الأمنَ والأمانَ في الـمجتمع حقُّ الرّاعي والرَّعيّة، فما من رعيَّةٍ إلا ولا بدَّ أن يكونَ لها راعٍ، وقد جَعلَ الشرعُ للرَّعيَّةِ حقوقاً على الرّاعي، وجَعلَ للرّاعي حقوقاً على رعيَّتهِ، فإذَا أدّى كلٌّ من الرَّعيَّةِ والرَّاعي هذه الـحقوقَ سادَ الأمنُ في البلاد.

أولاً: حقوقُ الرعية على الراعي.

من حق الرعية على الراعي:

١- أن يَحكُمَهم بالعَدلِ والـحقِّ ولا يَظلِمَهم، ويكونُ ذلكَ في ظلِّ شريعةِ اللهِ، استجابةً لقولِه تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [الـمائدة:٤٩]. ولقولِه تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص:٢٦].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٤٤)، والنسائي في الكبرى (٥٢٩٩)، وأحمد (٤/ ٩٣)، من حديث معاوية، ورواه أبو داود (٤٤٨٤)، وأحمد (٢/ ٢٨٠)، من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٢/ ٢١٤)، من حديث عبد الله بن عمرو [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٨١)].

٢- أن يَنصحَ لهم دائماً ولا يَغُشَّهم.

قالَ ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»(٢).

٣- أن يَرفقَ بهم ولا يَشُقَّ عليهم

قال ﷺ: «**اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(٣).

٤- أن يَتَّخِذَ بطانةً صالحةً تأمرُه بالمعروفِ،وتَصدقُهُ الأخبارَ عن رعيَّتِه.

قالَ ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى**»(٤).

فعلى الرّاعي أن يُؤديَ هذه الحقوقَ لرعيَّتِه لثلاثةِ أمور:

الأمر الأول: لأنَّ اللهَ سائلهُ يومَ القيامةِ عن رعيَّته قالَ ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**»(٥).

الأمر الثاني: ليسودَ الأمنُ والأمانُ في رعيته.

الأمر الثالث: ليُغلقَ الأبوابَ التي يدخلُ منها الخوارجُ والتكفيريّون

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧١٩٨).
(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ للبخاري.

والـحزبيّون فيُؤلِّبونَ الرَّعيَّةَ على الرّاعي، ويدفعونَهم ظلماً وبهتاناً للخُروج عليه ونَزع يدِ الطّاعةِ منه، وهذا ما يقعُ في كثيرٍ من بلادِ الـمسلمَينَ اليوم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

ثانياً: حقوق الراعي على رعيته

١- أن يسمَعوا له ويطيعوا ما لم يأمرْهم بمعصيةِ الله؛ استجابةً لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

ولقولِه ﷺ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[١].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[٢].

٢- أن لا ينزعُوا يداً من طاعة، ولا يَخرُجوا عليه استجابةً لقولِه ﷺ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**[٣]**، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[٤].

أي: لا يجوزُ للرَّعيَّةِ أن تَسمعَ للرّاعي إذا أمرَهم بمعصيةِ الله، ومعَ ذلكَ لا يَنزِعوا يداً من طاعتهِ في الـمعروفِ، ولا يَخرجوا عليه بالسَّيفِ ليسودَ الأمنُ والأمان.

ولقولِه ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»!، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ،! كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»[٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) (من خلع يداً من طاعة) أي: خرج عنها بالـخروج على الإمام وعدم الانقياد له في غير معصية.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥١).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

• وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: يا نَبيَّ الله! أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»**[(١)].

• وقال ﷺ: **«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ** -أي: تدعون لهم- **وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»**، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ -أي: بالسَّيْفِ-؟ قَالَ: **«لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»**[(٢)].

• وقال ﷺ: **«أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»**[(٣)].

• ولما ذكرَ النَّبيُّ ﷺ لحذيفةَ عن الأئمَّة الذين لا يَهتدونَ بهديه ولا يَستنّون بسُنَّته: قالَ حذيفة: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله! إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ ﷺ: **«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»**[(٤)].

٣- النَّصيحةُ لهُ سرّاً، ولا يُذيعوا عُيوبَهُ في مجالسِهم وعلى المنابر وفي وسائل الإعلام؛ استجابةً لقولِه ﷺ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[(٥)].

ولقولِه ﷺ: **«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ»**[(٦)].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٦).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).
(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).
(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٧٦)، والطبراني في «الشاميين» (٩٧٧)، والحاكم (٥٢٦٩)، [«ظلال الجنة» (١٠٩٦)].

السببُ الرابع: الصبرُ وعدم الاستعجالِ، والرجوعُ في الفتن والنوازل لأهل العلمِ.

استجابةً لقولِه تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وَلقولِه ﷺ: لخبّاب بن الأرتِّ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

وإذا نزلَت الفتنُ فيَجبُ على الناسِ أن يرجِعوا إلى أهلِ العلم قبلَ إذاعتِها، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء].

• عن الزُّبيرِ بن عديٍّ قالَ: أتَينا أنسَ بنَ مالك رضي الله عنه فشكَونا إليه ما نَلقى من الـحَجّاج. فقال: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**». سمعتُهُ من نبيكُم ﷺ(٢).

قالوا لو وُضِعَ ظلمُ الـحجاجِ في كِفَّةٍ ووضِعَ ظلمُ الأمّةِ في كِفّةٍ لرجحَ ظلمُ الـحجاجِ، ومعَ ذلكَ عندَما اشتكى الناسُ ظلمَ الـحجّاجِ لأنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أمرَهم بالصَّبرِ ولم يأمرْهم أن يَحرِقوا أنفسَهم، ولم يأمرهم بالـخروجِ إلى الشَّوارعِ في مُظاهراتٍ يَهتِفونَ فيها بسُقوطِ الـحجّاجِ، ويكسرونَ ويُدمِّرونَ ويَنهبونَ ويَقتلونَ رجالَ الأمنِ. ما هذه الفوضى التي تَحدُثُ في بلاد الـمسلمِينَ يا أمّةَ الإسلامِ؟!

اللَّهمَّ قد بلَّغتُ. اللَّهمَّ فاشهَد.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٨).

أمة الإسلام! الأمنُ نعمةٌ عظيمةٌ لا يعرفُ قدرها إلا من فقدها، والـمحافظون على الأمن في بلاد الـمسلمين أجرُهم عند الله عظيم، ولكن من هم الـمحافظون على الأمنِ في بلاد الـمسلمين؟

الـمحافظونَ على الأمنِ في بلادِ الـمسلمِينَ هم:

١- العلماءُ الرّبّانيّونَ، والدُّعاةُ الـمُخلِصون، فهم يُفَقِّهونَ النَّاسَ في دينِهم، ويُعرِّفونَهم بحقِّ الرّاعي عليهم فلا يَخرُجوا عليه، فيَسودُ الأمنُ في البلاد.

٢- الـحاكمُ الذي بيدِه أمرُ البلادِ فهو يَردَعُ الظّالـم، ويأخذُ للمَظلومِ حقَّهُ، ويردُّ الـحقوقَ إلى أصحابِها.

٣- الرَّعيّةُ إذا عَرفَت ما لها وما عليها سادَ الأمنُ في البلاد.

٤- رجالُ الأمنِ بجَميعِ طبقاتِهم يُحافِظونَ على الأمنِ، ويَسهرونَ باللَّيلِ حفاظاً على الأرواحِ والأموالِ والأعراضِ وغيرِها.

هؤلاء جميعاً يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

قالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الـمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

ثانياً: بمحبة الله

قالَ تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾ [الـحجرات].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(١).

فالعدلُ سببٌ لكلِّ خيرٍ، والظلمُ سببٌ لكلِّ شرٍّ، فالـحاكمُ العادلُ يُحبهُ شعبُهُ، وهذا من أهمِّ أسبابِ الأمنِ والأمان.

ثالثاً: بالنجاةِ من النار

الـمُحافِظونَ على الأمنِ في بلادِ الـمسلِمينَ من رجالِ الأمنِ وغيرِهم إذا أرادوا بعَملِهم وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ نَجوا يومَ القيامةِ من عذابِ النَّارِ إذا ماتوا على التَّوحيد.

قالَ ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ**»(٣).

رابعاً: يبشرهم بالـجنة.

قالَ ﷺ في غزوة الأحزاب لأصحابه: «**مَنْ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ** -أي: العدو- **أَشْتَرِطُ لَهُ الرَّجْعَةُ، وَأَضْمَنُ لَهُ الـجنّة؟**»(٤).

وقالَ ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٤٣٤٦)، من حديث أنس، والترمذي (١٦٣٩)، من حديث ابن عباس [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣٠)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨١١).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩٢)، والـمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٥).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

ما هي البُشرى العاشرةُ التي بشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه وأمّتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه -إن شاءَ اللهُ تعالى- في الـجُمعةِ القادمةِ إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

١١

تبشيره ﷺ للطائعين لله ورسوله ﷺ بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس].

موعدُنا في هذا اليوم - إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للطَّائعينَ لله ورسولِهِ ﷺ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة**

- الطَّاعةُ هي: الامتثالُ ظاهراً، والرِّضا باطِناً لحكم اللهِ ورسولِهِ ﷺ(١).
- الطَّاعةُ للهِ ورسولِهِ ﷺ من أجلِّ صفاتِ الـمؤمنينَ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

(١) انظر: «نضرة النعيم» (٧/ ٢٦٧٣).

ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وطاعةُ الرَّسولِ ﷺ هي طاعةٌ للهِ عزَّ وجلَّ

قالَ تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

قالَ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] قال: يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لَا

يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحكِّمَ الرَّسُولَ ﷺ في جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ أَيْ: إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُوا لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ وَلَا مُنَازَعَةٍ[1].

وقد ربَّى النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ على السَّمعِ والطاعةِ للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه ﷺ

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»، فَلَـمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، فَلَـمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «**نَعَمْ**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «**نَعَمْ**» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ **قَالَ: «نَعَمْ»** ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢٠).

﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة] قَالَ: «**نعم**»[١].

فانظُروا عبادَ الله! فقد جاءَ الفَرجُ والـخيرُ بعدَ السَّمعِ والطَّاعةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عندَما حَرَّمَ اللهُ -عزَّ وجلّ- الـخمرَ.

• عَنْ عُمَرَ بن الـخطاب رضي الله عنه أنهُ قَالَ: (اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا في الْخَمْرِ بيانًا شَافِيًا، فنزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]. فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا في الْخَمْرِ بيانًا شَافِيًا، فنزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا في الْخَمْرِ بيانًا شَافِيًا، فنزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الـمائِدَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [الـمائدة]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا!)[٢].

٢- عندَما أمر اللهُ عزَّ وجلَّ بالـحجاب.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٤٩)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والنسائي (٨/ ٢٨٦)، وأحمد (١/ ٥٣)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٤٤٢)].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: يَرحَمُ الله نساءَ الـمهاجراتِ الأُوَلَ، لما أنزل اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فاخْتَمَرْنَ به[١].

٣- عندَما أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بتَحويلِ القبلةِ إلى الـمسجدِ الـحرام.

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الـمَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ -أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ- شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ **يُوَجَّهَ** إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ -وَهُمُ اليَهُودُ-: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة]. فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي صَلاَةِ العَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الـمَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ: أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ القَوْمُ، حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الكَعْبَةِ[٢]. هكذا يكون الـمؤمنُ الصادقُ إذا جاءه الأمرُ من اللهِ ومن رسولهِ ﷺ.

عباد الله! الطّائعونَ لله عزَّ وجلَّ ولرسولهِ ﷺ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتهِ بما يلي:

أولاً: بالفلاح في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧٥٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٩)، ومسلم (٥٢٧) واللفظ للبخاري.

ثانيا: بالفوز في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

ثالثاً: بالرحمة في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور].

رابعاً: بالهداية إلى كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور].

خامساً: بصحبة الأنبياءِ والصالحين

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء].

سادساً: بالفوز العظيم في جنات النعيم، والنجاةِ من العذاب الأليم

قالَ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح].

وقالَ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلونَ الـجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قالُوا: يا رَسُولَ الله! وَمَنْ يَأْبَى؟ قالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[١].

وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه قالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِه، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الـحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ!**»[٢].

سابعاً: بالنجاةِ من الهلاكِ في الدنيا والآخرة.

قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ! إِنِّي رَأَيْتُ الـجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا** -أي: ساروا معه ليلاً-، **فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الـجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ** -أي: استأصلهم-، **فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الـحَقِّ**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

بالطاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ نَتحصَّلُ على سعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، ولكن تعالَوا لنَصدُقَ مع أنفسِنا في طاعةِ وليِّ الأمر الذي أمرنا الله بطاعته.

فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ في سنَّته بطاعةِ وليِّ الأمرِ؛ فقال ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»(١). وقال ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللهِ والسَمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»(٢).

وعن أبي ذرٍ ﭬ قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»(٣). ومعنى (وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ) أي: مقطوعاً. والـمرادُ أخسُّ العَبيدِ. أي أسمَعُ وأطيعُ للأميرِ وإن كانَ دنيءَ النِّسبة. حتى لو كانَ عبداً أسودَ مقطوعَ الأطراف فطاعتُه واجبة.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﭬ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الـمَنْشَطِ وَالـمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ -أَوْ نَقُولَ- بِالـحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ»(٤).

والنّاظرُ في أحوالِ كثيرٍ من النّاسِ في هذا الزَّمانِ العَجيبِ يراهُم لا يَسمعونَ ولا يُطيعونَ لولاةِ أمرهم، وخالَفوا أمرَ اللهِ وأمرَ رسولِه ﷺ، أتدرونَ ما السَّببُ في ذلك؟

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧١٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٤٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧١٩٩-٧٢٠٠).

أولاً: يتَّبعون أهواءهم

قالَ تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

ثانياً: يتبعون الشيطان

قالَ تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت].

وقالَ تعالى على لسانِ الهُدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل].

وقالَ تعالى على لسانِ الشَّيطان: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

ثالثاً: الكبر

قالَ تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

وقالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١).

رابعاً: التقليد الأعمى

قالَ تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف].

خامساً: كثرةُ أهلِ الباطلِ.

كثيرٌ من النّاسِ يَمتنعُ عن السَّمعِ والطّاعةِ للهِ ولرسولِه ﷺ بسبب كثرةِ أهلِ الباطلِ، يظنُّ أنهم لكثرتِهم هم على الـحقِّ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ [الأنعام:١١٦]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم]. وقالَ تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الروم].

فالكَثرةُ يا عبادَ اللهِ! دائماً هي الضَّالةُ، هي الـمشركةُ، هي الـجاهلةُ، والقلةُ هي الشاكرةُ، هي الـمؤمنةُ، هي الطائعةُ للهِ ولرسولِه ﷺ قالَ تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤].

وقالَ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(١).

فعليكَ يا عبدَ الله! بالطَّاعةِ لله وللرَّسولِ ﷺ وإن كنتَ وحدَك، ولا تَغترَّ بكَثرةِ الهالكينَ، فإنه ليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضَّلال.

الطّائعُ للهِ ولرسولهِ ﷺ نُبشِّرُهُ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.

• أما أنت أيُّها العاصي للهِ ولرسولهِ فأبشِر بالعقابِ العاجلِ في الدُّنيا قبلَ الآخرة.

• فهذا رَجُل أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِه، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**كُلْ بيَمينكَ**»، فَقَالَ الرَّجُل: لَا أَسْتَطِيعُ، فقَالَ ﷺ: «**لَا اسْتَطَعْتَ!**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ فَشُلَّتْ يَدُهُ فَمَا رَفَعَها إِلى فِيه(٢).

• أيُّها العاصي للهِ ولرسولِه أبشِر بالضَّلالِ المُبين. قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

• أيُّها العاصي للهِ ولرسولِه أبشِر بالنَّدم والحَسرةِ يومَ القيامةِ. قالَ تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢١).

سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ -أي بضبعٍ- مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**»[1].

• أيُّها العاصي للهِ ولرسولِه أبشر بالعَذابِ الأليم في نارِ جهنَّم. قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن].

وقـالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

عن الـمُسيِّب بن حَزنٍ قال: لَـمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبِ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام، وَعَبْدَاللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الـمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ! قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الـمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٥٠).

تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة][1].

• عَنْ العَبَّاس بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِب أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ الله! هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِب بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ! قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[2].

• وعن ابنِ عبّاس أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[3].

فعذابُ الدنيا والآخرةِ لمن عصى اللهَ ورسولَهُ ﷺ؛ ولذلكَ حذَّرَ ربُّنا جلَّ وعلا في كتابه من معصيتِه ومعصيةِ رسولِه ﷺ. قالَ تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٢].

وقالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

عبادَ الله! ما هي البُشرى الـحاديةَ عشرةَ التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه -إن شاءَ اللهُ تعالى- في الـجُمعةِ القادمةِ إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٣).

١٢

تبشيرهُ ﷺ للثابتينَ على دينهم في زمن الفتن بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة].

موعدُنا في هذا اليوم – إن شاءَ اللهُ تعالى– معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجان من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها –إن شاءَ اللهُ تعالى– من دراستِنا للسَّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُهُ ﷺ للثّابتينَ على دينِهم في زمنِ الفِتنِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة**

نِعمُ اللهِ علينا كثيرةٌ جداً. قالَ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].
وقالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

ومن أعظمِ نعمِ اللهِ علينا، نعمةُ الإسلام والسُّنَّة.

قالَ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ -أي: بالإسلامِ- ﴿إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

• والإسلامُ هو الدِّينُ عندَ اللهِ، وهو الدِّينُ الـحقُّ، وهو دينُ الأنبياءِ جميعاً. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

ومن جاءَ يومَ القيامةِ بغيرِ الإسلام فهو من أخسَرِ الـخاسرينَ. قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

أمة الإسلام! ولقد كَثُرَتِ الفتنُ في هذا الزَّمانِ وسَقطَ فيها من سَقطَ من ضِعافِ الإيمانِ ومَرضى القلوبِ والـمنافقينَ. قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

وقالَ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

• وليسَ هذا فحَسب، بل إنَّ الفتن تشتدُّ يوماً بعدَ يوم، مما يَدلُّ على أنه قد أَزِفَتِ الآزفة، واقتربَ الوعدُ الـحقُّ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الـمُظْلِمِ**»[1].

• إنها فتنٌ تجعلُ الإنسانَ يخرجُ عن دينه.

قالَ ﷺ: «**تكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الـمُظلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/ ٤١٦)، [«صحيح الجامع» (٢٠٤٩)].

فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١).

• إنها فتنٌ تجعلُ الإنسانَ يتمنّى الـموت.

قالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»**(٢).

xومن هذه الفتنِ التي انتَشرَت في هذا الزّمانِ وفي غيره

أولاً: فتنةُ المال.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الـمَالُ**»(٣).

ومن الأمثلةِ على ذلكَ من الكتابِ والسُّنة:

١- صاحبُ الـجنَّتَينِ في سورةِ الكهف.

٢- قارون

فكلٌّ منهما افتتنَ بمالِه فبَغى وتكبَّر فحَرَمهُ اللهُ هذا الـمال.

٣- الأقرعُ والأبرصُ في حديثِ الثّلاثةِ من بني إسرائيل.

ثانياً: فتنةُ النساء

النِّساءُ فتنةٌ عظيمةٌ للرِّجالِ، ولذلكَ عدَّها اللهُ في كتابِه في مّقدمةِ الشَّهواتِ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٩٧)، والـحاكم (٦٢٦٣)، [«صحيح الـجامع» (٢٩٩٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

فقالَ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران:١٤].

وقالَ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «الـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»(٣). أي: زينها في أعين الرجال.

ثالثاً: فتنةُ التكفير -أي: يُكَفِّرَ المسلمُ أخاهُ المسلم-، وفتنةُ الهرجِ -أي: القتلِ-، وهما ناتجانِ من انتشار فكرِ الخوارجِ في الأمةِ.

قالَ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»(٤).

وقالَ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ الْهَرْجَ» قالوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ ... إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ»(٥).

وقالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»(٦).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٣٧٤١،٣٧٤٠).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (١١٧٣) والبزار (٢٠٦١، ٢٠٦٢) وابن حبان (٥٥٩٩) وابن خزيمة (١٦٨٥) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٤، ٣٤٦)].
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ للبخاري.
(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٤٠٦)، وابن ماجه (٣٩٥٩)، وأبو يعلى (٧٢٥٥)، وابن حبان (٦٧١٠) واللفظ لأحمد، [«الصحيحة» (١٦٨٢)].
(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠٨).

رابعاً: فتنةُ انقلابِ المفاهيم.

قالَ ﷺ: «**سَيأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤَمَّنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[(١)].

خامساً: فتنةُ دُعاةِ الضلالةِ وأئمةِ الجهل.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[(٣)].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٨٤٣٩) من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٣/ ٢٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٣٩) من حديث أنس، والبزار (٢٧٤٠) من حديث عوف بن مالك، واللفظ لابن ماجه [«السلسلة الصحيحة» (١٨٨٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

ما هي الوسائلُ التي إذا تَمسَّكَ بها الـمسلمُ في زمنِ الفتنِ ثبتَ على دينِه؟

من رحمةِ اللهِ بعبادهِ الـمؤمنين أن أخبرَهم في كتابِه عن الوَسائلِ التي بها يَثْبُتُ الـمؤمنُ على دينِه، وكذلكَ من رحمتهِ ﷺ أن أخبرَ أمتهُ في سُنَّتِه عن الوسائلِ التي يَثْبُتُ بها الـمؤمنُ على دينِه في زمنِ الفتنِ، ومنها:

أولاً: الإيمانُ الصادقُ، العقيدةُ الصحيحةُ، التوحيد.

قالَ تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

وجاءَت هذه الآيةُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ بعدَ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم].

وبعد هذه الآيةِ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

ليُبيِّنَ لنا ربُّنا جلَّ وعلا كيفَ يُثبِّتُ أهلَ الإيمانِ، أهلَ التَّوحيدِ على دينِهم، في الدُّنيا والآخرة.

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ**

هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»(١).

• وسألَ هرقلُ أبا سفيانَ عن صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «هل ارتدَّ منهم أحدٌ عن دينِه سُخطةً له بعدَ أن دخلَ فيه؟ فقالَ أبو سفيانَ: لا، قال هرقل: وكذلكَ الإيمانُ إذا خالطَ بشاشةَ القلوب»(٢).

ومن الأمثلة على أن الإيمانَ الصادقَ يثبِّتُ صاحبهُ عند الفتن

١- السَّحرةُ عندَما دخل الإيمانُ في قلوبِهم.

قالَ تعالى في وصفهم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

فرعونُ يُهدِّدُهم بأشدِّ العذابِ فقالَ لهم: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه].

فثبتَ السَّحرةُ على دينِهم وإيمانِهم وقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

٢- وهذا صحابيٌّ جليلٌ أسرَهُ الكفّارُ في مكّةَ، وعذّبوه عذاباً شديداً، فقالوا له وهو تَحتَ هذا التَّعذيبِ: أتُحبُّ أن محمداً مكانَك وأنتَ في أهلِك؟ فصاحَ فيهم قائلاً: (لا، واللهِ العظيم ما أُحبُّ أن يفديني بشوكةٍ يشاكها في قدميه)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٠١)، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٢٩٥) للطبراني.

اللهُ أكبر! اللهُ أكبر! إنه الإيمانُ إذا تمكَّنَ من القلوبِ؛ ولذلكَ قالَ القائل:

أسرتْ قريشٌ مُسلماً فمَضى بلا وجلٍ إلى السيَّافِ
سألوه هل يرضيك أنك سالمٌ ولك النبيُّ فِدىً من الإتلافِ
فأجابَ كلا لا سَلِمتُ من الرَّدى ويُصابُ أنفُ محمدٍ برعافِ

ثم طلبَ رضي الله عنه من الكُفَّارِ قبلَ أن يقتلوه أن يُصلِّيَ رَكْعَتَيْنِ للهِ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاللهِ! لَوْلاَ أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِم فَقَالَ: اللهمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلاَ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثم قالَ:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي[(١)]

٣- بلالُ بنُ رباحٍ رضي الله عنه

يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ رضي الله عنهم، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»[(٢)].

ثانياً: التَّمسُّكُ بالقرآنِ والسنةِ ومنهجِ سلفِ الأمةِ.

أما الكتابُ

• فلقولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٨٩).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، والحاكم (٣/ ٣٢٠)، [«صحيح السيرة النبوية» (١٢١-١٢٢)].

لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان].

• ولقولِه تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل].

وأما السُنةُ

فلقولِه ﷺ: «[illegible]»(١).

وأما منهجُ سلفِ الأمةِ

فلقولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وقولِه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤)، والحاكم (٢٩١)، [«صحيح الجامع» (٣٢٣٢)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٣) وأحمد (٤/ ١٢٦) وابن حبان (٥) [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

فإذا أقبلَ الـمؤمنُ على القرآنِ والسُّنةِ فَهماً وتَدبُّراً وعملاً، واتَّبعَ سبيلَ الـمؤمنينَ وهم الصَّحابةُ ﭫ ومن تَبِعَهم، ثَبتَ على دينِه في زمنِ الفتن.

ثالثاً: التأسي بالأنبياءِ والصالحين والدعاةِ السابقين.

قالَ تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود]. قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

وها هو ﷺ يربي أصحابَهُ على ذلك:

١- عن خبّاب بن الأرتِّ ﭬ قالَ: شكَونا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُرْدَةً في ظلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: ألاَ تَسْتَنْصِرُ لَنا ألا تَدْعُوا لَنا؟ قال: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الـحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِه وَعَظْمِه، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

٢- وعن صهيبٍ ﭬ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَـمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ**» إلى أن قال ﷺ: «**فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ! فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَى، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ**

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٤٣).

بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ» إلى أن قال ﷺ: «فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ! اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»(١).

رابعاً: الدعاءُ

الدُّعاءُ من أقوى الأسبابِ للثَّباتِ على الدِّينِ في زمنِ الفتنِ. قالَ تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة:٢٥٠].

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران].

• وسألت أُمُّ سلمة رسول الله ﷺ عن كَثْرة دُعائِه: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقَالَ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ»(٢).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وأحمد (٦/ ٣١٥)، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٧)، وأبو يعلى (٦٩٨٦)، [«صحيح الترمذي» (٣/ ١٧١)].

خامساً: الاستجابةُ لله ولرسولِه ﷺ بفعلِ المأمورِ وتركِ المحظور

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

فهذهِ مخالفةٌ واحدةٌ يومَ أحدٍ حوَّلَتِ النَّصرَ إلى هزيمة، فكيف بالـمخالفاتِ الكثيرةِ التي تَقعُ منّا في هذا الزَّمان؟

سادساً: الاعتزازُ بالإسلام، والثقةُ بنصر الله، وأن المستقبلَ للإسلام.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت] أي: قالَ بكلِّ فَخرٍ واعتزازٍ: إنني من الـمُسلمِينَ، لأن اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الـمنافقون:٨].

وكان الفاروقُ يقولُ: (كنّا أذلاءَ -أي: قبلَ الإسلام- فأعزَّنا اللهُ بالإسلام، فلو ابتغَينا العِزّةَ بغيرِ الإسلامِ؛ أذلَّنا اللهُ) ولا بدَّ للإنسانِ أن يَثِقَ بنَصرِ الله.

فاللهُ عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

*عبادَ اللهِ! الثَّباتُ على الدِّينِ من أعظمِ نِعمِ اللهِ على عبدِه، ولذلكَ امتَنَّ اللهُ بهذه النِّعمةِ على رسولِه ﷺ. فقالَ تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء].

وامتنَّ بها أيضاً على عبادهِ المؤمنينَ فقالَ تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

• **والثّابتونَ على دينِهم يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:**

أولاً: بفلاحِ الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال].

ثانياً: بالأجرِ العظيمِ والهدايةِ إلى الصِّراطِ المستقيم

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٥١)، والحاكم (٤/ ٤٧٧)، والبيهقي (٩/ ١٨١) واللفظ لأحمد، [«السلسلة الصحيحة» (٣)].

﴿لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء].

ثالثاً: بثوابِ الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران].

رابعاً: بالنَّصرِ على الأعداء.

قالَ تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩-٢٥١].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]. وقالَ تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

فالـمؤمنُ الذي يَثبتُ على دينِه في زمنِ الفتنِ نَصرَ اللهَ في نفسِه، والذي يَنصرُ اللهَ ويَثبُتُ على دينِه يَنصرُهُ الله.

خامساً: بالثَّباتِ في القبرِ والنَّجاة من عذابه والفوزِ بالجنة

قالَ ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» (ثلاثاً)، ثم قال: «**إِنَّ العَبْدَ الـمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ**» إلى أن قال ﷺ: «**فَيَأْتِيه مَلَكَان** (شَدِيدَا الانْتِهارِ) فـ (يَنْتَهِرانِه، و) **يُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّك؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ**

الَّذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولانَ لَهُ: وَمَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ، فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبيُّكَ؟ وَهِيَ آخرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الـمُؤْمِنِ» فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهَ عزَّ وجلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم:٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الـجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الـجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الـجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِها وَطِيبِهَا، وَيُفسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ [وَفِي رِوَايَةٍ: يُمَثَّلُ لَهُ] رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ:أبشرْ بالذِي يَسُرُّكَ، [أَبْشر برضْوَانٍ مِنَ اللهِ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ]، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوْعَد، فَيَقُولُ لَهُ: [وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ] مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالـخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ [فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلاَّ كُنْتَ سَرِيعاً فِي طَاعَةِ اللهِ، بَطِيئاً فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْراً]، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الـجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ عَصَيْتَ اللهَ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الـجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ، كَيْما أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، [فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ](١)».

فالثّابتُ على دينهِ يَسعَدُ في الدُّنيا وفي القَبرِ، ويومَ القيامةِ يَفوزُ بجنّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ. يُقال لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]. ويُقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان].

ما هي البُشرى الثانيةَ عشرةَ التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٥١)، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، والـحاكم (١/ ٩٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٨)].

١٣

تبشيرهُ ﷺ للمتحابين في الله بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسَّيرة النَّبويّة العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُهُ ﷺ للمُتحابِّينَ في اللهِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• الـحبُّ في اللهِ هو أن تُحِبَّ إنساناً لله وفي اللهِ لا لشيءٍ من أمورِ الدُّنيا، تُحبُّهُ لأنهُ مؤمن، تُحبُهُ لأنهُ أخٌ لكَ في الإسلامِ، تُحبُّهُ لأنه يقولُ: «لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله».

• وهذا الـحبُّ في اللهِ عزَّ في زمنٍ طَغَت فيه الـمادّةُ على كثيرٍ من النّاس، وعزَّ في زمنٍ ملأَتِ الدُّنيا قلوبَ كثيرٍ من النّاسِ، فعليها يَجتمعونَ، ومن أجلِها يُسافرونَ، وبسببِها يَتحابّون.

• الـحبُّ في اللهِ عزَّ في زمنٍ كثُرَت فيه الفِرقُ والأحزابُ ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون]. فالـحبُّ بينَهم للحزبِ ومن أجلِ الـحزب.

• الـحبُّ في اللهِ أوثقُ عُرى الإيمان.

يقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: كُنّا جلوساً عندَ النّبيِّ ﷺ فقالَ: «**أيُّ عُرَى الإِسْلام أَوْثَقُ؟**» قالوا: الصلاة، قال: «**حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا**». قالوا: صيام رمضان، قال: «**حَسَنٌ وَمَا هُوَ به**». قالوا: الـجهادُ، قال: «**حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ**». قال ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضُ فِي اللهِ**»(١).

• الـحبُّ في اللهِ دليلٌ على كمالِ الإيمان. قالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانُ**»(٢).

• الـحبُّ في اللهِ له طعمٌ وحلاوةٌ يَشعُرُ بها الـمؤمنُ في قلبه.

• يقولُ ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللهِ وَيُبْغِضَ فِي اللهِ، وَأَنْ تُوقَدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعَ فِيهَا، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن أَنْ يُشْرِكَ باللهِ شَيْئاً**»(٤).

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانُ فَلْيُحِبَّ الـمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ**»(٥).

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٢٨٦)، والطيالسي (٧٤٧)، والـمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في الأوسط (٩٠٨٣)، من حديث أبي أمامة، والـحاكم في الـمستدرك (٢/ ١٧٨)، من حديث معاذ الـجهني [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٩)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٤) **صحيح**: رواه النسائي (٤٩٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٠)].

(٥) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٨)، والبزار (٩٦٠٩)، وابن راهويه في مسنده (٣٦٦)، والـحاكم (١/ ٤٤)، واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٢)].

الـحبُّ في اللهِ شأنُه في الإسلامِ عظيم؛ فهو من دينِنا ومن عقيدتِنا، يُوفَّقُ إليه من وَفَّقَه الله، فاحرِصوا عليه عبادَ اللهِ تَسعَدوا في الدُّنيا والآخرة.

ومن الأمورِ التي تُقوِّي وتُساعدُ على الحبِّ في اللهِ وتُكثِّرُ هذا الـخُلقَ العَظيمَ في الأمة

أولاً: إفشاءُ السلام

• قالَ ﷺ: «**لَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(١).

• ويقولُ البراءُ رضي الله عنه: (أَمَرَنَا رَسُولَ الله ﷺ بِسَبْعٍ)، وذكر منها: «**وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**حَقُّ الـمُسْلِمِ عَلَى الـمُسْلِمِ سِتٌّ**»وذكر منها: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**حَقُّ الـمُسْلِمِ عَلَى الـمُسْلِمِ خَمْسٌ**»: وذكر منها: «**رَدُّ السَّلَامِ**»(٤).

فإفشاءُ السَّلامِ يُصفِّي القلوبَ ويُطهِّرُها من الضَّغائِن، ويَزرعُ فيها الـمحَبَّةَ والـمودّةَ، والقلبُ إذا صَلحَ صَلحَ الـجسدُ كلُّه، وإذا فَسدَ فَسدَ الـجسدُ كلُّه.

ثانياً: الابتعادُ عن كلِّ أمراضِ القلوبِ، والحرصُ على طهارتها

• قالَ ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ**

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٧٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا » -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[١].

ثالثاً: الابتعادُ عن كلِّ المعاصي والذُّنوبِ، والاجتهادُ في الأعمالِ الصالحة

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[مريم]. -أي: محبةً في قلوب العباد-

• وقالَ ﷺ: «**مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ فِي الإِسْلامِ فَيُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا ذَنْبٌ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا**»[٢].

رابعاً: الهدية

الهديةُ التي يُقدِّمُها الأخُ لأخيه في اللهِ يبتغي بها وجهَ اللهِ تؤلِّفُ القلوبَ وتورثُ الـمحبة.

• قالَ ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا**»[٣]، ولما تَركَ النّاسُ الهَديّةَ في اللهِ حلَّت مكانَها الرِّشوةُ الـحرام.

خامساً: الاقتصادُ في الزيارة.

والاقتصادُ في الزِّيارة يا عبادَ الله! هو أن يَزورَ الأخُ أخاهُ في اللهِ فلا يُكثِرُ ولا يقلِّل، لا إفراطَ ولا تفريط.

• قالَ ﷺ: «**زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**»[٤]. -أي- زُر يوماً بعدَ يوم، أو أسبوعاً بعد

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (٤٠١)، من حديث أنس، وأحمد (٢/ ٦٨)، من حديث ابن عمر [«السلسلة الصحيحة» (٦٣٧)].

(٣) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، والبيهقي (٦/ ١٦٩)، [«صحيح الـجامع» (٣٠٠٤)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٣٩٦٣)، من حديث أبي ذر، والـحاكم (٣/ ٣٩٠)، من حديث حبيب بن مسلمة، والطبراني في الأوسط (١٧٥٤)، من حديث أبي هريرة، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٣)].

أسبوعٍ تَزدَد حُبّاً، فلا تُكثِر من زيارةِ الذي يُحبُّكَ في اللهِ فيمَلَّك، ولا تُقلِل فينْسَكَ، ولكن تَخوَّلْه بالزِّيارة.

سادساً: الاقتصادُ في الحبِّ والبغض

فالذي تُحبُّهُ اليومَ عسى أن تُبغِضَه غداً، والذي تُبغِضُه اليومَ عسى أن تُحبَّه غداً، فالقصدُ والاعتدالُ أولى في الحبِّ والبُغض. قالَ ﷺ: «**أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا**»(١).

سابعاً: أن يخبرَ الأخُ أخاهُ الذي يحبه في الله أنهُ يحبه.

• قالَ ﷺ: «**إذا أَحبَّ أَحدُكُم أَخاهُ فَليُعلِمْهُ أنهُ يُحبُّهُ**»(٢).

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: «يَا رَسُول الله! إنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبيّ ﷺ: «**أأعْلَمْتَهُ؟**» قَالَ: لا. قَالَ ﷺ: «**أعْلِمْهُ**» فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: (إنِّي أُحِبُّكَ في الله)، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ»(٣).

عباد الله! المتحابون في الله يبشرهم ربهم في كتابه ورسولهم ﷺ في سنته بما يلي:

أولاً: اللهُ عزَّ وجلَّ يحبُّ المتحابين في الله.

• قالَ ﷺ: «**قَالَ الله تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحابين فِيَّ، وَالـمُتَجَالِسينَ فِيَّ، وَالـمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»(٤).

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٩٧)، والطبراني في الأوسط (٣٣٩٥)، [«صحيح الجامع» (١٧٨)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٢)، والترمذي (٢٣٩٢)، والنسائي (١٠٠٣٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن حبان (٥٧٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٤١٧)]

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٥١٢٥)، وأحمد (٣/ ١٤٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٠١٠)، والحاكم (٧٣٢١)، [«المشكاة» (٣٢٥٣)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وعبد بن حميد (١٢٥)، وابن حبان (٥٧٥)، والحاكم (٧٣١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨١)].

• وقالَ ﷺ: «**قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي**»(١).

• ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ** -أي: على طريقه- **مَلَكًا، فَلَـمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟**» قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: «**هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟**» قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى، قَالَ: «**فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»(٢).

فأبشروا أيها الـمُتحابّونَ في اللهِ بأن اللهَ يُحِبُّكم. واللهُ عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبداً لا يعذبُه في النارِ أبداً، وإذا أَحَبَّ عبداً، إذا دعاهُ استجابَ له، وإذا استغفَرهُ غفر له، وإذا سألَه أعطاهُ سُؤلَه. وإذا أحبَّه ألقى مَحبَّتَه في الأرض وفي السماءِ.

• قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبداً دَعَا جبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُول: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(٣). وقالَ ﷺ: «**والله لا يُلقي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(٤).

ثانياً: يظلهم اللهُ في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ.

يومُ القيامةِ؛ يومَ يقومُ النّاسُ لربِّ العالـمينَ، النّاسُ في أرض الـمَحشرِ أبصارُهم خاشعةٌ، أجسادُهم عاريةٌ، أقدامُهم حافيةٌ، قلوبُهم واجفةٌ، الشَّمسُ على رؤوسِهم، والعَرقُ يُلجِمُهم إلجاماً.

(١) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٨٦)، وعبد بن حميد (٣٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢١)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ له

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، وأبو يعلى (٣٧٤٧)، والبزار (٦٥٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٠٧)]

• في هذا اليوم يقولُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟! الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(١).

• ويقولُ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأ في عِبَادَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالـمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسَنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

ثالثاً: يُجلسهم اللهُ يومَ القيامةِ على منابرَ من نور.

• قالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: الـمُتَحَابُّونَ في جَلالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(٣).

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ للهِ جُلَسَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ يَمينِ العَرْشِ -وكلتا يدي الله يمين- عَلَى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ، وُجوهُهُمْ مِنْ نورٍ، لَيْسوا بِأَنْبِياءَ وَلاَ شُهَداءَ وَلا صِدِّيقِينَ». قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال ﷺ: «هُمُ الـمُتَحابُّونَ بِجَلالِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى»(٤).

رابعاً: المتحابون في الله يوم القيامة لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس.

• قالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبادِ اللهِ عِبادًا لَيْسُوا بِأَنْبِياء، يَغْبُطُهُمُ الأَنْبِياء وَالشُّهَداء». قيل: من هم لعلَّنا نحبهم؟ قال ﷺ: «قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنورِ اللهِ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلاَ أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ، عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذا خَافَ النَّاسَ، وَلاَ يَحْزَنونَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٩)، من حديث معاذ، والطيالسي (٢٣٣٥)، من حديث أبي هريرة [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠١٩)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٤٣٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٢)].

إذا حزنَ النَّاسَ». ثم قرأ ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس][1].

خامساً: الحبُّ في اللهِ طريقٌ إلى الجنة.

• قالَ ﷺ: «**وَالذي نَفْسي بيَدِه! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[2].

• وقالَ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟**» قلنا: بلى يا رسولَ الله! قال: «**النَّبيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالصِّدِّيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمِصرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا للهِ فِي الْجَنَّةِ**»[3].

• وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟) فَقَالَ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[4]. -أي: في الجنة-

عباد الله! ما هي لوازمُ الحبِّ في الله؟

أولاً: أن يُحبَّ العبدُ الخيرَ لأخيه كما يُحبُه لنفسه

• قالَ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[5].

ثانياً: النصيحةُ

• قالَ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٢٧)، من حديث عمر بن الخطاب، وأبو يعلى (٦١١٠)، وابن حبان (٥٧٣)، من حديث أبي هريرة [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في الأوسط (١٧٤٣)، من حديث أنس، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٠٣)، من حديث ابن عباس [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٠)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

الـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[١].

ومن الأمثلة على ذلك:

نَصِيحَةُ سَلْمَانَ ﷺ، لأَخِيهِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ وَهَبِ بْنِ عَبدالله ﷺ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَلَـمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فَلَـمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعًا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»[٢].

ثالثاً: النصرة

• قالَ رسولُ الله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، [illegible]؟ قَالَ: «**تَحْجِزُهُ -أَوْ تَمْنَعُهُ- مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[٣].

رابعاً: الدُّعاءُ بظهر الغيب

• قالَ ﷺ: «**مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[٤]. والـمسلمُ يدعو لأخيه بظهر الغيب حياً وميتاً.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٦٨).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٥٢).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٢).

قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

خامساً: ومن لوازمِ الحبِّ في اللهِ: أن يُدخِلَ المؤمنُ السرورَ على قلبِ أخيه، وأن يقضيَ له حاجتَه.

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْناً، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الـمَسْجِدَ،** (يعني: مسجد الـمَدينة) **شَهْراً، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ -وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ- مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ؛ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ، [وإِنَّ سُوءَ الـخُلُقِ يُفسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفسِدُ الـخَلُّ العَسَلَ]**»(١).

وأروعُ الأمثلةِ في ذلك ما فعلهُ الأنصارُ مع إخوانهم الـمهاجرين.

• عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَـمَّا قَدِمُوا الـمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَهْيَمْ**»، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «**كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟**». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، -أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الـمعجم الكبير [«السلسلة الصحيحة» (٩٠٦)].

ذَهَبٍ-، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ[١].

عبادَ الله! ما هي البُشرى الثالثةَ عشرةَ التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابه وأمتَه؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٨٠)، وبعضه عند مسلم (١٤٢٧).

١٤

تبشيره ﷺ للخائفين من الله عزّ وجلّ بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ [الفرقان].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرة النّبويّة العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للخائفينَ من اللهِ عزَّ وجلَّ بسعادةِ الدُّنيا والآخرةِ.**

«الـخوفُ» و«الـخشيةُ» و«الرهبةُ» ألفاظٌ متقاربةٌ غيرُ مترادفةٍ.

«والـخوفُ»: خوفان:

• **خوفٌ فطري**: وهو خوفُ الإنسانِ من عدوٍّ أو أسدٍ أو غيرِ ذلك، وهذا الـخوفُ لا يُؤاخَذُ الإنسانُ عليه. كقولِه تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ [الشعراء:٢١]. وكقولِه تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤﴾ [الشعراء].

• **وخوفٌ شرعي**: وهو الـخَوفُ من اللهِ -عزَّ وجلّ- الذي يَمنَعُ صاحبَهُ من اقترافِ الـمعاصي، ويدفعهُ إلى فعلِ الطّاعات.

• وهذا الـخوفُ لا يكونُ إلا من اللهِ وحدَه، بل هو من لوازم الإيمانِ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤]. وقالَ تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

• ولذلكَ كانَ أفضلُ خلقِ اللهِ أشدَّ خوفاً وخشيةً للهِ عزَّ وجلَّ

١- فها هم الـملائكةُ عبادُ الله لا يَعصونَهُ ويفعلونَ ما يُؤمرون، ويُسبِّحونَهُ باللَّيلِ والنَّهارِ لا يَفترونَ، ومعَ ذلكَ يقولُ اللهُ في وصفِهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

ويقولُ ﷺ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ عَلَى جِبْرِيلَ فِي الْمَلإِ الأَعْلَى كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ -عَزَّ وجلّ**»[1].

٢- وها هم الأنبياءُ والرُّسلُ صفوةُ الـخلق، ومع ذلكَ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في وصفِهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

٣- وها هو رسولُنا ﷺ أفضلُ الـخلقِ عندَ الله؛ عبدٌ غُفِرَ له ما تَقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّر، ومعَ ذلكَ يخافُ من اللهِ. يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ على لسانِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام].

ويقولُ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[2].

(١) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢١)، الطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، واللفظ للبخاري

٤- وها هم العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ يقولُ اللهُ في وصفِهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

ويقولُ سبحانَه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

٥- وها هم الصّالحونَ من الصَّحابةِ وغيرِهم يَخافونَ من اللهِ عزَّ وجلَّ. قالَ تعالى في وصفِهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذهِ الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: أَهُم الَّذِين يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُون؟ قَالَ: «**لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُم الذِينَ يَصُومُون، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُم يَخَافُونَ أَلَّا يُقبلَ مِنْهُم** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾»[(١)].

• وقالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّه، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وذكر منهم: **وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[(٢)].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ١٥٩) واللفظ للترمذي، [«الصحيحة» (١٦٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

• وقالَ عمرُ بنُ الـخطّابِ ﷺ: (لو نادَى مُنادٍ من السماءِ: أيها الناسُ! إنكم داخِلونَ الـجنةَ كُلُّكمُ إلا رجُلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَ أنا هو)[1].

• وقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: كَانَ رَأْسُ عُمَرَ عَلَى فَخِذِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لِي: ضَعْ رَأْسِي، قَالَ: فَوَضَعْتُهُ عَلَى الأَرْضِ، فَقَالَ: «وَيْلِي وَوَيْلُ أُمِّي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي»[2].

• وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»[3].

واللهُ عزَّ وجلَّ يُخَوِّفُ عبادَهُ رحمةً بهم، قالَ تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

• وَخُسِفَتْ الشَّمْسُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ فَزِعًا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، حَتَّى أَتَى الـمَسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ. مَا رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الـحلية» (١/ ٥٣).

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (١١٨)، وابن الـمبارك في «الزهد والرقائق» (٢٦٢).

(٣) حسـن: رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمـد (٤٥٤)، والـحاكم (١٣٢١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٠)].

(٤) متفق عليه: البخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٩١٢)، واللفظ له.

• فاللهُ -عزَّ وجلّ- تارةً يُخوِّفُ عبادَهُ من نفسِه، ومن بطشِهِ، ومن عقابِه، ومن عذابِه.

قالَ تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]. وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج]. وقالَ تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٩٨].

وقالَ تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

• وتارةً يُخوِّفُهم بالـمَوتِ

قالَ تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق]. وقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨]. وقالَ تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

• وتارةً يُخوِّفُهم بعذابِ يومِ القيامة

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]. ويقولُ سبحانه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

• وتارةً يُخوِّفُهم بعذابِ جهنَّم

قالَ تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ

عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ [الزمر]. وقالَ تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف]. وقالَ تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ [محمد].

• وتارةً يُخوِّفُهم من شُؤمِ الـمعاصي

قالَ تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الأنعام:٦].

وقالَ تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الـملك].

ورسولُنا ﷺ يُخوِّفُ أُمتَهُ رحمةً بهم

• عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ**[1]**، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**».

قال أبو ذر: وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ[2].

• ولما خوَّفَ اللهُ ورسولُهُ العبادَ بالـموتِ، استقامَ الـمؤمنونَ على طاعةِ اللهِ حتّى الـموت.

---

(١) أطَّتْ: أي: خرج لها صوتٌ من كثرة الـملائكة.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والبزار (٣٩٢٥)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٠)].

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت].

• ولما خوَّفهم من يومِ القيامةِ، استَعدُّوا له بالـمسارعةِ إلى الأعمالِ الصّالـحة.

قالَ تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان].

وقالَ تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ [النور].

• ولما خوَّفَهم من عذابِ النّارِ، قاموا اللَّيلَ يُصلُّونَ ويَستغفِرونَ ويَدعونَ اللهَ أن يَصرِفَ عنهم عذابَها.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان].

والنّاظرُ إلى كثيرٍ من النّاسِ اليومَ يراهُم لا يخافونَ من موتٍ ولا قبرٍ ولا بعثٍ ولا حشرٍ ولا حسابٍ ولا نارٍ، فانطبَق عليهم:

• قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾ [الإسراء].

• وانطبقَ عليهم قولُ القائل:

أمـا واللهِ لـو عَـلِـمَ الأنـامُ ... لِـمـا خُـلِـقـوا لَـمـا هَـجَـعـوا ونـامـوا
لقد خُـلـقـوا لأمـرٍ لـو رأتـهُ ... عـيـونُ قـلـوبهـم تـاهـوا وهـامـوا
ممـاتٌ ثـم قـبرٌ ثـم حـشرٌ ... وتـوبـيـخٌ وأهـوالٌ عـظـامُ
ليومِ الـحشر قد عَمِلَت رجالٌ ... فـصـلُّـوا مـن مَخـافـتـه وصـامـوا
ونَـحـنُ إذا أُمِـرنـا أو نُهينا ... كـأهـلِ الـكـهـفِ أيـقـاظٌ نيام

• بل إن كثيراً من النّاس -إلا من رَحِمَ ربِّي- أمِنوا مكرَ الله، واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

ومن أكبرِ الأدلةِ على ذلكَ ما يَحدُثُ في شوارعِ الـمُسلمينَ اليومَ من الفَوضى والقَتلِ والهَرج، لا يدري القاتلُ في أيِّ شيءٍ قَتَلَ، ولا يَدري الـمقتولُ في أي شيءٍ قُتِلَ معَ أن اللهَ عزَّ وجلَّ في كتابِه حذَّرَ من جريمةِ القتلِ والاعتداءِ على النَّفسِ بغيرِ حقٍّ.

فقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء:٣٣].

وقالَ تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

• ورسولُنا محمدٌ ﷺ في سُنَّته يُحذِّرُ من جريمةِ القتلِ والاعتداءِ على النَّفسِ بغيرِ حقٍّ.

قالَ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»[1].

وقال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[2].

وقد أكَّد ﷺ في خُطبتِه في حَجَّةِ الوداعِ حُرمةَ دماءِ المسلمِينَ وأموالِهم وأعراضِهم بتَشبيهِها بحُرمةِ الزَّمانِ والمكان.

فقالَ ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللهمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[3].

وقالَ ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الـمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»[4].

ويقولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «**يَجِيءُ** -أي: المقتول- **يوم القيامة مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٧/ ٨٥)، والترمذي (٣٠٢٩)، وأحمد (١/ ٢٤٠)، وعبد بن حميد (٦٨٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٧)].

فمن الـمسؤولُ يا معشرَ الـمسلمين! حُكاماً ومحكومِينَ عن هذه الأنفسِ التي تُقتَلُ بغيرِ حقٍّ في شوارعِ الـمسلمِينَ اليوم؟!

والنبي ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُم اللهُ فِي النَّارِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**إِذَا التَقَى الـمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالـمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ الـمَقْتُولِ؟ قَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(٣).

والـخوفُ من اللهِ يمنَعُ صاحبَهُ من اقترافِ الـمعاصي عامةً ومن اقترافِ جريمةِ القتلِ خاصةً، أما الذي لا يَخافُ من اللهِ يتجرأُ على معصيةِ اللهِ عامّةً وعلى جريمةِ القتلِ خاصةً، وقد ضَرَبَ اللهُ لنا في كتابه مثلاً للذي لا يَخافُ من اللهِ كيف تَجرَّأ على جريمةِ القتلِ، والذي يخافُ من اللهِ امتنعَ عن جريمةِ القتل.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

ولذلكَ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ**

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٢)].
(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي (٣٩٨٧)، وابن ماجه (٢٦١٩)، والبزار (٢٣٩٣)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٨)].
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٥)، ومسلم (٢٨٨٨).

مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»[١].

أمة الإسلام! الـخائفونَ من اللهِ عزَّ وجلَّ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالتمكين في الأرض

قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم].

ثانياً: بمغفرة الذنوب

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ الله تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عزَّ وجلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ...»** إلى أن قال ﷺ: **«فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الـمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الـجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»**[٢].

• وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ**[٣]**، فَلَـمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ:**

(١) متفق عليه: البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)،

(٣) أي: بالغ في الـمعاصي.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ! أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ»(١).

ثالثاً: بجنةٍ عرضها السمواتُ والأرض.

قالَ تعالى في وصفِ أهلِ الـجنَّة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور].

وقالَ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقالَ ﷺ: **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ»**(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ النبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الـمَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: **«اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦)، واللفظ له.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وعبد بن حميد (١٤٦٠)، والحاكم (٧٨٥٢)، [«**صحيح الترغيب والترهيب**» (٣٣٧٧)].

وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الـجَنَّةِ»[1].

ما هي البُشرى الرابعةَ عشرةَ التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩)، واللفظ للبخاري.

١٥

تبشيره ﷺ للناصحين للمسلمين، والقابلين للنصيحة بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ].

ويقولُ سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة].

موعدُنا في هذا اليومِ - إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للنّاصحينَ للمسلمِينَ، والقابلينَ للنَّصيحةِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

النَّصيحةُ: كلمةٌ جامعةٌ تَتضمَّنُ قِيامَ الناصح للمَنْصُوحِ لهُ بِوجوهِ الخيرِ إرادةً وفِعلاً، وتَشملُ النصِيحةَ للهِ ولرسولِه ولكتابِه ولأئمةِ المسلِمينَ وعامَّتِهم[1].

والنَّصيحةُ لا تكونُ إلا من مؤمنٍ صادقٍ مُحِبٍ، يُحِبُّ للمسلمِينَ ما يُحبُّ لنَفسِه، ولا تكونُ النَّصيحةُ أبداً من عدوٍّ ولا حاسدٍ ولا جاهل.

(١) «جامع العلوم والحكم» (٧٦).

ومن الأمثلة على ذلك:

• مثالٌ لنَصيحةِ العدوِّ الـمدَّعاة: نصيحةُ إبليسَ لعنه الله لآدمَ وحواء.

قالَ تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف].

• ومثالٌ لنَصيحةِ الـحاسدِ الـمدَّعاة: نَصيحةُ إخوةِ يوسفَ عليه السلام.

قالَ تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١﴾ [يوسف].

• ومثالٌ لنَصيحةِ الـجاهلِ، والـجهلةُ كثيرٌ.

١ – كنَصيحةِ فرعونَ لقومِه، قالَ لهم مُدَّعياً النَّصيحةَ لهم: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٦﴾ [غافر].

وقال: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ [غافر].

٢ – وكنَصيحةِ الكفرةِ للمُؤمنينَ. قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا

﴿كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت].

٣- وكَنَصيحةِ هذا الـجاهل الذي استنصَحهُ مريضٌ، ماذا يَفعلُ بعدَ أن عَجزَ الأطباءُ عن علاجِه؟

فنَصحَهُ هذا الـجاهلُ أن يشربَ خمراً، فاستجابَ له هذا الـمريضُ الـجاهلُ وشَرِبَ الـخمرَ فشُفِيَ.

٤- وكَنَصيحةِ هذه الـمرأةِ الـجاهلةِ التي استنصحَتها امرأةٌ متزوجةٌ ولكنها لا تُنجِب، ماذا تَفعلُ؟

فنَصحتها الـمرأةُ الـجاهلةُ أن تَذهبَ إلى ساحرٍ أو كاهنٍ ليَصنعَ لها حجاباً لتُنجبَ، فذهبَت الـمرأةُ الـجاهلةُ إلى السّاحرِ أو العَرّافِ فصَنعَ لها حجاباً فأنجبَت.

هذه كُلُّها نصائحُ مدَّعاةٌ

• فهل كانَ إبليسُ ناصحاً لآدمَ وحواء؟! **الـجواب**: لا، وإنما تَسبَّبَ في إخراجِهما من الـجنّةِ. فاحذَروا يا عبادَ الله! شياطينَ الإنسِ والـجنِّ.

• وهل كانَ إخوةُ يوسفَ له ناصِحينَ؟ **الـجواب**: لا، بل أرادوا أن يتَخلَّصوا منه فألقَوه في غيابَتِ الـجُبِّ، فكونوا يا عبادَ اللهِ من الـحاسدين على حذر.

• وهل كان فرعون ناصحاً لقومه؟ **الـجواب**: لا، بلِ دعاهُم إلى الضَّلالِ والعذابِ في الدُّنيا والآخرة. قالَ تعالى: ﴿**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ** ٧٩﴾ [طه].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ٩٨﴾ [هود].

• وهل كانَ الكفّارُ يوماً من الأيّام ناصحِينَ للمؤمنِينَ؟ **الـجواب**: لا، لأنهم لا يُحِبُّونَ الـمؤمنينَ، ولا يُحبُّونَ لهم الـخير.

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران].

فكونوا يا عبادَ اللهِ! من الكفّار الذين يدَّعون النَّصيحةَ لكم على حذرٍ، فهم يقولونَ بأفواهِهم ما ليسَ في قلوبهم.

• وهل كانَ الـجاهل الذي نصح الـمريض أن يشرب الـخمر للعلاجِ ناصحاً له؟

الـجواب: لا، لأنهُ نصحَهُ أن يتعالـجَ بما حَرَّمَ اللهُ، وهذا حرامٌ، ولأن اللهَ سبحانَه لم يَجعلِ الشِّفاءَ فيما حرَّمَهُ. فهذا رجلٌ جاءَ إلى النَّبيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنِ الْخَمْرِ، فَنَهَاهُ فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**»(١).

• وهل كانَتِ الـمرأةُ الـجاهلةُ التي نَصحَت الـمرأةَ التي لا تُنجِبُ بأن تَذهبَ إلى السّاحرِ أو الكاهنِ ناصحةً لها؟ **الـجواب**: لا، لأنها نَصحَتها بما هو حرامٌ.

فالنَّبيُّ ﷺ يَقولُ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»(٢).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٤)، وابن ماجه (٦٣٩)، والدارمي (١١٣٦)، وأحمد (٢/ ٤٧٦)، [«صحيح الـجامع» (٥٩٣٩)].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(١).

والذي شفى هذا المريضَ وأعطى للمرأةِ الأولادَ هو اللهُ وحدهُ ليزدادوا ضلالاً وإثماً؛ لأنهم توكَّلوا على غيرِ اللهِ وسلكُوا الطُّرقَ التي حَرَّمَها اللهُ عزَّ وجلَّ فكونوا يا عبادَ اللهِ! ممن يدَّعونَ النَّصيحةَ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ والجهلةِ والكفارِ على حَذرٍ؛ لأنهم لا يَنصحونَكم وإنما يَغُشُّونكم.

والنَّصيحةُ هي: إرادةُ الخيرِ من النّاصحِ للمَنصوحِ له، ولذلك فهي لا تخرجُ إلا من قلبٍ طاهرٍ امتلأَ إيماناً وحباً.

• وأنصحُ النّاسِ للنّاسِ هم الأنبياءُ والعلماءُ والصّالحون من عبادِ اللهِ.

أما الأنبياءُ

١- هذا نوحٌ عليه السلام دعا قومَه إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، فرَمَوه بالضَّلالة. فقالَ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف].

٢- وهذا هودٌ عليه السلام بعدَ أن دعا قومَه إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، اتَّهموه بالسَّفاهةِ والكذبِ. فقالَ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

٣- وهذا صالحٌ عليه السلام بعدَ أن دعا قومَهُ إلى عبادةِ اللهِ وحدهُ، فلم يَستجيبوا لهُ فأهلكَهم اللهُ -تباركَ وتعالى-، وَقَفَ عليهم وهم صَرعى، فقالَ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

٤- وهذا شعيبٌ عليه السلام بعد أن دعا قومَه إلى عبادةِ اللهِ وحدَهُ، فلم يَستجيبوا له

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

فأهلكَهم الله تباركَ وتعالى، وَقَفَ عليهم وهم هَلكى، فقالَ لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف].

٥- وهذا رسولُنا ﷺ أنصحُ الـخلقِ للخلقِ، كيف لا؟ واللهُ -عزَّ وجلّ- يقولُ عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ويقولُ هو ﷺ عن نفسِه: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مهداة**»[1].

وها هم الصحابة ﷺ في حَجَّةِ الوداع يَشهَدونَ له بذلكَ ففي خُطبةِ حَجَّةِ الوداع يقولُ ﷺ لأصحابِه: «**وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ»[2].

• بل جَعَلَ ﷺ النَّصيحةَ من دينِنا، بل هي الدِّينُ كُلُّهُ فقالَ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[3].

• **والنَّصيحةُ للهِ هي**: توحيدُهُ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، وأن تعبدهُ وحدهُ ولا تشركَ به شيئاً.

• **والنَّصيحةُ لكتابِه هي**: أن تتلوهُ حقَّ تلاوتِه، وَأن تَعملَ بما فيه، وَأن تُعلِّمَهُ غيرَك.

• **والنَّصيحةُ لرسولِه ﷺ هي**: مَحبَّتُهُ أكثرَ من كلِّ شيءٍ، واتّباعُهُ، والتَّمسُّكُ بسُنَّتِه ونشرُها في الناسِ.

• **والنَّصيحةُ لأئمة الـمسلمين وهم العلماءُ والأمراءُ**

---

(١) **صحيح**: رواه البزار (٩٢٠٥)، والطبراني في الأوسط (٢٩٨١)، والـحاكم (١٠٠) واللفظ له، [«صحيح الـجامع» (٢٣٤٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

فالنصحُ للعلماء: أن نحبَّهم، وأن نتعلمَ منهم، ولا ننفّر الناسَ منهم -لأن ذلك عملُ الفساق- فالعلماءُ هم ورثةُ الأنبياءِ، والعلماءُ هم الصلةُ بين النبيِّ وبين أمته.

والنصحُ للأمراءِ: أن نطيعَهم في الـمعروفِ، وأن ندعوا الله لهم، وألا نغتابَهم، وألا نخرجَ عليهم بالسيفِ وإن جاروا، وإن ظلموا، لأنَّ الـخروجَ على الأمراءِ فسادٌ في الدين والدنيا، وفسادٌ في الأرض، وهتكٌ للأعراضِ، وأن ننصحَهم إذا أخطأوا في السرّ لا على الـملأ.

• قالَ ﷺ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»(١).

وقال رجلٌ: انظروا إلى أميرنا يَلبَسُ ثيابَ الفُسّاقِ! فقالَ أبو بكرةَ: اسكُت؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُ**»(٢).

وَقِيلَ لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ -أي: أتظنُّونَ أني لا أكلِّمُه إلا وأنتم تسمعونَ- وَاللهِ! لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ -أي: الـمجاهرةَ بالإنكارِ على الأمراءِ وولاةِ الأمرِ في الـملأ كما جرى لقَتَلَةِ عثمانَ رضي الله عنه(٣).

وَلهذا قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التَسْتُرِي رَحِمَهُ اللهُ: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالْعُلَمَاءَ، فَإِذَا عَظَّمُوا هَذَيْنَ أَصْلَحَ اللهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَإِذَا اسْتَخَفُّوا بِهَذَيْنِ أَفْسَدَ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ)(٤)؟

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٧٦)، والطبراني في «الشاميين» (٩٧٧)، والحاكم (٥٢٦٩)، [»ظلال الجنة« (١٠٩٦)،].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد (٥/ ٤٢)، والبزار (٣٦٧٠)، والطيالسي (٨٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٩).

(٤) «تفسير القرطبي» (٥/ ٥٦٢).

• **والنَّصيحةُ لعامةِ الـمسلمين هي**: أن يُحِبَّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، ويكرهَ لهم ما يكرهُ لنفسِه، وأن يَدلَّهم على خَيرِ الدُّنيا والآخرةِ قالَ ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» وذكر منها: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»(١).

وعن جريرٍ رضي الله عنه قال: **بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢).

وأنصحُ النّاسِ للنّاس بعدَ الأنبياءِ هم العُلماءُ من الصَّحابةِ وغيرِهم. كيفَ لا؟ والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٣).

• فها هم العلماءُ عندَما افتتنَ قارونُ بمالِه نصحوه فقالُوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

• ولما افتَتن محبُّ الدُّنيا بمالِ قارونَ وقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

ونصحَهم أهلُ العلم فقالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

أما الصّالحونَ من عبادِ الله! فهم أعلمُ النّاسِ بالحقِّ وأرحمُ النّاسِ بالخلقِ، وأنصحُ النّاس للنّاس بعدَ الأنبياءِ والعلماء.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)، .

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

وهذا مثالٌ لعبادِ الله الصالـحينَ في التأدبِ في النصيحةِ والتواضع في قبول النصيحة.

• ذكرَ ابنُ العربيِّ الـمالكيُّ في كتابِه «أحكام القرآن» أن مُحَمَّدَ بْنَ القَاسِمِ الْعُثْمَانِيَّ أَخْبَرَهُ قال:

• وَصَلْتُ الْفُسْطَاطَ مَرَّةً، فَجِئْت فَجَلَسْتُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ، وَحَضَرْتُ كَلَامَهُ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ -فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ جَلَسْتُ إلَيْهِ-: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ وَظَاهَرَ وَآلَى.

والإيلاءُ: هو أن يَحلِفَ الرَّجلُ أن لا يَطأَ زوجَته مدَّةً من الزمن.

والطّلاقُ: هو أن يُطلِّقَ الرَّجلُ زوجتَه.

والظِّهارُ: أن يقولَ الرَّجلُ لزوجتِه: أنتِ عليَّ كظَهرِ أمي.

فسَمِعَ ذلك هذا الطّالبُ للعلمِ الـمُؤدَّبُ فلم يَقطَع كلامَ الشَّيخِ، بل صَبرَ على ذلك، فلما انتهى الشَّيخُ من درسِه يقولُ هذا الطالب:

• فَلَـمَّا خَرَجَ تبعتُه، حَتَّى بَلَغْتُ مَعَهُ إلَى مَنْزِلِه -فِي جَمَاعَةٍ-، فَجَلَسَ مَعَنَا فِي الدِّهْلِيزِ، وَعَرَّفَهُمْ أَمْرِي، فَإِنَّهُ رَأَى إشَارَةَ الْغُرْبَةِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ.

• فَلَـمَّا انْفَضَّ عَنْهُ أَكْثَرُهُمْ، قَالَ لِي: أَرَاك غَرِيبًا، هَلْ لَك مِنْ كَلَامٍ؟ قُلْت: نَعَمْ. قَالَ لِجُلَسَائِهِ: أَفْرِجُوا لَهُ عَنْ كَلَامِهِ. فَقَامُوا وَبَقِيت وَحْدِي مَعَهُ.

• فَقُلْت لَهُ: حَضَرْتُ الْـمَجْلِسَ الْيَوْمَ مُتبَرِّكًا بك -أي: التبَرُّكَ الشَّرْعِيَّ بالعِلْم وَبِمَجَالِسِ العِلْم، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ وَلاَ تُطْلَبْ إلاَّ مِنْهُ وَحْدَهُ-، وَسَمِعْتُك تَقُولُ: آلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْتَ، وَطَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَقْتَ.

وَقُلْتَ: وَظَاهَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهَذَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ؛ لِأَنَّ الظِّهَارَ مُنْكَرٌ مِنْ الْقَوْلِ وَزُورٌ؛ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ.

• فَضَمَّنِي إِلَى نَفْسِه وَقَبَّلَ رَأْسِي، وَقَالَ لِي: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذَلِكَ، جَزَاكَ الله عَنِّي مِنْ مُعَلِّم خَيْرًا. يَقُولُ ثُمَّ انْقَلَبْت عَنْهُ، وَبَكَّرْت إِلَى مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَأَلْفَيْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي الْجَامِع، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

• فَلَمَّا دَخَلْت مِنْ بَابِ الْجَامِع وَرَآنِي، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: مَرْحَبًا بِمُعَلِّمِي؛ أَفْسِحُوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتْ الْأَعْنَاقُ إِلَيَّ، وَحَدَّقَتْ الْأَبْصَارُ نَحْوِي، وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيَّ يَرْفَعُونَنِي عَلَى الْأَيْدِي وَيَتَدَافَعُونِي حَتَّى بَلَغْتَ الْمِنْبَرَ.

• وَأَنَا لِعَظَمِ الْحَيَاءِ لَا أَعْرِفُ فِي أَيْ بُقْعَةٍ أَنَا مِنْ الْأَرْضِ، وَالْجَامِعُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، وَأَسَالَ الْحَيَاءُ بَدَنِي عَرَقًا.

• وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْخَلْقِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مُعَلِّمُكُمْ، وَهَذَا مُعَلِّمِي؛ لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ قُلْت لَكُمْ: آلَى رَسُولُ الله ﷺ وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ؛ فَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَقُهَ عَنِّي وَلَا رَدَّ عَلَيَّ، فَاتَّبَعَنِي إِلَى مَنْزِلِي، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا؛ -وَأَعَادَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ-، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِي بِالْأَمْسِ، وَرَاجِعٌ عَنْهُ إِلَى الْحَقِّ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ حَضَرَ فَلَا يُعَوِّلْ عَلَيْهِ. وَمَنْ غَابَ فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حَضَرَ؛ فَجَزَاهُ الله خَيْرًا؛ وَجَعَلَ يَحْفُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالْخَلْقُ يُؤَمِّنُونَ.

- قَالَ ابن العَرَبِيُّ -مُعَلِّقًا: فَانْظُرُوا -رَحِمَكُمْ الله- إِلَى هَذَا الدِّينِ الْمَتِينِ، وَالاعْتِرَاف بِالْعِلْمِ لِأَهْلِه عَلَى رُؤُوس الْمَلَإِ مِنْ رَجُلٍ ظَهَرَتْ رِيَاسَتُهُ، وَاشْتُهِرَتْ نَفَاسَتُهُ، لِغَرِيبٍ مَجْهُولِ الْعَيْنِ لَا يُعْرَفُ مَنْ هُوَ وَلَا مِنْ أَيْنَ، فَاقْتَدُوا بِهِ تَرْشُدُوا.

النّاصحونَ للمُسلمينَ، والقابلونَ للنَّصيحةِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالنجاة من العذابِ في الدنيا والآخرة.

• فهذا موسى عليه السلام أخذَ بنصيحةِ الرَّجلِ المؤمنِ المُحبِّ الذي جاءَهُ من أقصى المدينةِ يسعى فنَجا من القَومِ الظّالمين.

قالَ تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

فلما وَصَلَ موسى عليه السلام إلى بلاد مَدين ودخلَ على الشَّيخ الكبيرِ في بيتِه وقصَّ عليه القَصصَ قالَ له: ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

• وهذا مؤمنُ آلِ فرعونَ الذي كانَ يكتُمُ إيمانَه نَصَحَ فرعونَ وقومَه فلم يَقبَلوا نصيحتَهُ، وقرَّروا أن يَقتلوهُ، فنجّاهُ اللهُ وأهلكَ فرعونَ وقومَه.

قالَ تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

ثانياً: بالأجرِ العظيم، والبركةِ في كل شيء.

قالَ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**البَيِّعَانِ بالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا،** -أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا- **فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(٢).

ثالثاً: يبشرهم بالجنة

فهذا مؤمنُ آل ياسينَ نصَحَ قومهُ فقتلوهُ فدَخلَ الجنّة: قالَ تعالى:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٦٦٤)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟
مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ
﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ
ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس].

فهذا الرَّجلُ الـمؤمنُ نَصَحَ قومَهُ حيّاً وميتاً فلم يَقبَلوا نصيحتَهُ وقتلوهُ، فأدخلَهُ اللهُ الـجنَّةَ وأهلكَ قومهُ، وهذا جزاءُ من لم يَقبَلِ النَّصيحةَ، فاعتَبِروا يا أولي الأبصار.

ما هي البُشرى الـخامسةَ عشرةَ التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

١٦

تبشيرُه ﷺ للحافظين ألسنتَهم، بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[فاطر].

موعدُنا في هذا اليوم - إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للحافظِينَ ألسنتَهم، بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

اللِّسانُ صغيرٌ جِرْمُهُ(١)، عظيمٌ طاعتُهُ إن استقامَ، عظيمٌ جُرمُهُ(٢) إن اعوجَّ. والدَّليلُ على ذلك:

١- قالَ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ(٣) اللِّسَانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ

(١) جِرْمُهُ: حجمهُ.

(٢) جُرْمُهُ: مصائبُهُ.

(٣) (تكفِّرُ اللسان): أي: تذلُّ وتخضعُ له.

فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»(١).

٢- وقالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

٣- وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٣).

٤- وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تعالى لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٤).

٥- وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**»(٥).

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا، وَصَدَقَتِها، وَصِيَامِها، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ ﷺ: «**هِيَ فِي النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِها وصَلاتِهَا، وَصَدَقَتِها، وَأَنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، ولا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا! فَقَالَ ﷺ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»(٦).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، وعبد بن حميد (٩٧٩)، وأبو يعلى (١١٨٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وأحمد (١٣٨)، والحاكم (١/ ١٠٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٤٧)].

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن حبان (٥٧٦٤)، والحاكم (٧٣٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].

٧- يقول أبو هريرة ﵁ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُذْنِباً وَالآخَرُ مُجْتَهِداً فِي العِبَادَة، وَكَانَ لاَ يَزَالُ الـمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْماً عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ فقال -أي المذنب-: خلِّني وربي، أَبُعثتَ عليَّ رقيباً؟ فَقَالَ: -أَيُّ: الـمُجْتَهِدُ- وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الـجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العَالـمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الـمُجْتَهِدُ: أَكُنْتَ بِي عَالِماً؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِراً؟! وَقَالَ لِلمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الـجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلآخَرُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده! لتَكلم بكلمة أوبَقَتْ دنياه وآخرته[١].

٨- قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَام، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٢].

• فاللِّسانُ يا عبادَ الله! بمثابةِ القائدِ الأعلى لأعضاءِ الـجسدِ: إذا استقامَ استقام الـجسدُ كُلُّهُ، وإذا اعوَجَّ، اعوَجَّ الـجسدُ كُلُّهُ. اللِّسانُ إذا طابَ، طابَ الـجسدُ كلُّهُ، وإذا خَبُثَ خَبُثَ الـجسد كلُّهُ.

كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشياً نَجَّارًا حَكِيماً، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاة. فَذَبَحهَا، قَالَ: أخرجْ أَطْيَبَ مُضغتين فِيهَا. فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْب، ثُمَّ مَكَث مَا

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، والبزار (٩٤١٨)، وابن حبان (٥٧١٢) واللفظ لأبي داود، [«صحيح الجامع» (٤٤٥٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

شَاءَ الله ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاةَ. فَذَبَحَهَا، قَالَ: أَخْرِجْ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا. فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: أَمَرْتُكَ أَنْ تُخرج أطيب مُضْغَتَيْن فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا، وَأَمَرْتُكَ أَنْ تُخْرِجَ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا. فَقَالَ لُقْمَانُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا(١).

• فالـمؤمنُ العاقلُ هو الذي يَحفَظُ لسانَهُ عن الشرِّ عامةً وفي زمنِ الفتنِ خاصةً، ولا يتكلَّمُ إلا بالـخَيرِ وفي الـخيرِ ليُطيبَ نفسَهُ، ويَسعدَ في الدُّنيا والآخرة استجابةً لقولِه تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [النساء:١١٤].

• ولقولِه ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

• وعن عقبةَ بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! ما النجاةُ؟ قال ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٣).

• وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ!؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(٤).

وكانَ السَّلفُ الصالـحُ من أحفظِ النّاسِ لألسنتِهم.

• فهذا أبو بكرٍ الصِّدّيقُ رضي الله عنه كان يضعُ حصاةً في فِيهِ، يَمنَعُ بها نفسَهُ عنِ الكلامِ، وكان يُشيرُ إلى لسانِه ويقولُ: «هذا الّذي أورَدَني الـموارِدَ».

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٤/ ١٤٨)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، والطيالسي (١٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢)].

• وهذا عبدُ اللهِ بن مُسعودٍ رضي الله عنه يقولُ: (واللهِ الذي لا إله إلا هو ما شيءٌ أحوجَ إلى طولِ سَجنٍ مِنَ اللسانِ)(١).

• وهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما كان يأخذُ بلسانِه ويقول: ويحَك! قُل خيراً تغنَم، أو أمسِك عن شرٍّ تسلَم، وإلا واللهِ ستندَم.

أمة الإسلام! الـحافِظونَ لألسنتِهم عامةً وفي زمن الفتنِ خاصةً

أولاً: حَفِظُوا ألسنتَهم عن القولِ على اللهِ بغيرِ علم.

١- لأن القولَ على اللهِ بغير علمٍ حرامٌ

قالَ تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

٢- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ قد استجابَ للشّيطانِ وعَصى الرَّحمن.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

٣- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ ظالمٌ؛ ظَلَمَ نفسَهُ وظلم الناسَ.

قالَ تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].

٤- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ كذابٌ، يَكذِبُ على اللهِ وعلى رسوله وعلى النّاسِ

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

---

(١) انظر: «نضرة النعيم» (٧/ ٢٦٤١).

والذي يَكذِبُ على اللهِ وعلى رسولهِ وعلى الناسِ يُسَوِّدُ اللهُ وجهَه في الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر:٦٠].

٥- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ يتَسبَّبُ في قتلِ نفسِه.

قالَ ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً**»(١).

فانظُروا يا عبادَ اللهِ! كيفَ تَسبَّبَ الرَّاهِبُ في قتلِ نفسِه لأنه أفتى بغيرِ علمٍ؟ فكَم من إنسانٍ تسبَّبَ في قتلِ نفسِه بسببِ الـجهل؟

٦- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ يتَسبَّبُ في قتلِ غيرِه.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خَرجنا في سفرٍ فأصابَ رجلاً منا حَجرٌ فشَجَّه في رأسِه، ثم احتلَمَ، فسألَ أصحابَه: هل تَجِدونَ لي رخصةً في التَّيمُّم؟ فقالوا: ما نَجِدُ لك رخصةً وأنت تَقدرُ على الـماءِ، فاغتَسلَ فماتَ. فلما قَدِمنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ أُخبرَ بذلك، فقالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُم الله، أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَال، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ**»(٢).

٧- لأن القائلَ على اللهِ بغيرِ علمٍ يُدمِّرُ مجتمعَه وأمته.

قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، وأبو يعلى (٢٤٢٠)، والـحاكم (٦٣٠)، من حديث ابن عباس، ورواه أبو داود (٣٣٦)، من حديث جابر

العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصادقُ، ويؤتمنُ فِيهَا الـخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُوَيْبَضَةُ**». قيل: وما الرُّويبضةُ؟ قال: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَّامَةِ**»[(٢)].

فبالنَّظرِ إلى هذينِ الـحديثَينِ يَتبيَّنُ لنا أنهُ إذا ذَهبَ العلماء، اتَّخَذَ النّاسُ رؤوساً جُهّالاً، فسُئِلوا فأفتَوا بغَيرِ علم، فضَلُّوا وأضلُّوا، وهذا دمارٌ للأمةِ. وإذا اختلَّتِ الـمفاهيمُ عندَ النّاسِ، نَطَقَ الرُّوَيبضةُ -أي: أفتى في الـمسائلِ الكبارِ للأمّة-، وهذا دمارٌ للأمّةِ أيضاً. والصِّنفانِ كَثُروا في الأمّةِ اليومَ، فَحدَثَ ما حَدَثَ في بلادِ الـمسلمِينَ من الفَوضى والقَتلِ وغيابِ الأمنِ -وإنا للهِ وإنا إليه راجعونَ- فالذي يُفتي للنّاسِ اليَوم بغيرِ علم، ويُحرِّكُ الشَّبابَ في بلادِ الـمُسلمِينَ هم هؤلاء.

فكَم من حرام، حرَّمهُ اللهُ ورسولُهُ أحلُّوه؟! وكَم من حلالٍ أحلَّهُ اللهُ ورسولُهُ حرَّموه؟! وكَم من طفلٍ بريءٍ بفَتواهُم بغيرِ علمٍ قتلوه؟! وكَم من أمنٍ في بلادِ الـمسلمينَ ضيَّعوه؟!

فيا عبادَ اللهِ! القولُ على اللهِ بغيرِ علم حرامٌ، والقائلُ على اللهِ بغيرِ علم، اتَّبعَ هواهُ واستَجابَ للشَّيطانِ، وهو ظالـمٌ، وكذابٌ، تَسبَّبَ في تدميرِ مُجتمعِهِ وأمتِهِ وهو يَظُنُّ أنهُ يُحسنُ صنعاً.

قالَ تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والـحاكم (٨٤٣٩)، من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٣/ ٢٢٠)، والطبراني في الأوسط (٨٤٣٩)، من حديث أنس، والبزار (٢٧٤٠)، من حديث عوف بن مالك، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الـجامع» (١٨٨٧)].

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]. فكونوا يا عباد الله! من هؤلاء الذين يقولونَ على اللهِ بغيرِ علمٍ على حذر.

ثانياً: الحافظونَ ألسنتَهم حَفِظوها عن الغيبةِ والنَّميمة

كما أنهُ كثرتِ الفتاوى في هذا الزمانِ بغير علم، كذلكَ كثُرَتْ الغيبةُ والنَّميمةُ في مجالسِ المسلمِينَ، وكثُرَ الخوضُ في الباطل، وفي أعراضِ المسلمينَ، والغِيبةُ والنَّميمةُ والخوضُ في الباطلِ حرامٌ بالكتابِ والسُّنَّة.

• قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

• وقالَ ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»**(١).

• وقالَ ﷺ: **«لَـمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِين يأكلون لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»**(٢).

• وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠، ٤٢٤)، وأبو يعلى (٧٤٢٣)، من حديث أبي برزة الأسلمي، ورواه أبو يعلى (١٦٧٥)، من حديث البراء، والترمذي (٢٠٣٢)، من حديث ابن عمر، واللفظ لأبي داود [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٣٩، ٢٣٤٠)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والطبراني في الأوسط (٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣٩)].

لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الـخَبَالِ -وهي عصارة أهل النار- حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»(١).

• وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ﭬ قال: كنّا عندَ النَّبيِّ ﷺ فهَبَّت ريحٌ مُنتنةٌ. فقال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحِ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الـمُؤْمِنِينَ**»(٢).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(٣).

• وقالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**»(٤).

• وقالَ ﷺ: عِنْدَمَا مَرَّ بِقَبْرَيْنِ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! بَلَى، إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»(٥).

• وقالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

ومجالسُ المسلمينَ اليومَ تقومُ على القولِ على اللهِ بغيرِ علم، وعلى الغِيبةِ والنَّميمةِ، وعلى الخوضِ في الباطلِ. فترَى هذا يفتي بغيرِ علم، وهذا يأكلُ لحمَ العلماءِ والأمراءِ، وهذا يخوضُ في الباطلِ، وإذا لم تكُن معَهم أكلوا لحمَك، وربَّما

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠)، والطبراني في الأوسط (٦٤٩١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٥)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٢)، وأحمد (٣/ ٣٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، واللفظ للبخاري.

كفَّروكَ، واستَحلَّوا دمَك، ونَسوا أنهم إلى اللهِ راجعونَ، وأمامَهُ موقوفونَ، وأن ألسنتَهم ستَشهدُ عليهم أمامَ الله يوم القيامة.

قالَ تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور].

فأمسِك عليك لسانَك، أملِك عليكَ لسانَك، احفَظ لسانَك من الشَّرِّ، وأطلِقْه في الـخَيرِ، ورطِّبهُ بذكرِ الله.

قالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ -أي: أتمسَّكُ به- قَالَ ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا من ذِكْرِ الله**»(١).

عبادَ الله! الـحافظونَ ألسنتَهم عامّةً، وفي زمنِ الفتنِ خاصّةً يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالنجاة.

عن عقبةَ بنِ عامر رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ الله! ما النَّجاةُ؟ قالَ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٢).

ثانياً: بالأجرِ العظيم

قالَ تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، أحمد (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٩١)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٤/ ١٤٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

ثالثاً: بالجنة

يقولُ معاذٌ رضي الله عنه قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أخبِرني بعملٍ يُدخِلُني الـجنّةَ ويُباعِدُني عن النّار؟

قالَ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيم، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله تعالى عَلَيْهِ**».

فبعد أن أخبره بأركان الإسلام ودله على أبواب الـخير.

قالَ ﷺ: «**أَلاَّ أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّه؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**». قُلْتُ: **يَا نَبِيَّ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نتكَلَّمُ بِهِ؟** فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ هَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ** -أي: اللسان- **وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ** -أي: الفرج- **أَضْمَنْ لَهُ الـجَنَّةَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ -أي: اللسان- وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ -أي: الفرج- دَخَلَ الـجَنَّةَ**»(٣).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! إنّ فلانة يُذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها! فقال ﷺ: «**هي في الـجنّة**»(٤).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد بن حميد (١١٢)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الجامع» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٩)، من حديث أبي هريرة، وأحمد (٥/ ٣٦٢)، من حديث رجل من الصحابة [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤١٣)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن حبان (٥٧٦٤)، والحاكم (٧٣٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٦٠)].

عبادَ الله! ما هي البُشرى التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

١٧

تبشيره ﷺ للشاكرين لله نعمه بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة. ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للشَّاكرينَ للهِ نعمَه بسعادةِ الدُّنيا والآخرة**

النِّعمُ التي يَتقلَّبُ فيها الخلقُ كُلُّهم من اللهِ وحدَه.

قالَ تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣]. وقالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠].

- **وهذه النِّعمُ كثيرةٌ جداً لا تُعدُّ ولا تُحصى**

قالَ تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل].

وقـالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم].

فالـمُنْعِمُ هو اللهُ وحدَهُ، وَصفَ نفسَهُ -سبحانَهُ- في الآيةِ الأولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ والـمُنْعَمُ عليه هو الإنسان، وصفهُ اللهُ في الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

- **وذلك لأن كثيراً من النّاس لا يَشكُرونَ نِعَمَ اللهِ عليهم.**

قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النمل].

وقالَ تعالى على لسانِ يوسفَ عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

- **مع أن الله عزّ وجلّ أخبرَنا في كتابِه أنه يُحِبُّ من عبادِه الشُّكرَ ويرضاه لهم.**

قالَ تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

- **بل وأمرهم في كتابه أن يشكروه**

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ].

وقالَ تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

• **بل لقد قَرَنَ اللهُ سبحانَه الشُّكرَ بالإيمانِ، وأخبرَ أنه لا حاجةَ له في عذابِ خلقِه إنْ شكَروا وآمنوا.**

فقالَ تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

• **بل قَسَّمَ اللهُ -سبحانَه- النّاسَ إلى شَكورٍ وكَفورٍ.**

فأبغضُ الأشياء إليه الكفرُ وأهلُهُ، وأحبُّ الأشياءِ إليه الشكرُ وأهلُهُ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان].

• **بل لقد جَعَلَ اللهُ سبحانَه الشُّكرَ هو الغايةُ من خَلْقِهِ وأمْرِهِ**

فقالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

• **وقد أثنى اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه على رسلِه وأنبيائِه؛ لأنهم كانوا أكثرَ النّاسِ شُكراً له -سبحانه-**

فقالَ تعالى عن نوحٍ عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء].

وقالَ تعالى عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل].

• **وهذا رسولُنا ﷺ سيِّدُ الشّاكرينَ**

تقولُ عَائِشَةَ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَت رِجْلاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»(١).

• وهذا يدلُّ على أن شكرَ اللهِ سبحانَه يكونُ باللِّسانِ والقلبِ والـجوارحِ. ولذلكَ قالَ تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠)، واللفظ له.

• **عبادَ الله! اعلموا أن شكرَ اللهِ على نعمِه يقومُ على ثلاثةِ أركانٍ:**

الرُّكنُ الأولُ: أن يعتقد العَبدُ أن ما به من نعمةٍ فمن الله وحدَه. قالَ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

الرُّكنُ الثاني: أن يتحَدَّثَ العَبدُ بنعمةِ اللهِ عليه. قالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ الله التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[١].

الرُّكنُ الثالث: أن يستخدمَ العبدُ نعمةَ اللهِ سبحانه في طاعتِه ومرضاتِه. قالَ تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧].

أمة الإسلام! اعلَموا أن لله عزَّ وجلَّ سُنناً في النِّعم، لا تَتبدَّلُ ولا تتغيَّر، وهي: أن النِّعمَ تبقى وتَزيدُ بالشُّكر، وتَذهبُ وتَزولُ بالـمعاصي والذُّنوب.

قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

ابنَ آدم!

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها ... فإن المعاصي تُزيلُ النِّعم
وحافظْ عليها بشكر الإله ... فإن الإلهَ سريعُ النِّقَم

• وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: (إنَّ النّعمة موصولة بالشّكر، والشّكرُ يتعلّقُ بالـمزيدِ، وهما مقرونانِ معاً، فلن ينقطعَ الـمزيدُ من الله حتّى ينقطعَ الشّكرُ من العبدِ)[٢].

• وقالَ الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: (إنَّ اللهَ لَيُمَتِّعُ بالنعمةِ ما شاءَ، فإذا لم

---

(١) **حسن:** رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩١١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠١٤)].
(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٤٥٣٢).

يُشْكرْ عليها قلبها عذاباً)[١].

كيفَ لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

فأخبر اللهُ تعالى في هذه الآيةِ أنه لا يُغيِّرُ نِعمَهُ التي أنعَمَ بها على عبادِه حتى يُغيِّروا هم ما بأنفسِهم، فيغيِّروا طاعَةَ الله بمعصيتِه، وشكرَه بكفره، وأسبابَ رضاهُ بأسبابِ سَخَطِه، فيغيِّرُ اللهُ عليهم. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ فإن غيَّرَ العبادُ الـمعصِيةَ بالطاعةِ، وكُفرَ النِّعَم بالشُّكر، غيَّرَ اللهُ عليهم العُقوبةَ بالعافيةِ، والذُّلَّ بالعِزِّ، والقليلَ بالكثيرِ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد].

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف].

فالتَّغييرُ يبدأُ مِنَّا نحن أولاً بالرُّجوعِ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ-، وليسَ بالـمُظاهراتِ ولا الاعتصامات.

فالنِّعمُ يا عبادَ اللهِ! تزولُ وتتحوَّلُ إلى نِقَمٍ بسببِ الذُّنوبِ والـمعاصي.

والأمثلةُ على ذلكَ كثيرةٌ ومنها:

١- قومُ سبأ.

أنعمَ اللهُ عليهم بنعم كثيرةٍ، فما حَفِظوها بل قابلوها بالكُفرِ والـجُحودِ، فحرمَهم اللهُ تلكَ النِّعمَ، وحَوَّلها عليهم نقماً.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧).

قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

٢- صاحبُ الـجنَّتَين.

أنعمَ اللهُ عليه بجَنَّتَينِ عظيمتَين، فيهما من كلِّ الثَّمراتِ، فقابلَ هذه النِّعمَ بالكُفرِ والشِّركِ والبَطرِ، فحَرَمه اللهُ جنَّتَيه.

قالَ تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف]. فلما كَفَرَ بنعمةِ اللهِ حَرَمَه اللهُ إياها.

قالَ تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف].

٣- قارون.

أنعمَ اللهُ عليه بمالٍ كثيرٍ، فطَغى وبَغى وتكبَّرَ ولم يَشكُر، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ

﴿فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

فبكُفره وتكبُّره على اللهِ تحوَّلتِ النِّعمةُ إلى نقمةٍ وهلاكٍ، قالَ تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

وهكذا يَنتقمُ اللهُ من الظَّلمةِ الذين يُقابلونَ نعمَ اللهِ بالـمعاصي والذنوبِ.

قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». ثُمَّ قرأَ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾»[1].

٤- كفارُ مكة

أنعمَ اللهُ عليهم بنعمةِ الأمنِ والرِّزقِ الذي يأتيهم من كلِّ مكان.

قالَ تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [سورة قريش].

وقالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [القصص].

فقابلوا نعمَ اللهِ بالكُفرِ والـمعاصي، فأبدلَهم اللهُ نعمةَ الأمنِ بالـخَوفِ، ونعمةَ الرِّزقِ بالـجوع.

قالَ تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١١٣ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١١٤﴾ [النحل].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

• هذا عذابُهم في الدُّنيا، أما عذابُهم في الآخرةِ فهو أشدُّ وأخزى

قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

• أما الطّائفةُ القليلةُ المؤمنةُ: محمدٌ ﷺ وأصحابُه، لما شكروا نعمَ اللهِ بعبادتِه سبحانَه وحدَه؛ بدَّلَ خوفَهم أمناً، وأنجزَ لهم وعدَه.

• تقول عَائِشَةُ ﵂، (سَهِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الـمَدِينَةَ لَيْلَةً. فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**». قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ **سِلاَحٍ**، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا**»؟ فَقَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ**»؟ فَقَالَ سَعْدٌ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ[1].

مَعشرَ الـمسلمينَ!

ولم يكُن هذا السَّهَرُ خاصّاً به ﷺ وحدَه، بل كانَ أصحابُه جميعاً لا يَبيتونَ إلا بالسِّلاحِ، ولا يُصبِحونَ إلا فيه، حتى شَقَّ عليهم ذلك، وكانوا لا يَظنُّونَ أن يأتيَ عليهم يومٌ يضعونَ فيه السِّلاحَ، ويأمنونَ فيه على أنفسِهم وأموالِهم وأعراضِهم.

• عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْب ﵁ قَالَ: لَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ وَآوَتْهُمُ الأَنْصَارُ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسِّلَاحِ وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: تَرَوْنَ أَنَّا نَعِيشُ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهَ؛ فَنَزَلَتْ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٠).

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور][1].

ولذلك امتنَّ اللهُ على الصَّحابةِ الكرام رضي الله عنهم بهذه النِّعمةِ فقالَ تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال].

• شكرُ اللهِ على نعمهِ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، لا يُوفَّقُ إليها إلا السعداءُ. ولذلكَ كانَ الأنبياءُ والصّالحونَ يدعونَ اللهَ عزَّ وجلّ أن يُوفِّقَهم لشُكرِ نعمهِ عليهم.

• فهذا سليمانُ عليه السلام يقولُ في دعائِه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ [النمل].

• وقال عليه السلام عندَما رأى عرشَ بلقيسَ أمامَه في طَرفةِ عين: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل].

• وهذا رسولُنا ﷺ كان شاكراً حامداً لربِّه في كلِّ أحوالِه يقولُ ﷺ في دعائِه: **«ربِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا...»**[2].

• وقالَ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه مُوصِياً وناصِحاً ومُعلِّماً: **«يَا مُعاذُ! لا تَدَعَنَّ**

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٥١)، وأبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٤٣)، وأحمد (١/ ٢٢٧)، [«صحيح الجامع» (٣٤٨٥)].

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِكَ»[1].

عبادَ الله! الشّاكرونَ لنِعمِ اللهِ، يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِهِ بما يلي:

أولاً: بالنجاةِ من العذابِ في الدنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

أي: إن وفَّيتُم ما خلَقكُم له، وهو الشُّكرُ والإيمانُ فما أصنعُ بعذابكُم؟

وقالَ تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر].

ثانياً: بالزِّيادةِ في كلِّ شيء.

قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

ثالثاً: بقَبولِ الأعمالِ، والجزاءِ المطلقِ في الآخرة.

قالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف]. وقالَ تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]. فأطلقَ اللهُ الجزاءَ للشّاكرينَ جزاءً لشُكرِهم.

رابعاً: يَشكرُ اللهُ لهم شكرهم، فالجَزاءُ من جنسِ العَملِ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٩٩٣٧)، وأحمد (٥/ ٢٤٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٩٦)].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان].

وقالَ تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن].

خامساً: يرضى الله عنهم.

قالَ تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(١).

فيا عبادَ الله! اتَّقوا اللهَ في نعمِ اللهِ عامّةً، وفي نعمةِ الأمنِ خاصّةً، حافظوا عليها بشُكرها، وشكرُها هو:

عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له. واتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ وحدَه. وسلوكُ منهجِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم وحدَهم.

قالَ تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت]. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾... أتدرونَ لِمَ يا عباد الله؟

ليسألَكم عن نعمهِ التي أنعمَ بها عليكُم. قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر].

فيا عبدَ الله! أعدَّ للسؤال عن النِّعمِ جواباً من الآن .. اللَّهمَّ أعِنَّا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتِك.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٤).

عبادَ الله! ما هي البُشرى التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

١٨

تبشيرُه ﷺ للمعتصمين بمنهج الحقِ، بسعادة الدنيا والآخرة(١)

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلم فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ اللهِ؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّة العَطِرة ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُعتصمِينَ بمَنهجِ الحقِّ، بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

والحقُّ، أحقُّ أن يُتَّبع، وليسَ بعدَ الحقِّ إلا الضَّلالُ، الحقُّ أبلجُ، والباطلُ لجلَج.

قالَ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس].

وقالَ تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس].

(١) هذه الخطبة ألقيت بعد الأحداث المؤسفة بمدينة الزرقاء في الأردن.

وقالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف].

وقالَ تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد].

وقالَ تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود].

فقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فالبَيِّنَةُ: الوحيُ الذي أنزلَه الله.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، فالشّاهدُ: هو الفِطرةُ الـمُستقيمةُ والعَقلُ الصَّريح[1].

فالفِطرةُ السَّليمةُ، والعَقلُ السليمُ، يَعرِفُ الـحقَّ من الباطل.

• قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّةَ رحمَه الله: (وَالقَلْبُ خُلِقَ يحبُّ الـحَقَّ ويُرِيدُهُ ويَطْلُبُهُ)[2].

• وقالَ أيضاً: (فَإِنَّ الـحَقَّ مَحْبُوبٌ في الفِطْرَةِ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهَا وَأَجلُّ فيها، وأَلَذُّ عِنْدَهَا مِنَ البَاطِلِ الَّذي لاَ حقيقَةَ لَه، فَإِنَّ الفطرةَ لا تُحِبُّ ذَلَكَ)[3].

والذي جاءَ به محمدٌ ﷺ من عندِ ربِّه من كتابٍ وسنَّةٍ هو الـحقُّ الذي لا مِريةَ فيه.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٧٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٨).

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [فاطر:٣١].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣﴾ [محمد].

وهذا الـحقُّ الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ، أخذَهُ الصَّحابةُ رضي الله عنهم وبلَّغوهُ مَنْ بعدَهم، ومَنْ بعدَهم بلغوهُ إلى من بعدَهم إلى قيامِ السّاعة.

قالَ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائفةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الـحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أمرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢).

أمة الإسلام! مَنْ هؤلاء الذينَ أخبَر عنهم النَّبيُّ ﷺ، أنَّهم على الـحقِّ ظاهِرينَ مَنصورينَ، وما هو مَنهجُهم لنَعتصِمَ به في زمنِ الفتنِ؟

الطّائفةُ الظّاهرةُ الـمنصورةُ التي لا يضُرها مَنْ خالفَها ولا من خذَلها:

هم الصَّحابة رضي الله عنهم ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين، وهم أهلُ السُّنَّةِ والـجماعةِ،

وهم السَّلف الصالـحُ.

ومنهجُهم هو: الكتابُ والسُّنةُ بفَهمِ سلفِ الأمةِ.

• وقد جاءَتِ الأدلةُ في الكتابِ والسُّنَّةِ وأقوالِ السّلفِ، تأمرُ وتَحُثُّ على التَّمسُّكِ والاعتصامِ بمنهجِ هذه الطّائفةِ الـمنصورة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٠).

أولاً: من كتاب الله.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران].

والصَّحابةُ رضي الله عنهم مُعتصمونَ باللهِ؛ لأن اللهَ وليٌّ من اعتصمَ به، لقولِه تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان:١٥].

وكلٌّ من الصَّحابةِ رضي الله عنهم مُنيبٌ إلى اللهِ، فهَداهم اللهُ إلى الطَّيِّبِ من القولِ، والصّالحِ من العملِ، بدليلِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر] فوَجبَ اتِّباعُ سبيلِهم في الفَهمِ لدينِ اللهِ كتاباً وسنة.

ثانياً: من سنة رسول الله ﷺ

١ - قالَ ﷺ: «**النُّجومُ أَمَنَةٌ لِلسّماءِ، فَإِذا ذَهَبَتْ النُّجومُ أَتى السّماءَ ما تُوعَدُ، وأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحابي، فَإِذا ذَهَبتُ أَتى أَصْحابي ما يُوْعَدُون، وأَصْحابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتي، فإذا ذَهَبَ أَصْحابِي أَتى أُمَّتي ما يُوْعَدُون**»(١).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمَه الله: (ووجهُ الاستدلالِ بالـحديثِ: أنّه جَعَل نسبةَ أصْحابه إلى من بعدَهُم كنسبتِه إلى أصْحابه، وكنِسبةِ النُّجومِ إلى السَّماء، ومن الـمعلوم أن هَذا التَّشبيهَ يُعطي من وجوبِ اهتداءِ الأمّة بهم ما هو نظيرُ اهتدائِهم بنبيِّهم ﷺ، ونظيرُ اهتداءِ أهلِ الأرضِ بالنُّجوم، وأيضاً فإنه جَعَلَ بقاءَهم بينَ الأمّةِ أمنةً لهم وحِرزاً من الشَّرِّ وأسبابِه)(١).

٢- وقالَ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»(٢).

٣- وعن العرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه قالَ: وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلوب، وذَرَفتْ مِنَها العُيونُ، فقلنا: يا رسول الله! كَأَنَّها مَوْعِظةُ مُوَدِّع، فأوْصِنا، قال: «**أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(٣).

فهذان الـحديثان (٢، ٣) يَدلاّنِ على فَضلِ الصَّحابةِ والتّابعينَ لهم بإحسانٍ، وأن سبيلَهم هو سبيلُ النَّجاةِ من الفتنِ والاختلافِ، وهذا مما يَدلُّ على لزومِ اتِّباعِه والعملِ به.

٤- وقالَ ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى**

(١) «إعلام الـموقعين» (٤/ ١٣٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)،

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦) واللفظ لأبي داود، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قالوا: مَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**الـجَمَاعَةُ**»(١). وفي روايةٍ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢). وفي رواية: «**السَّوَادُ الأَعْظَمُ**»(٣).

ثالثاً: الأدلة من أقول السلف الصالح

- قالَ عبدُاللهِ بن مُسعودٍ رضي الله عنه: (اتَّبعوا ولا تَبتدِعوا، فقد كُفِيتم، كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ)(٤).

- وعنه أيضاً أنه قال: (إن اللهَ نظَرَ في قلوبِ العبادِ، فوجد قلبَ مُحمدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العباد، فاصطفاه لنَفسه، فابتعثَه برسالتِه، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعد قلب محمد ﷺ، فوجدَ قلوبَ أصحابِه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلَهم وزراءَ نبيِّهِ يُقاتلونَ عن دينِه، فما رآه الـمسلمونَ حسَناً فعندَ اللهِ حَسَنٌ، وما رأوه سيئًا فهوَ عندَ اللهِ سيءٌ)(٥).

- وقالَ أيضاً: (مَن كانَ منكُم مُستَنّاً فليَستَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الـحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمد ﷺ كانوا واللهِ! أفضلَ هذه الأمّةِ، أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلفًا، قومٌ اختارَهم اللهُ لصُحبةِ نبيِّهِ، وإقامةِ دينِه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعوهم في آثارِهم، وتَمسَّكوا بما استطعتُم من

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٣٩٢، ٣٩٩٢)، وأحمد (٣/ ١٢٠)، والبزار (٦٢١٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥١)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، [«الصحيحة» (٢٠٤)].

(٣) **حسن**: رواه أبو يعلى (٣٩٤٤)، من حديث أنس، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٠٥٤)، من حديث أبي أمامة [محققوا المسند].

(٤) رواه محمد بن نصر الـمروزي في السنة (٧٨)، واللالكائي في «أصول أهل السنة» (١٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٣).

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦).

أخلاقِهم ودينِهم، فإنهم كانوا على الهُدى الـمستقيم)(١).

• وقالَ الإمامُ الأوزاعي رحمَه الله: (اصبِرْ عَلى السُّنَّةِ، وَقِفْ حيثُ وقفَ القومُ، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفِك الصالـح، فإنه يَسَعُكَ ما وسعهم)(٢).

• وقالَ أيضاً: (عَليكَ بآثار مَنْ سلف، وإن رفضكَ الناسُ، وإيّاك وآراءَ الرِّجالِ وإن زَخْرَفُوه لك بالقولِ، فإنّ الأمرَ ينجلي وأنتَ منهُ على صراطٍ مستقيم)(٣).

فمنهجُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم ومن تَبِعَهم بإحسانٍ: هو نفسُه منهجُ أهلِ السنةِ والـجماعة، هو نفسُهُ منهجُ السَّلَفِ الصّالـح.

• وهذا الـمنهجُ: منهجٌ ربانيٌّ معصومٌ، قائمٌ على الدَّليلِ من الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمةِ.

أمة الإسلام! هذا المنهجُ فضَّاحٌ، فمن ادّعاهُ وليسَ منه، فَضحَه وكشفَه وأخزاهُ.

ومن الأمثلة على ذلك:

الـمثالُ الأول: عبدُالله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما عندَما ذهبَ إلى الـخوارجِ -وهي فرقةٌ ضالةٌ- عندما خرجوا على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

• قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لما خَرجَتِ الـحرُوريّة -وهم الـخوارجُ- اعتزَلوا في دارٍ، وكانوا ستّةَ آلافٍ، وأجمَعوا على أن يَخرُجوا على عليٍّ رضي الله عنه فكانَ لا يزالُ يجيءُ إنسانٌ، فيقولُ: يا أميرَ الـمؤمنين! إن القومَ خارجونَ عليك.

(١) رواه أبو نعيم في «الـحلية» (١/ ٣٠٥)، والـخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (٥٨)، واللالكائي في «أصول السنة» (٣١٥)، وأبو نعيم في «الـحلية» (٦/ ١٤٣).

(٣) رواه البيهقي في «الـمدخل» (٣٢٣).

فيقولُ: دعوهم؛ فإنّي لا أُقاتِلُهم حتى يقاتلوني، وسوفَ يَفعلونَ، فلما كانَ ذاتَ يوم، أتيته قبلَ صلاةِ الظُّهرِ، فقلتُ لعليٍّ: يا أميرَ الـمؤمنين! أبرِدْ بالصلاةِ؛ لعَلّي أُكلِّمُ هؤلاءِ القوم.

قالَ: فإني أخافُهم عليك.

قلتُ: كلا! وكنتُ رجلاً حسنَ الـخُلق؛ لا أُوذي أحدًا، فأذِنَ لي، فلبستُ حُلّةً من أحسنِ ما يكونُ من اليمنِ، وترجَّلْتُ، ودخلتُ عليهم في دارِ نِصفَ النّهارِ وهم يأكلون، فدخلتُ على القومِ لم أرَ قطُّ أشَدَّ منهم اجتهادًا، جباهُهُمْ قَرِحَةٌ من السجودِ، وأيَاديهم كأنها ثَفِنُ[١] الإبل، وعليهم قُمُصٌ مُرْحَضَة[٢] مشمِّرين، مُسْهَمَةٌ[٣] وجوههم. فسلّمْتُ عليهم، فقالوا: مرحباً بكَ يا ابنَ عبّاسٍ! وما هذه الـحُلّةُ عليكَ؟!

قلت: ما تَعيبونَ منِّي؟ فقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ أحسنَ ما يكونُ في ثيابِ اليَمنيّةِ، ثم قرأتُ هذه الآية: ﴿**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ**﴾[الأعراف] فقالوا: ما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكُم مِنْ عندِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ الـمهاجرينَ والأنصارِ، ومن عندِ ابنِ عمِّ النَّبيِّ ﷺ وصهرِه، وعليهم نزل القرآنُ، فهم أعلمُ بتأويلِهِ منكم، وليسَ فيكُم منهم أحدٌ؛ لأبلِّغَكُمْ ما يقولون، وأبلِّغَهُم ما تقولون).

إلى أن قالَ: (فرَجَعَ منهم ألفانِ، وخَرَجَ سائِرُهُم، فقُتِلُوا على ضلالتِهم، قَتَلَهُم الـمهاجرونَ والأنصار)[٤].

(١) (ثَفِنَ الإبل)، أي: الركبة وما مس الأرض.

(٢) (مُرحضة)، أي: مغسولة.

(٣) (مُسْهَمَة)، أي: ذاهبة شاحبة مرهقة.

(٤) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٥)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٣٠٨)].

• فانظروا عباد الله! مع أن الـخوارجَ من أشدِّ الناس عبادةً، ورفعوا رايةَ التغييرِ والإصلاحِ، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ولكنهم ضلوا الطريق، فبين لهم ابن عباس رضي الله عنهما أنهم ليسوا على منهج الصحابة وليس فيهم أحدٌ منهم.

وكذلك يفضحُ منهجُ الصحابة رضي الله عنهم كُلَّ من ادعى هذا الـمنهج وليس منه.

الـمثال الثاني: حزبُ اللهِ في كتابِ اللهِ، وحزبُ اللهِ الشِّيعيُّ؛ حزبُ اللهِ في كتابِ اللهِ هو: الصَّحابةُ رضي الله عنهم ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وهو أهلُ السُّنةِ والـجماعة، وهو كلُّ من تمسَّكَ بالكتابِ والسُّنةِ بفَهمِ سلفِ الأمة.

وهذا وصفُهم في كتابِ الله:

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

وقالَ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وحزبُ اللهِ الشِّيعيُّ من صفاتِه الشَّنيعةِ: أنهُ يُكفِّرُ الصَّحابةَ رضي الله عنهم ويَلعنُهم، ويَتقرَّبُ إلى الله -زعموا- بِسَبِّهم، ويحادُّ اللهَ ورسولَهُ، ويَستحِلُّ قتلَ أهلِ السّنةِ.

فهل يُصدِّقُ عاقلٌ أنَّ حزبَ اللهِ الشيعيَّ هو حزبُ اللهِ؟!

• فمَنهجُ الصَّحابةِ ﵃ الذي هو منهجُ أهلِ السنةِ والـجماعة، والذي هو منهجُ السَّلفِ الصَّالـحِ، يَرفضُ الـمبتدعةَ وإن ادَّعوا أنهم على هذا الـمَنهجِ، ويفضَحُهم ويكشفُ عَوَرَهم كما فعلَ ابنُ عبّاسٍ ﵄ في الـخوارجِ، وكما فَعَلَ أهلُ السُّنةِ معَ الرَّوافضِ والتَّكفيريِّينَ والـمُبتدعةِ في هذا الزَّمان.

وفي نفسِ الوقتِ فالذين يتَمسَّكونَ بهذا الـمنهجِ الـحقِّ، لا يَضرُّهم من خالفَهم ولا من خذلَهم.

• **فالسَّلفيةُ**: منهجٌ وسبيلٌ وطريقٌ يُوصِلُ إلى رضى اللهِ والـجنّةِ، وليسَت حِزباً، ولا تنظيماً، ولا تكتُّلاً، ولا جماعةً بدعيّةً لها أميرٌ بدعيٌّ، يُبايَعُ بيعةً بدعيةً، إنما أميرُهم وقائدُهم الذي يَنطلِقونَ من أمرهِ ونهيهِ: هو رسولُ اللهِ ﷺ.

فكلُّ مؤمنٍ يعبدُ اللهَ وحدَهُ ولا يشركُ به شيئاً، ويتأسّى برسولِ اللهِ ﷺ وحدَه ولا يَبتدعُ في دينِ اللهِ، ويَسلُكُ سبيلَ الصَّحابةِ ﵃ ومن تَبِعَهم بإحسانٍ، ولا يسلكُ سُبلَ الشَّيطانِ؛ فهو سلفيٌّ، حاكماً كان أو محكوماً، ذكراً كان أو أنثى، غنياً كان أو فقيرًا، عربياً كان أو أعجمياً.

• فكلُّ من تأسَّى بسَلفِه الصّالـحِ من الصَّحابةِ ومَن بعدَهم، وسَلكَ منهجَهم فهو سَلفيٌّ.

• وكلُّ من تأسّى بالـخوارجِ والتَّكفيريِّينَ والـحِزبيِّنَ وسَلكَ منهجَهم فهو: خارجيٌّ أو تكفيريٌّ أو حزبيٌّ.

فاعتصِموا عبادَ اللهِ! بالـمنهجِ الـحقِّ: منهجِ الصَّحابةِ ﵃ ومن تَبِعَهم بإحسانٍ، وتَمسَّكوا به، وعَضُّوا عليه بالنَّواجذِ، فهُم سلفُنا الصالـحُ.

أمة الإسلام! وانطلاقاً من قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة:٤٨].

ومن قوله تعالى: ﴿**بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون:٧٠، ٧١].

ومن قوله تعالى على لسانِ هودٍ عليه السلام: ﴿**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾**﴾ [الأعراف].

ومن قوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

ليَهلِكَ من هَلكَ عن بيِّنةٍ ويَحيى من حيَّ عن بيِّنةٍ أقولُ:

أولاً: السَّلفيةُ. والمظاهراتُ والخروجُ على ولاةِ الأمرِ لا يجتمعان

السَّلفيةُ لا تبيحُ الـمُظاهراتِ ولا تُؤيِّدُها؛ وذلك لأنهُ لم يأتِ دليلٌ من الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمّةِ يَسمَحُ بها، بل جاءَتِ الأدلةُ تمنعُ من الـمُظاهراتِ والـخروجِ.

• فها هو رسولُنا ﷺ وقائدُنا وأسوتُنا يقولُ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**». قالوا: يا رسولَ الله! كيف تأمُرُ مَنْ أدركَ منا ذلك؟ قال: «**تُؤَدُّون الـحقَّ الّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»(٢).

والشّاهدُ من الـحديثِ: أن النَّبيَّ ﷺ أمرَ الـمسلمِينَ أن يُؤَدُّوا حقَّ وليِّ الأمرِ، ولا يَخرُجوا إلى الشَّوارعِ في مُظاهراتٍ يَطلُبونَ حقَّهم.

• وسألَ رجلٌ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا نبيَّ اللهِ! أرأيتَ إن قامَت علينا أمراءُ يسألونا حقَّهم ويَمنعونا حقَّنا، فما تأمرُنا؟ فقال ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٦).

والشّاهدُ من هذا الـحديثِ: أن النَّبيَّ ﷺ أمر الـمسلمِينَ بالسَّمعِ والطّاعةِ لولاةِ الأمرِ الذين يَطلُبونَ حقَّهم من الرَّعيَّة، ويمنعونهم حقهم، ولم يأمر النَّبيُّ ﷺ الـمسلمِينَ أن يَخرجوا في مظاهراتٍ إلى الشَّوارعِ يَطلُبونَ إسقاطَ النِّظام.

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلاَ يُبْدِه عَلاَنِيَةً، وَلَكِنْ يَأخذُه بِيَدِهِ فَيْخْلُو بِهِ، فَإنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإلاَّ كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْه**»(١).

• وهذا أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه يَمنَعُ الـمسلمِينَ من الـخروجِ على الـحَجّاجِ وهو من أظلَم ولاةِ الأمر.

• عن الزُّبيرِ بنِ عديٍّ قالَ: أتَينا أنسَ بنَ مالك رضي الله عنه فشَكَونا إليه ما نَلقى من الـحجَّاج فقالَ: «**اصْبِرُوا فإِنَّه لاَ يَأْتِي زَمَانٌ إلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوا رَبَّكُمْ**» سمعتُهُ من نبيِّكم ﷺ(٢).

الشّاهدُ من هذا الأثرِ: أن أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه أمرَ الـمسلمِينَ بالصَّبرِ على ظُلمِ وليِّ الأمرِ، ولم يأمُرهم بالـخُروجِ إلى الشَّوارعِ بالـمُظاهراتِ يهتِفونَ فيها بسُقوطِ نظامِ الـحجّاج.

• وعن سويدِ بنِ غفلةَ رضي الله عنه قال: (قال لي عمر: يا أبا أُميّة! إني لا أدري لعلّي لا ألقاك بعد عامي هذا، فإن أُمِّرَ عليك عبدٌ حبشيٌّ مُجدَّع؛ فاسمعْ له وأطعْ، وإن ضربَكَ فاصبر، وإن حَرَمك فاصبر، وإن أرادَ أمراً ينقُضُ دينَك فقل: سَمعاً وطاعةً، دمي دونَ ديني، ولا تفارق الـجماعة)(٣).

والشّاهدُ من هذا الأثرِ: أن عمرَ رضي الله عنه أمرَ بالسَّمعِ والطّاعةِ لوليِّ الأمرِ

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والـمثاني» (٨٧٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٧٧)، والـحاكم (٥٢٦٩)، [«ظلال الـجنة» (١٠٩٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه الـخلال في «السنة» (١/ ١١١)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٥٨).

وإن ضَربَك وحَرمَك، ولم يأمُر بالـخُروجِ إلى الشَّوارعِ بالـمُظاهراتِ يهتِفونَ بسُقوطِ النِّظام.

• وعن الإمام أحمدَ بن حنبلٍ رحمَه الله قالَ: (في ولايةِ الواثقِ، اجتمعَ فقهاءُ بغدادَ إلى أبي عبدِالله -أي: أحمدَ بنِ حنبل- فقالوا: يا أبا عبدِالله! إن هذا الأمرَ قد تفاقَمَ وفَشا -يعنونَ: إظهارَه لخَلقِ القرآنِ وغيرِ ذلك-، فقالَ لهم أبو عبدِالله: فما تُريدونَ؟ قالوا: نشاوُرك في أنّا لسنا نَرضى بإمرتِه ولا سلطانِه، فناظَرهم أبو عبدِالله ساعةً، وقالَ لهم: عليكُم بالنُّكرة بقلوبِكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تَشُقُّوا عصا الـمسلمين، ولا تَسفكُوا دماءكم ودماءَ الـمسلمِينَ معَكم، انظُروا في عاقبةِ أمرِكم، واصبِروا حتى يَستريحَ برٌّ أو يُستراح من فاجر...)(١).

وهذه الوصيّةُ العظيمةُ أخذَها الإمامُ أحمدُ من رسولِ اللهِ ﷺ الذي قالَ: «**لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيةِ الله عزّ وجلّ؛ إنَّما الطَّاعَةُ فِي الـمَعْرُوفِ**»(٢).

ومن قولِه ﷺ: «**إنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيكُمْ أُمَراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ؛ فمن كَرِه فقد بَرِئَ، ومَنْ أنكَرَ فقدْ سَلِمَ، وَلكنْ مَنْ رَضِيَ وتَابَعَ**» قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتِلُهُمْ؟ قال: «**لاَ، مَا صَلَّوا**»(٣).

ومعنى «فمن كَرِهَ فقد برئَ، ومن أنكَرَ فقد سَلِمَ»: أي: من كَرِهَ بقلبِه، وأنكَرَ بقلبِه.

• ولذلكَ قالَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل رحمَه الله: (... وإنْ أمركَ السلطانُ بأمر هو لله معصيةٌ؛ فليس لك أن تُطيعَهُ -ألبَتَّة-، وليسَ لكَ أن تخرُجَ عليه، ولا تَمْنَعَهُ حَقَّهُ...)(٤).

(١) رواه الـخلال في «السنة» (١/ ١٣٣)، بسندٍ صحيح.
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، واللفظ له.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٤).
(٤) «طبقات الـحنابلة» (١/ ٢٧).

والشَّاهدُ: أن الإمامَ أحمدَ رحمَه الله، إمامَ أهلِ السُّنةِ أمرَ بطاعةِ السُّلطانِ في الـمعروفِ، وحَذَّرَ من الـخروجِ عليه بالـمُظاهراتِ وغيرِها لإسقاطِ النِّظَام.

• وقالَ الفُضَيلُ بنُ عياضٍ رحمَه الله: (لو كانَ لي دعوةٌ مستجابةٌ، ما جعلتها إلاّ في السلطان)[١].

• وقالَ الإمامُ سهلُ بنُ عبدِالله التَّستُريُّ رحمَه الله: (هذه الأمةُ ثلاثٌ وسبعونَ فرقةً. اثنتانِ وسبعونَ هالكةٌ، كلُّهم يُبغِضُ السُّلطانَ، والنّاجيةُ هذه الواحدةُ التي مع السُّلطان)[٢].

• وقال الإمامُ أبو جعفرٍ الطَّحاويُّ رحمَه الله في «العقيدةِ الطَّحاويّة»: (ولا نرى الـخروجَ على أئمَّتِنا، وولاةِ أمورِنا؛ وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنزِعُ يداً من طاعتِهم، ونرى طاعتَهم من طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فريضةً ما لم يأمروا بمعصيةٍ؛ وندعو لهم بالصَّلاحِ والـمُعافاة)[٣].

• وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمَه الله: (ولهذا كان الـمشهورُ من مذهبِ أهلِ السُّنةِ: أنهم لا يَرونَ الـخروجَ على الأئمَّةِ وقتالَهم بالسَّيفِ، وإن كانَ فيه ظلمٌ، كما دلَّت على ذلكَ الأحاديثُ الصَّحيحةُ الـمُستفيضَةُ عن النبيِّ ﷺ؛ لأن الفسادَ في القتالِ والفتنةِ، أعظمُ من الفسادِ الـحاصلِ بِظُلمِهم بدونِ قتالٍ ولا فتنةٍ. ولعلَّه لا يكادُ يُعرَفُ طائفةٌ خرجَت على ذي سلطانٍ، إلا وكانَ في خروجِها من الفسادِ ما هو أعظمُ من الفَسادِ الذي أزالَته)[٤].

• وقال الإمامُ محمدُ ناصر الدِّينِ الألبانيُّ رحمَه الله: (.. لأن الرَّسولَ ﷺ

(١) «شرح السنة» للإمام البربهاري (ص١٠٨).
(٢) «قوت القلوب» لأبي طالب الـمكي (٢/ ٢٤٢).
(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٧٩).
(٤) «منهاج السنة» (٣/ ٣٩١).

تواتَرَت عنه الأحاديثُ في طاعةِ الـحُكّامِ إلا في معصيةِ اللهِ؛ كما في حديثِ: «**لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الله**»(١).

وفي أحاديثَ أُخرى أنه تَجِبُ طاعتُهم ولو ظلَموك، ولو ضَرَبوا ظهرَك ما لم تَرَوا كُفراً [مُوصَّدًا])(٢).

• وقال الإمامُ عبدُالعزيزِ بنُ بازٍ رحِمَه الله: (فلا ريبَ أن اللهَ -عزَّ وجلَّ- أمرَ بطاعةِ وُلاةِ الأمرِ، والتُّعاونِ معَهم على البرِّ والتَّقوى، والتَّواصي بالـحقِّ، والصَّبرِ عليه، فقالَ -جلَّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء])(٣).

• وقال الإمامُ محمدُ بنُ صالـحِ العثيمين رحِمَه الله: (ومن حقوقِ الولاةِ على رعيَّتِهم: السَّمعُ والطّاعةُ بامتثالِ ما أُمِروا به وتَركِ ما نُهوا عنه، ما لم يكُن في ذلكَ مخالفةٌ لشَريعةِ اللهِ؛ فلا سَمعَ ولا طاعةَ، «**لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الـخَالِقِ**»)(٤).

ثانياً: السّلفيةُ، والتكفيرُ والاعتداءُ على النفسِ المؤمنةِ التي حرمَ الله قتلها إلا بالـحق لا يجتمعان.

السَّلفيةُ والسلفيون لا يُكفِّرون أحداً من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يَستحِلَّه.

قالَ الإمامُ الطَّحاويُّ في «عقيدتِه»: (ولا نُكفِّرُ أحداً مِنْ أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٣١)، من حديث علي، و(١/ ٤٠٩)، من حديث ابن مسعود (٥/ ٦٦)، من حديث الـحكم بن عمرو الغفاري، و(٥/ ٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٢٢)، من حديث عمران بن حصين، [«صحيح الـجامع» (٧٥٢٠)].

(٢) انظر: الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩).

(٣) «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الـجزائر» (ص٩١-٩٢).

(٤) «مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز» (٩/ ٩٣).

لم يَستحِلَّه. ولا نقولُ: لا يضرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ لمن عملَه)(١).

وهذه العقيدةُ مأخوذةٌ من قوله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِر! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٢).

والسَّلفيةُ والسَّلفيُّونَ لا يَعتدونَ على النَّفسِ المؤمنةِ التي تقولُ «لا إله إلا الله» إلا بالحق، وهذا مأخوذٌ من قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١] ومن قوله ﷺ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ**»(٣).

بل نَهى النَّبيُّ ﷺ صراحةً عن قتلِ من أسلمَ، وقالَ: «لا إله إلا الله» أثناء المعركة، ولو قَطعَ يدَ المسلمِ المُقاتل.

• عن المقدادِ بنِ الأسودِ رضي الله عنه قالَ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفارِ فقاتَلني، فضَرَب إحدَى يَدَيَّ بالسيفِ فقَطعها. ثم لاذ مِنِّي بشجرةٍ فقال: أسلمتُ لله، أفأقْتُلُهُ يا رسول الله بعدَ أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَقْتُلْهُ**» قال: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنه قد قَطعَ يدي ثم قالَ ذلكَ بعدَ أن قطعَها. أفأقْتُلُه؟

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقْتُلْهُ؛ فَإِن قتلْتَهُ فَإِنَّهُ بمنزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**»(٤).

فهذه هي عقيدةُ السَّلفِ الصَّالحِ: لا يُكفِّرونَ أحداً من أهلِ القبلةِ بذَنبٍ ما لم يَستحِلَّه، ولا يَقتلونَ مسلماً قال: «لا إله إلا الله»، لتعلَموا يا عبادَ اللهِ في

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣١٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، واللفظ للبخاري

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (٩٥)، واللفظ له.

كلِّ الدنيا أن السَّلفيةَ والسَّلفيِّينَ بُرَآءُ مما حَدَثَ في مدينةِ الزَّرقاء[١]، وبُرآءُ من الاعتصاماتِ البِدعيَّةِ في الشَّوارعِ والـمُظاهراتِ وغيرِها مما يَحدُثُ في شوارعِ الـمسلمِينَ في هذه الأيّام.

أما التَّكفيرُ والقتلُ والـخروجُ على ولاةِ الأمر فهذا هو منهجُ الـخوارجِ ومن سَلكَ سبيلَهم، وتَشَرَّبَ فِكرَهم قديماً وحديثاً.

• فالـخوارجُ هم الذين خَرَجوا على رسولِ الله ﷺ بالكلمة، عندَما قالَ كبيرُهم لرسولِ اللهِ ﷺ وهو يَقسِمُ غنائمَ حُنَينٍ: «اعدِل يا محمد! فإن هذه قسمةٌ ما عُدِلَ فيها وما أُرِيدَ بها وجهُ الله»[٢].

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ من ضِئضئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَؤونَ القُرآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أهل الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُم؛ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[٣].

والـخوارجُ هم الذين خَرَجوا على عثمانَ بنِ عفّانٍ رضي الله عنه وقَتلوه، والـخوارجُ هم الذين خَرَجوا على عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وقتلوه.

فمنهجُ الـخوارجِ منهجٌ فاسدٌ، وعقيدتُهم في التَّكفيرِ وفي الـخُروجِ على وُلاةِ الأمرِ باطلةٌ، والذين يَحملونَ فِكرَهم هم الذين مَلَؤوا الأرضَ فساداً، نسألُ اللهَ أن يَهدِيَهم إلى الـحقِّ وإلى مَنهجِ الـحقِّ، وأن يَحفظَ بلادَ الـمسلمِينَ من شَرِّهم. فالحقُّ أحقُّ أن يُتبعَ، وليسَ بعد الحَقِّ إلا الضلال.

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء].

---

(١) الزرقاء مدينة أردنية قرب العاصمة عمان.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ].

فالـمنهجُ الـحقُّ الذي لا مِريةَ فيه هو منهجُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم والذي هو منهجُ أهلِ السُّنةِ والـجماعةِ، والذي هو منهجُ السَّلفِ الصّالـحِ، وهو منهجٌ معصومٌ دلَّ عليه الدَّليلُ من الكتابِ والسَّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمّة، الـمتمسِّكينَ به يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابه ورسولُهم صلى الله عليه وسلم في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالهدايةِ إلى الصِّراطِ المستقيم

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

ثانياً: النَّصرُ والظهورُ والثباتُ إلى يوم القيامة

قالَ صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الـحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١).

ثالثاً: رضى الله والفوز بالجنة

قالَ تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

عبادَ الله! ما هي البُشرى التي بَشَّر بها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه وأمتَه بعدَ ذلكَ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٠).

١٩

تبشيره ﷺ للدُّعاةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ، بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾[الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ [الفرقان].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للدُّعاةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ، بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

الدَّعوةُ لغةً واصطلاحاً.

• **الدَّعوةُ لغةً:** مأخوذةٌ من الدُّعاءِ، وهو النِّداءُ لجمعِ النَّاسِ على أمرٍ ما، وحثُّهم على العملِ له.

• فإذا كانَتِ الدَّعوةُ إلى التَّوحيدِ والسُّنةِ والـجنّةِ والـخيرِ فهي دعوةٌ إلى هُدى.

قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد].

وقالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة].

ورسولُنا ﷺ دعا الأمّةَ إلى تَوحيدِ اللهِ وطاعتِه. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب].

• وإذا كانَتِ الدَّعوةُ إلى الشِّركِ والبدعةِ والنَّارِ والشَّرِّ فهي دعوةٌ إلى ضلال؛ قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر].

وقالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١﴾ [القصص].

وقالَ ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه: «**دُعاةٌ عَلَى أبْوَابِ جهَنَّم، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»[١].

وقالَ ﷺ: «**مَن دَعَا إِلَى هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيئًا، وَمَن دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِن آثَامِهِم شَيْئاً**»[٢].

والدَّعوةُ اصطلاحاً: هي دعوةُ النّاسِ إلى الإسلامِ بالقَولِ والعملِ[٣].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣).

وقالوا: هي جمعُ النَّاسِ على الـخَيرِ ودلالتُهم على الرُّشدِ، بأمرِهم بالـمَعروفِ ونهيِهم عن الـمنكرِ، وليسَ جمعَهم على الاعتصاماتِ والـمظاهراتِ، وأمرَهم بالـمنكر ونهيَهم عن الـمعروفِ.

قالَ تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران].

فالدَّعوةُ في اللُّغةِ تكونُ إلى هدًى أو ضلالٍ، أما في الشَّرعِ فلا تكونُ إلا إلى هدى.

* والدُّعوةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ هي وظيفةُ الأنبياءِ والمُرسلِينَ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر].

الدَّعوةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ جهادٌ في سبيلِ الله، بل هي أعظمُ أنواعِ الـجهاد.

ومما يَدلُّ على عِظَمِ منزلةِ الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى أنّ العليمَ الـحكيمَ -عزَّ وجلّ- سمّاها ﴿جِهَادًا﴾ في كتابِه العزيزِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يدَيه ولا من خلفِه.

• قالَ عزَّ وجـلّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان].

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ التي هي من سورةِ الفُرقانِ الـمكيَّةِ أمرَ اللهُ عزَّ وجلّ نبيَّهُ الكريمَ بمُجاهدةِ الكافرينَ مجاهدةً تامةً شديدةً، ولم يكن الـجهادُ بالسيفِ قد شُرعَ بعدُ آنذاك، فالـمرادُ بالـجهادِ في هذه الآيةِ الكريمةِ -واللهُ تعالى أعلمُ- جهادُ الكفارِ

بالقرآنِ وذلك بتلاوةِ ما فيه من القوارعِ والزواجِرِ والـمواعظِ والأوامرِ والنواهي:

وقد بيّن ذلك علماءُ الأمةِ رحمهم الله تعالى. وفيما يلي أقوالُ بعضِهم:

أ- قالَ تَرجُمانُ القرآنِ وحَبْرُ الأمةِ عبدُالله بنُ عباسٍ رضي الله عنه: ﴿**وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ**﴾ بالقرآن(١).

ب- وقالَ الإمامُ البَغَويُّ في »تفسيره«: ﴿**وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ**﴾ -أي: بالقرآن- ﴿**جِهَادٗا كَبِيرٗا**﴾ -أي: شديداً-.

• قولُه -عزَّ وجلّ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩**﴾ [التحريم].

أمرَ اللهُ -عزّ وجلّ- رسولَهُ الكريمَ ﷺ في هذه الآيةِ بجهادِ الكفارِ والـمنافقين، وأما جهادُ الكفارِ فبالسَّيفِ والسِّنانِ، وأمّا جهادُ الـمنافقينَ فبالـحجة والبرهانِ، وقد بيَّنَ ذلكَ كثيرٌ من علماءِ الأمةِ الـمُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ -رحمهم اللهُ تعالى- وفيما يلي أقوالُ بعضِهم:

أ- عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال في تفسيرِ هذه الآيةِ: (فَأَمَرَهُ اللهُ بجهادِ الكفارِ بالسّيفِ، والـمنافقينَ باللسّانِ، وأذهبَ الرفقَ عنهم)(٢).

ب- وقالَ العلاّمةُ الشَّوكانيُّ: (وجهادُ الكفارِ يكونُ بمُقاتلتِهم حتى يُسلِموا، وجهادُ الـمُنافقينَ يكونُ بإقامةِ الـحُجَّةِ عليهم حتى يَرجِعوا عنه، ويؤمنوا بالله).

سؤال: هل الـجهادُ بالـحجةِ والبرهان أفضلُ من الـجهادِ بالسيفِ والسِّنانِ؟

الجواب: نعم! لقد صَرَّحَ العلماءُ رحمَهم اللهُ تعالى أنَّ الـجهادَ بالـحجةِ والبرهانِ أجلُّ وأفضلُ وأعظمُ من الـجهادِ بالسَّيفِ والسِّنان.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ١١).

• قالَ ابنُ القيِّم رحمَه الله: (قوامُ الدين بالعلم والـجهادِ، ولهذا كانَ الـجهادُ نوعَين: جِهادٌ باليدِ والسنانِ، وهذا الـمشارِكُ فيه كثيرٌ، والثاني: الـجهادُ بالـحجةِ والبيانِ، وهذا جهادُ الـخاصّةِ من أتباعِ الرسلِ، وهو جهادُ الأئمَّةِ، وهو أفضلُ الـجهادَيْنِ لِعِظَمِ منفعتِهِ، وشدةِ مُؤْنَتِهِ، وكثرةِ أعدائِهِ)(١).

وقالَ رحمَه اللهُ تعالى في مكانٍ آخرَ: (وتبليغُ سُنَّةٍ إلى الأمّةِ أفضلُ من تَبليغ السِّهامِ إلى نُحورِ العَدوِّ، لأنَّ تبليغَ السهامِ يفعلُهُ كثيرٌ منَ النّاسِ، وأمّا تبليغُ السُّنَنِ فَلا يقومُ بهِ إلا ورثةُ الأنبياءِ، وخلفاؤُهم في أُمَمِهم، جَعَلَنَا اللهُ تعالى منهم بمنِّهِ وكرَمِهِ)(٢).

• ومما يدلُّ على أنَّ الـجهادَ بالـحُجَّةِ والبُرهانِ -وهو الدَّعوةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ- أفضلُ من الـجهادِ بالسَّيفِ والسِّنانِ: أنَّ الهدفَ الأولَ للجهادِ بالسيفِ والسِّنانِ هو: الدعوةُ إلى اللهِ تعالى، والدليلُ على ذلك.

• عن بُريدةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ، إذا أَمَّرَ أميرًا على الـجيش أو سريةٍ أوصاهُ في خاصتِهِ بتقوَى اللهِ ومَنْ مَعَهُ من الـمسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغْزُوا باسْمِ اللهِ، في سَبيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهِ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا، ولا تَغْدُرُوا، ولاَ تُمَثِّلُوا، ولاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وإذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الـمشركين فادْعُهُم إلى ثلاثِ خِصَالٍ (أو خِلال) فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فاقْبَلْ مِنْهُم وَكُفَّ عَنْهُم، ادْعُهمْ إِلَى الإِسلامِ، فإنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُم وَكُفَّ عَنْهُم...**» الـحديث(٣).

• عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ يومَ خَيبرَ: «**لأُعْطِيَنَّ هذه الرَّايَةَ رجُلاً يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ**» قال: فَبَاتَ

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٠).
(٢) انظر «جلاء الأفهام» (٣١٧).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

الناسُ يَدُوكُون ليلَتَهُمْ: أيُّهُم يُعطاها، فلما أصبحَ الناسُ غَدوْا على رسولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرجُو أن يُعطاها، فقال ﷺ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أبي طالب؟**».

فقالوا: هو يا رسولَ اللهِ يشتكي عينَيه، قال: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**» فأُتِيَ به، فبصَقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه، ودَعَا لهُ فَبَرَأَ، حتى كأن لم يَكُنْ به وَجَعٌ، فأعطاهُ الرَّايةَ، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله! أُقَاتِلُهُم حتى يكونوا مِثْلَنَا، فقال ﷺ: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتّى تَنزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثم ادْعُهُم إِلَى الإِسْلام، وأَخْبِرْهِمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم، مِنْ حَقِّ اللهِ فيهِ، فَواللهِ لأنْ يهديَ اللهُ بِكَ رجُلاً واحدًا خَيْرٌ لك مِنْ أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعم**»(١).

أمة الإسلام! الدَّعوةُ إلى اللهِ على بَصيرةٍ هي العِلاجُ الوحيدُ، والدَّواءُ النّافعُ للأمّةِ الإسلاميَّةِ في كلِّ زمانٍ ومكان، وذلك لأنّ الأمةَ الإسلاميةَ إذا أُصيبَت بالأمراضِ التي تُفَرِّقُها وتُضعِفُها وتُذِلُّها، فلا سبيلَ لعلاجِها إلا بالرُّجوعِ إلى دينِها وهو الإسلامُ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ من عندِ ربِّهِ، ولا سبيلَ إلى الرُّجوعِ إلى الدِّينِ إلا بالدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى.

ومن الأمراضِ التي أُصيبَتْ بها الأمةُ في زمنِنا هذا:

• ***المرضُ الأولُ: الذلُّ والهَوانُ***

قالَ ﷺ: «**إذَا تَبَايَعْتُمْ بالعينةِ، وأخذتُمْ أذنابَ البقرِ، وَرَضِيْتُم بِالزّرْعِ، وتَرَكْتُم الـجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلاًّ لاَ يَنْزِعهُ حتّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

في هذا الـحديثِ شَخَّصَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ الـمرضَ الذي أصابَ الأمةَ وهو: الذلُّ والهوانُ، وبيّن لنا ﷺ سببَه وهو: الذنوبُ والـمعاصي، وفي مقدِّمتها: الشركُ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٩)].

«**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ**»: -أي: أكلتُم الربا-، «**وأخذتم أذنابَ البقرِ ورضيتم بالزرعِ**» -كنايةٌ عن حبِّ الدنيا والرُّكونِ إليها ونسيانِ الآخرة- «**وَتَرَكْتُم الـجِهَادِ**» -أي: بسببِ حبِّ الدنيا وكراهيةِ الـموتِ- «**سلَّطَ اللهُ عليكُمْ ذُلّاً**» وهذا هو الداءُ، وهذا هو الـمرضُ. وعلاجُه: «**حَتَّى ترْجِعُوا إِلَى دِينكُمْ**».

ورسولُنا ﷺ يخبرُنا في حديثٍ آخرَ عن حالِ الأمةِ إذا ما رَكَنَتْ إلى الدنيا ونَسِيَتِ الآخرةَ وعصَتْ ربَّها.

• فيقولُ ﷺ: «**يُوشِكُ الأممُ أنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأكَلَة إِلَى قَصعتِهَا**» فقال قائلٌ: ومِن قلةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال: «**بَلْ أَنْتُمْ يَومَئذٍ كثيرٌ؛ ولَكنكم غُثاءٌ كغثاءِ السيلِ، ولينزعَنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم الـمهابةَ مِنكُمْ، وَلَيَقْذفَنَّ اللهُ في قُلُوبكُم الوَهْنَ**». فقال قائلٌ: يا رسولَ الله! وما الوَهْنُ؟ قال ﷺ: «**حبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الـموتِ**»(١).

• **المرضُ الثاني: التفرقُ والاختلافُ الذي أدى إلى ضعفِ الأمةِ**

وسببُهُ: الـشِّركُ والـحزبيّةُ البغيضةُ ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [الـمؤمنون].

وعلاجُه: الرجوعُ إلى الدين.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحبلُ اللهِ هو: الدِّينُ، هو الإسلام.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي (٩٩٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٣٤)، واللفظ لأبي داود [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨)].

وقالَ تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

• **المرض الثالث: كثرةُ القتلِ والتفجير والتدمير، والاعتصاماتِ والمظاهراتِ، الذي أدّى إلى غيابِ الأمنِ في كثير من بلادِ المسلمين.**

وسببُه: الـجهلُ بالدينِ، وفسادُ العقيدةِ، وانتشارُ فكرِ التَّكفيرِ في الأمةِ.

وعلاجُه: الرُّجوعُ إلى الدينِ وفهمُه فهماً صحيحاً.

وتأمَّلوا في الـمثالَينِ التّاليينَ كيفَ عالـجَ حُذّاقُ الدعاةِ أناساً مَرضوا بداءِ التكفير، وكيفَ أنهم أنقذوهمْ من الهلاكِ حينَ رَدُّوهُمْ وأرشدوهم إلى الفهمِ السليمِ القويمِ الذي فهمه الصحابةُ.

الـمثال الأول: لما خرجَ الـخوارجُ على أمير الـمؤمنينَ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه عندَما فَهِموا الإسلامَ فَهماً خاطئاً -ذهبَ إليهم عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما وردَّهم إلى فهمِ الإسلامِ فهماً صحيحاً- كما فَهِمَهُ الصحابةُ رضي الله عنهم فرَجَعَ منهم ألفانِ[(١)].

الـمثال الثاني: الذين خَرَجوا إلى الـحجِّ يَحمِلونَ فكرَ الـخوارج في عقولِهم، ويُريدونَ أن يَخرُجوا على الـحَجّاج في الـحجِّ، فمرُّوا بالـمدينة وجَلسوا في مجلسِ علم لجابرِ بن عبدِالله رضي الله عنهما في مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جلسوا وفَهموا الإسلامَ مِنْ هذا الصحابيِّ فهماً صحيحاً رجعوا عن فكرهم جميعاً[(٢)].

فهذه أمراضٌ أصيبَت الأمةُ بها، والعلاجُ من هذه الأمراضِ هو أن تَرجِعَ الأمةُ إلى دينها، ولا يمكنُ للأمّةِ أن تَرجِعَ إلى دينِها إلا بالدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى على بصيرةٍ.

---

(١) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٥)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٣٠٨)].
(٢) **صحيح** مسلم (١٩١).

قالَ تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف].

والدَّعوةُ إلى الله تقومُ على أربعةِ أصولٍ:

الأصلُ الأولُ: موضوعُ الدعوةِ (الإسلامُ).

الأصلُ الثاني: الداعي إلى اللهِ.

الأصلُ الثالثُ: الـمَدْعُوُّ إلى اللهِ.

الأصلُ الرابعُ: أساليبُ ووسائلُ الدعوةِ إلى اللهِ.

وعلى الدُّعاةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ أن يَسلكوا منهجَ الأنبياءِ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى. للأسبابِ التّالية:

أولاً: لأنَّ هذَا الـمنهجَ هو الطَّريقُ الأقومُ الذي رسمَه اللهُ لجميعِ الأنبياءِ من لَدُن نوحٍ عليه السلام إلى خاتَمِ الأنبياءِ والُمرسلِينَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وجمعُيهم بدؤوا دعوتَهم بالتَّوحيدِ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

ثانياً: لأنَّ الأنبياءَ جميعاً قد التزموا هذا الـمنهجَ وطبَّقوه ولم يحيدوا عنه، مما يدلُّ دلالةً واضحةً على أنه ليسَ من ميادينِ الاجتهادِ، فلم نجِدْ:

١- نبِيًّا افتتحَ دعوتَه بالتَّصوُّف.

٢- وآخرَ بالتَحَزُّب والتَّنظيمات.

٣- وآخرَ بالُمظاهراتِ والاعتصاماتِ والـمُطالبةِ بإسقاطِ النظام.

٤- وآخرَ بالسِّياسةِ ومصادمةِ وُلاةِ الأمر.

٥- وآخرَ برفعِ شعاراتِ الإصلاحِ والتَّغييرِ والدِّيمقراطيّةِ بل وجدناهم جميعاً يسلكونَ منهَجاً واحداً وهو: الاهتمامُ بتوحيدِ الله عزَّ وجلَّ.

ثالثاً: لأنَّ الله قد أوجبَ على رسولِنا الكريم ﷺ الذي فَرضَ علينا اللهُ اتِّباعَهُ: أن يقْتَدِيَ بهم، ويسلُكَ مَنهَجُهمْ، فبعدَ أن عَدَّدَ اللهُ أنبياءَه في القرآنِ، قالَ لرسولِه ﷺ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

وقد اقتدَى ﷺ بهُداهم في البدءِ بالتوحيدِ والاهتمامِ الشَّديدِ به.

• ولما كانَت دعوتُهم في أكملِ صورِها تتمثَّلُ في دعوةِ إبراهيمَ عليه السلام زادَ اللهُ الأمر تأكيداً، فأمرَ نبيَّنا محمداً ﷺ باتباع منهجه.

فقالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾ [النحل].

والأمرُ باتِّباعهِ يَشملُ الأخذَ بمِلَّتهِ التي هي التَّوحيدُ، ومحاربةُ الشركِ، ويشمَل سلوكَ منهجِهِ في البدءِ بالدعوةِ إلى التوحيدِ، وزادَ اللهُ الأمرَ تأكيداً -أيضاً- فأمَرَ أمةَ محمد ﷺ باتِّباعِ ملّةِ هذا النبيِّ الحنيفِ.

فقالَ تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾ [آل عمران].

إذن! فالأمةُ الإسلاميةُ عامةً والدعاةُ إلى اللهِ خاصّةً مأمورونَ باتباع ملةِ إبراهيم عليه السلام، فكما لا يجوزُ مخالفةُ مِلَّتِهِ، لا يجوزُ العُدُولُ عن منهجِهِ في الدَّعوةِ إلى التوحيدِ ومحاربةِ الشركِ ومظاهرِه ووسائلِه.

فعلى الأمة الإسلامية -حكاماً ومحكومين- أن يسلكوا منهجَ الأنبياءِ في الدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى، لأنَّ هذا المنهجَ هو الطَّريقُ الوحيدُ للتَّغييرِ والإصلاحِ

والنَّجاةِ، وخروجِ الأمةِ مما هي فيه، وهو السَّبيلُ الوحيدُ للعزِّ والتَّمكين.

• والدُّعاةُ إلى اللهِ تعالى على بصيرةٍ بهذا الـمنهجِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّته بما يلي:

أولاً: أن عملهم في الدَّعوةِ إلى اللهِ من أحسنِ الأقوالِ والأعمالِ، وأجَلِّ القُرُباتِ

قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

أي: لا أحدَ أحسنُ قولاً ممن دعا إلى اللهِ. ومعنى: ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي دعا عبادَ الله إليه.

• عن الـحسنِ البَصريِّ رحمَه الله أنه تلا هذه الآيةَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فقال: هذا حبيبُ اللهِ، هذا وليُّ اللهِ، هذا صَفوةُ اللهِ، هذا خيَرةُ الله، هذا أحبُّ أهلِ الأرضِ إلى الله، أجاب اللهَ في دعوته، ودعا الناسَ إلى ما أجابَ الله فيه من دعوته، وعمل صالـحاً في إجابته، وقال: إنني من الـمسلمين[1].

ثانياً: يُبَشِّرُهُمْ بالرحمةِ في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

والأمَّةُ اليومَ في أمسِّ الـحاجةِ إلى أن يَرحـمَها اللهُ مما هي فيه.

(١) رواه عبد الله بن الـمبارك في «الزهد» (١٤٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٩).

ثالثاً: يُبَشِّرُهم بالنصرِ والتمكينِ في الأرضِ

قالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

رابعاً: يُبَشِّرُهم أن اللهَ وملائكتَهُ وأهلَ السّماواتِ والأرضِ، يُصلّون على مُعلِّمي الناسِ الخيرَ

• عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لرسولِ اللهِ ﷺ رَجُلانِ: أحدُهما عابدٌ، والآخرُ عالِـمٌ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلي عَلَى أدْنَاكُمْ**». ثم قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وأهلَ السمواتِ والأرضِ -حتَّى النَّمْلَةَ في جُحرِها، وحتَّى الـحُوتَ- لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِمي النّاس الـخَيْرَ**»[(١)].

• وقالَ ﷺ: «**مُعَلِمُ الـخيرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيءٍ، حَتَّى الـحِيتانُ في البَحْرِ**»[(٢)].

خامساً: يُبَشِّرُهم بالـجَنّةِ والرِّضْوانِ والفَوزِ العظيم

وَصَفَ اللهُ الـمؤمنينَ والـمُؤمناتِ بأنهم دعاةٌ إلى اللهِ، يأمرونَ بالـمَعروفِ وينهَونَ عن الُمنكرِ، ووعدَهم بالـجنَّة.

فقالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

• وقالَ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلونَ الـجَنّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى**» قالوا: يا رسولَ الله!

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٧٩١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨١)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه البزار (١٦٩)، من حديث عائشة، والطبراني في الأوسط (٦٢١٩)، من حديث جابر، ورواه الدارمي (٣٤٣)، عن ابن عباس موقوفاً [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٢)].

ومن يأبى؟ قال ﷺ: «**مَن أطَاعَنِي دَخَلَ الـجَنّةَ، ومَنَ عَصَانِي فقَدْ أبَى**»(١).

فإذا كانَ الذي يُطيعُ الدّاعيَ إلى اللهِ له الـجنَّةَ، فما بالُكم بالدّاعيِ إلى اللهِ الذي يَدلُّ النّاسَ على سعادةِ الدُّنيا والآخرة؟!

• ولقد مكثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكَّةَ عشر سنين، يتَّبِعُ الناس في منازِلهم، وفي أسواقِهم، وفي الـمواسمِ بمِنى، يقولُ: «**مَنْ يُؤْوِيني؟ مَنْ يَنصُرني؟ حتَّى أبلِّغَ رسالةَ ربِّي، وَلَهُ الـجَنّة؟**»(٢).

فإذا كانَ الذي يَنصرُ الدّاعيَ إلى اللهِ ويؤويهِ له الـجنةُ، فما بالُكم بالدّاعي إلى الله؟

• والدعوةُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من أحسنِ الأقوالِ والأعمالِ ومن أجلِّ القُرُباتِ إلى الله تعالى.

والدُّعاةُ إلى اللهِ على بصيرةٍ هم أحبابُ الله، هم أولياءُ الله، هم سببٌ للأمنِ والأمان والإيمان، وهم سببٌ لسَعادةِ البَشريَّةِ في الدنيا والآخرة، لأنهم هم الذينَ يَحمِلونَ ميراثَ النُّبوةِ الذي فيه سعادةُ الدُّنيا والآخرة.

• وانطِلاقاً من قولِه ﷺ: «**الدينُ النّصيحَةُ**»(٣).

فهذه رسالةٌ إلى الدُّعاةِ إلى اللهِ فيها تذكيرٌ وتحذير: فأُذكِّرُهم بالرِّفقِ واللِّينِ في الدعوةِ إلى اللهِ، وأحذِّرُهم من الشِّدَّةِ والغِلظةِ.

• وقد جاءَتِ الأدلّةُ في الكتابِ والسُّنةِ تأمرُ الدعاةَ إلى اللهِ بالرِّفق واللينِ وتَنهى عن الشدةِ والغلظة.

---

(١) **صحيح**: البخاري (٧٢٨٠).
(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٢٢)، وابن حبان (٧٠١٢)، والـحاكم (٢/ ٦٨١)، [«الصحيحة» (٦٣)]
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

١ – أمرَ اللهُ تعالى موسى وهارونَ عليهما السّلامُ بتليينِ القولِ لفرعون.

قالَ تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

٢ – أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه الكريم ﷺ بالـمُجادلةِ بالتي هي أحسَنُ.

فقالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وقالَ تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦].

٣– نفورُ النّاسِ عمَّن يكونُ فظّاً غليظاً.

قالَ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ينبغي أن يَقِفَ الدُّعاةُ إلى اللهِ تعالى طويلاً عندَ هذه الآيةِ الكريمةِ، إذا كانَت خشونةُ الكلامِ وغِلظةُ القلوبِ مما يجعلُ النّاسَ يَفِرُّونَ ويَنفِرونَ من أكرمِ الأوّلينَ والآخرينَ على اللهِ تعالى وحبيبِ ربِّ العالـمين ﷺ -إن وُجِدَتا فيه- فكَيفَ بمن عداه إذا كانَ فظّاً غليظَ القلبِ؟

وقد قالَ بعضُ الـمُفسِّرينَ: (ثمرةُ الآيةِ وجوبُ التَّمسُّكِ بمكارمِ الأخلاقِ وخُصوصاً لمن يَدعو إلى اللهِ ويأمرُ بالـمعروفِ)[١].

٤– رسولُنا ﷺ يأمرُ بالرِّفقِ ويَحثُّ عليه.

قالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي عَلَيْهِ مَا لا يُعطي على العُنْفِ**»[٢].

(١) انظر: «تفسير القاسمي» (٤/ ٢٧٩).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٣).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعطِيَ حظَّهُ مِنَ الـخَيْرِ، ومَن حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الـخَيْرِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شيءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلاَّ شَانَهُ**»(٢).

٥- وصيَّتُهُ ﷺ لأصحابِه الذين بعثَهم إلى اليمنِ للدَّعوةِ إلى اللهِ بالتَّيسيرِ والتبشير.

• عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ بعثهُ ومعاذاً إلى اليمنِ فقالَ: «**يَسِّرَا ولاَ تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنفِّرَا، وتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفا**»(٣).

وأُذكِّرُ الدعاةَ إلى اللهِ أن خطبةَ الـجمعةِ هي ذكرٌ لله وتذكيرٌ بالـموت وما بعدَ الـموتِ، وليسَت سَبًا ولا شتماً ولا نشرةً للأخبارِ ولا إثارةً للنّاسِ على ولاةِ الأمر ولا سبباً لتَشجيعِ النّاسِ للخُروجِ إلى الشَّوارعِ في مظاهراتٍ ولا غيرِها.

فاللهُ -عزَّ وجلّ- سمَّى خُطبةَ الـجمعةِ ذِكراً في كتابِه.

فقالَ تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩**﴾ [الـجمعة].

ورسولُ اللهِ ﷺ سمّى خُطبَة الـجُمعة ذِكراً في سُنَّته:

فقالَ ﷺ: «**إِذَا كانَ يومُ الـجُمُعَةِ قَعَدَتِ الـملاَئكةُ على أبوابِ الـمسَاجِد، فَيَكْتُبُونَ مَنْ جاءَ مِنَ النّاسِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ، فَرَجُلٌ قَدَّمَ جَزُورًا، وَرَجُلٌ قَدَّمَ بَقَرَةً، وَرَجُلٌ قَدَّمَ شَاةً، وَرَجُلٌ قَدَّم دَجَاجَةً، ورَجلٌ قَدَّم بَيْضَةً، قَال: فَإِذَا أَذَّنَ**

(١) **صحيح لغيره**: رواه البخاري في الأدب الـمفرد (٤٦٤)، والترمذي (٢٠١٣)، من حديث أبي الدرداء، ورواه أحمد (٦/ ١٥٩)، وأبو يعلى (٤٥٣٠)، من حديث عائشة [«السلسلة الصحيحة» (٥١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

الـمُؤذِنُ وَجَلَسَ الإمامُ عَلَى الـمِنْبَرِ طُوِيَتْ الصُّحُفُ، وَدَخَلُوا الـمَسْجِدَ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[1].

فاتَّقوا اللهَ، يا معشرَ الدُّعاةِ إلى الله! في خُطبِكُم ودعوتِكُم، واعلَموا أن اللهَ سائِلُكم يومَ القيامةِ عن خُطبِكم، واعلَموا أن النّاسَ لن يُغنُوا عنكم من اللهِ شيئاً يومَ القيامة.

قالَ تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية].

عباد الله! ما هي البُشرى التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه بعدَ ذلك؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ٨١)، وأصله عند مسلم (٨٥٠)، من حديث أبي هريرة [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧١١)].

٢٠

(١) تبشيرُه ﷺ للمعتزِّين بالإسلامِ بسعادةِ الدنيا والآخرةِ

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

ويقولُ سبحانَه لرسولِه ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مَع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعِظاتٌ وعِبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُعتزِّينَ بالإسلامِ، بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

العِزُّ خِلافُ الذُّلِّ، والعِزُّ والذُّلُّ بيدِ اللهِ وحدَه.

قالَ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران].

والناسُ قديماً وحديثاً يحرِصونَ على طلبِ العزةِ وهي الشَّرفُ والرِّفعةُ والغَلَبةُ

والـمَنَعَةُ، ولكنَّهم اختلفوا في طريقةِ الوصولِ إليها:

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].

• فالكفارُ رَأَوْا أنَّ عزَّتَهم في اتخاذِهْم آلهةً غيرَ اللهِ من أوثانٍ وأشخاصٍ وأموالٍ ومناصبَ.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم].

وقالَ تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان].

فالكُفّارُ طلَبوا العِزَّةَ من آلهتِهمْ، فأذلَّهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة].

وقالَ تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ

تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج].

وقالَ تعالى مُوَبِّخًا للكافرِ الذي اعتزَّ بغيرِ اللهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان].

• والـمنافقونَ مَرْضى القلوبِ طلَبوا العزةَ بمُوالاتهمْ للكفارِ.

• قالَ تعالى في وصفِ الـمُنافِقينَ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ -أي: أهلُ النِّفاقِ- ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ -أي: في موالاةِ الكفّارِ من اليهودِ والنَّصارى- ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

• واللهُ عزَّ وجلَّ أخبرَنا أن الـمنافقينَ بطلبهِمُ العِزَّةَ في موالاةِ الكفارِ، خَسِروا الدُّنيا والآخرةَ، وذلك هو الـخسرانُ الـمبينُ.

فقالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

• وهذا عبدُاللهِ بنُ أُبيِّ بن سَلول زعيمُ الـمنافقينَ عندَما ابتغى العِزَّةَ بموالاتِه لكفارِ مكةَ، فأذلَّهُ اللهُ.

في غزوةِ بني الـمُصْطَلقِ قالَ عبدُاللهِ بنُ سلولٍ: (لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الـمدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلُّ)[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٠١)، ومسلم (٢٧٧٢).

يعني -لعنه اللهُ- بالأعزِّ نفسَهُ، وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ ولما قفَلَ الناسُ راجعينَ إلى الـمدينةِ، وقفَ الصَّحابيُّ الـجليلُ عبدُالله بنُ عبدالله بن سلولٍ رضي الله عنه على باب الـمدينة واستلَّ سيفَهُ، فجعلَ الناسُ يَمُرُّونَ عليه، فلما جاءَ أبوهُ عبدُالله بنُ أُبيٍّ بنِ سَلولٍ قال له ابنُهُ: وراءَك! فقالَ: مالك؟ ويلَك!

فقال له ابنُهُ: واللهِ! لا تجوزُ مِنْ هاهنا -أي: لا تمرُّ- حتى يأذنَ لك رسولُ اللهِ ﷺ، فإنّه ﷺ العزيزُ وأنتَ الذَّليلُ. وفي لفظ قال له: واللهِ! لا تدخلُ الـمدينةَ أبدًا حتى تقولَ: رسولُ الله ﷺ الأعزُّ وأنا الأَذَلُّ.

فلما جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ -وكان إنما يَسيرُ ساقةً(١)- فشكا إليه عبدُالله بن أبيٍّ بن سلولٍ ابنَهُ، فقال ابنُهُ عبدُالله رضي الله عنه: واللهِ! يا رسول اللهِ! لا يدخُلها حتى تأذَن له. فأذنَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ.

فقالَ له ابنُهُ: أَمَا إذْ أذنَ لكَ رسولُ اللهِ ﷺ فجُزِ الآن)(٢).

• أمَّا الـمؤمنونَ الصّادِقونَ الـموَحِّدونَ الذين رَضُوا باللهِ ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولاً، عَلِموا وأيقنوا أنَّ العزةَ كُلَّها للهِ وبيدِ اللهِ، يُعطيها من يشاءُ من عبادهِ، فطلبوها منَ اللهِ وحدَه.

قالَ تعالى: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥].

وقالَ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠].

وقالَ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران].

---

(١) ساقةً: أي خلف الـجيش يسوقه.

(٢) انظر: «ابن كثير» (٤/ ٤٩٢) عن محمد بن إسحاق.

كيفَ لا؟

واللهُ عزَّ وجلَّ هُوَ العزيزُ، فالعزيزُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ -عزَّ وجلّ- واسمٌ من أسمائِهِ الحسنى.

قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

- **عِزّةٌ مقترنةٌ بالحكمةِ**

قالَ تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

- **عِزّةٌ مقترنةٌ بالرَّحمةِ**

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

- **عِزّةٌ مقترنةٌ بالقوةِ**

قالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وقالَ تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

• **عِزَّةٌ مقترنةٌ بالإنتقامِ**

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم].

• **عِزّةٌ مقترنةٌ بالمغفرةِ**

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

وقالَ تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ [غافر].

• **عِزّةٌ مقترنةٌ بالحمدِ**

قالَ تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ].

وقالَ تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

فالعِزَّةُ للمؤمنِينَ وإن قُتِلُوا وحُرِّقُوا بأيدي الكافرين، والذِّلَّةُ للكافِرينَ وإن فَرِحُوا بقَتلِ وتحريقِ المؤمِنين.

• ففي غزوةِ أُحدٍ قَتلَ الكفّارُ سَبعينَ صحابيًّا من خيرةِ الصَّحابةِ، ووقَفوا

شامِتينَ في الـمسلمِينَ، يقولُ زعيمُهم أبو سفيان: أُعْلُ هُبَلْ! فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «**أَجِيبُوهُ**» قالوا: ماذا نقولُ يا رسول الله!؟ قال: قولوا: «**اللهُ أَعْلَى وأَجَلُّ**».
قال أبو سفيان: لَنا العُزَّى ولا عُزّى لكم. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**» فقالُوا: مَاذَا نقولُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**» قالَ أبو سفيان: يومٌ بيومِ بدرٍ والـحربُ سِجَالٌ.

قالَ عمرُ: (لا سواءٌ! قتلانا في الـجنةِ وقتلاكم في النّارِ)[1].

وَفي غزوةِ الأحزابِ أذلَّ اللهُ الكافرينَ، وأعزَّ اللهُ الـمؤمنين.

قالَ تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ [الأحزاب:٩].

وقالَ تعالى: ﴿ **وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾** ﴾ [الأحزاب].

وفي فتحِ مكَّةَ، دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ بعشرةِ آلافِ مقاتلٍ ففتحَها بغيرِ قتالٍ، وأخذَ النَّبيُّ ﷺ بعصاهُ يكسرُ الآلهةَ الـمزعومةَ التي اعتزَّ بها الكفارُ، وهو يقول ﷺ:

﴿ **وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾** ﴾ [الإسراء].

﴿ **قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾** ﴾ [سبأ].

نعَم واللهِ! ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾** ﴾ [الـمنافقون].

• واعتزَّ سلفُنا الصّالـحُ؛ الصَّحابةُ رضي الله عنهم ومَنْ تبِعَهُم بإحسانٍ بالإسلام، فأعزهمُ اللهُ بالإسلامِ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٣٩).

الـمثالُ الأول: عن طارقِ بنِ شهابٍ قال:

«خرجَ عمرُ بنُ الـخطابِ إلى الشّامِ وَمَعَنا أبو عُبيدةَ بنُ الـجرّاحِ، فأَتَوْا على مَخاضَةٍ، وعمرُ على ناقةٍ لهُ، فنزلَ عَنْهَا، وخلعَ خُفَّيْهِ فوَضَعْهُمَا على عَاتِقِهِ، وأخذَ بزِمَامِ ناقتِهِ فخاضَ بِهَا الـمخَاضَةَ، فقالَ أبو عُبيدةَ: يا أميرَ الـمؤمنينَ! أأنتَ تفْعَلُ هَذَا؟! ما يسرُّني أنَّ أهلَ البلدِ اسْتَشْرَفُوكَ[1]!

فقالَ عمُر: أَوَّهْ! لو يَقُلْ ذا غيرُكَ أبا عُبيدةَ! جعلْتُهُ نَكَالاً لأُمَّةِ محمدٍ ﷺ! إنّا كُنّا أذلَّ قومٍ، فأعَزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ العِزَّ بغيرِ ما أعَزَّنا اللهُ به، أذلَّنَا اللهُ».

وفي روايةٍ لَهُ:

«يا أميرَ الـمؤمنينَ! تَلْقاكَ الـجنودُ وبطَارِقَةُ الشّام وأنتَ على حَالِكَ هذهِ؟ فقال عُمرُ: إنَّا قَوْمٌ أعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فلَنْ نَبْتَغيَ العِزَّ بغَيْرِهِ»[2].

الـمثال الثاني: عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: غابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قتالِ بدرٍ فقال: يا رسولَ اللهِ! غِبتُ عَنْ أوّلِ قِتَالٍ قاتلتَ الـمشركينَ، لَئِنْ أشهدَنِي اللهُ قتالَ الـمشركينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ، فلَـمّا كانَ يومُ أُحُدٍ انكشفَ الـمسلمونَ فقال: اللهمَّ إنِّي أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ -يعني أصحابَه-، وأبرأُ إليكَ ممّا صَنَعَ هؤلاءِ -يعني الـمشركين-، ثُمَّ تقدَّمَ فاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ، فقال: يَا سعدَ بنَ معاذٍ، الـجنّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ ريحَها من دونِ أُحُد.

فقالَ سعدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يا رسولَ اللهِ! مَا صَنَعَ؟ قال أنسٌ: فوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وثمانينَ ضربةً بالسيفِ، أو طعنةً برمحٍ، أو رَمْيةً بسهمٍ. ووجدْناهُ قد قُتلَ، ومثَّلَ به الـمشركونَ، فما عرفهُ أحدٌ إلاّ أُختُهُ بِبَنَانِهِ -أصْبَعِه-.

---

(١) استشرفوك: أي رأوك على هذا الـحال وأنت أمير الـمؤمنين.

(٢) رواه الـحاكم في الـمستدرك (١٩٥)، والدينوري في الـمجالسة (٤١٨).

قالَ أنسٌ: كنا نرى أو نَظُنُّ أنّ هذه الآية نزلَتْ فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب][1].

المثال الثالث: عن أبي هريرة ﵁ قال: «بَعثَ النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابت، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَان بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَتبعُوهُمْ بقَرِيب مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلاً نَزلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الـمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَتبعُوا آثارَهُمْ حتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَـمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ -رَابِيةٍ مُشْرِفَةٍ- وَجَاءَ القَوْمُ فأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمُ العَهْدُ وَالـمِيثَاقُ، إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَلاَّ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فقاتَلُوهم حتَّى قَتلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ، ورَجُلٌ آخرُ، فأَعْطُوهُم العَهْدَ وَالـمِيثَاقَ، فلَـمَّا أَعْطُوهُمُ العهدَ والـميثاقَ، نزلوا إليهم، فَلَـمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ، حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا،

فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الذي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الـحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ الذي قَتَلَ الـحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّى إذا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسَى من بعض بَنَاتِ الـحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، قالت: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيهِ -أي فَمَشَى إِلَيْهِ- حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ على فَخِذِهِ، فلَـمَّا رأيتُهُ فَزِعْت فَزْعَةً عَرَفَ ذَلِكَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

مِني وفي يَدِهِ الـموسى، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ -إن شاء الله تعالَى-، وكَانتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالـحديد، وما كانَ إلاَّ رِزْقٌ رَزَقَهُ الله، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الـحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ: دَعُوني أُصلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِم فقال: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الـمَوْتِ لَزِدْتُ، فكَانَ أول مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هُوَ.

ثم قال: اللهمَّ أَحْصِهِمْ[1] عَدَدًا، ثم قال:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ في اللهِ مَصْرَعِي
وذَلِكَ في ذَاتِ الإِلَهِ وإِنْ يَشأْ ... يُبَارِك عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

ثم قام إليهِ عُقْبَةُ بنُ الـحارثِ فَقَتَلَهُ[3].

فالـمُسلِمُ عزيزٌ بإسلامه وإن قَتَلَهُ الكفارُ، والكافرُ ذليلٌ بكفرهِ وإن تحكَّمَ في رقابِ الـمسلمين. فاحرص يا عبدَ الله على أن تموت على الإسلام الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ، ولا تُبالِ حينَ تُقتَلُ مسلماً بأي طريقةٍ تُقْتَلُ، وفي أيِّ مكانٍ تُرمى.

أمة الإسلام! لقد أعزَّنا اللهُ بالإسلام، فلا عِزَّةَ لنا إلا بهِ، فمن اعتَزَّ بغيرِ الإسلامِ ذلَّ. والـمُعْتَزُّونَ بالإسلام يُبَشِّرُهُمْ ربُّهُمْ في كتابهِ ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: يُبَشِّرُهم بمحبةِ اللهِ لهم ونصرِه، وأنهم حزبُ اللهِ الغالبون

• قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) أحْصِهِمْ عدداً: أي أهْلِكْهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً.
(٢) على أوصال شِلوٍ مُمَزَّع: أي على أعضاءِ جسدٍ مُقَطَّع.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤٥).

﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

• وقالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاَّ أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ**»(١).

• وكانَ ﷺ يقولُ: «**لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَه، أعَزَّ جُندَهُ، ونَصَرَ عَبدَهُ، وغَلَبَ الأحزابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ**»(٢).

ثانياً: يُبَشِّرهُم بالجنَةِ والفوزِ العظيم

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

• وقال أُبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه: (انتسبَ رجلان على عهدِ رسولِ الله ﷺ أي كُلُّ منهما ذكر نَسَبَهُ، فقال أَحدُهما: أنا فلانٌ ابنُ فلان، فمَنْ أنتَ لا أمَّ لك؟ فقال ﷺ: «**انْتَسَبَ رَجُلانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام، فقالَ أحدُهما: أنا فلانُ ابنُ فلانٍ -حتّى عَدَّ تسعَةً- فمن أنتَ لا أمَّ لك؟**

قال: أنا فلانُ ابنُ فلانٍ، ابنُ الإسلام. قال: فأَوْحَى اللهُ إلى موسى عليه السلام أنْ قلْ لهذَينِ الـمُنْتَسِبَيْنِ: أَمَّا أنتَ أيُّها الـمُنْتَمي أوْ الـمُنْتَسِبُ إلى تسعةٍ في النّارِ فأنْتَ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥/ ٤٥٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٥١)، والحاكم (٨٤٤٢)، [«الصحيحة» (٣)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).

عَاشِرُهم، وَأمَّا أنْتَ يا هَذَا الـمنْتَسِبُ إِلَى اثْنَين في الـجَنَّةِ فأَنْتَ ثَالِثُهما في الـجَنّةِ»(١).

• فيا أيها الـمسلمَ! إذا اعتزَّ الناسُ بأنسابِهم وأحسابِهمْ، فاعتزَّ أنتَ بإسلامِك.

قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

أبي الإسـلامُ لاَ أبَ لِي سِـواهُ ... إِذَا اعْـتَـزُوا بـقَـيْـسٍ أو تميمِ

• فهذه الأنسابُ كلُّها وإن اعتزّ بها أصحابُها في هذه الدُّنيا، فلا تُغني عنهم شيئاً يوم القيامةِ.

قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الـمؤمنون].

وماذا تفعلُ القُرابةُ والأنسابُ لأصحابِها يومَ القيامةِ؟ واللهُ سبحانَه يقولُ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

ويقولُ سبحانه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الـمعارج].

عبادَ اللهِ! عِزّتُنا، شَرفُنا، كرامتُنا في دينِنا، فعلى الأمَّةِ الإسلاميَّةِ حُكّاماً ومحكومينَ أن يَعودوا إلى الإسلام.

فما هو السَّبيلُ إلى العزِّ والتَّمكينِ؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ –إن شاءَ اللهُ تعالى– إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

---

(١) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الـمسند» (٥/ ١٢٨)، وعبد بن حميد (١/ ٩٢)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٤)، [«صحيح الـجامع» (١٢٧٠)].

٢١

(٢) تبشيرُه ﷺ للمعتزين بالإسلام بسعادة الدنيا والآخرة
السبيلُ إلى العزِّ والنصرِ والتمكين

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابه: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءِ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمَرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **السَّبيلُ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ**

عبادَ اللهِ! قُلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إنَّ الناسَ قديماً وحديثاً يَحرِصُونَ على العزَّةِ -وهي الشَّرفُ والرِّفعةُ والغَلَبةُ والمنَعةُ- ولكن اختلفوا في طريقةِ الوصول إليها.

• فالكفّارُ رأَوْا أنّ عِزَّتَهم في اتخاذِهِمْ آلهةً غيرَ اللهِ، فأذلَّهُمُ اللهُ.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم].

• والـمنافقون رَأوْا أنّ عزَّتَهم في موالاتِهم للكُفّارِ، فأذلَّهُمُ اللهُ.

قالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء].

• وأمّا الـمؤمنونَ الصادقونَ فقد عَلِموا وأيقَنوا أنّ العزَّةَ للهِ وحدهُ.

قالَ تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر:١٠]. فطلبوها مِنَ الله وحدَه، فأعزهم الله.

قالَ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الـمنافقون].

وضَربَ الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه للأمّةِ أروعَ الأمثلةِ في الاعتزازِ بالإسلامِ فقط فقال: «إنّا كُنّا أذلَّ قومٍ، فأعَزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ العِزَّ بغيرِ ما أعَزَّنا اللهُ به، أذلّنَا اللهُ»(١).

واللهُ عزَّ وجلَّ وعدَ عبادَهُ الـمؤمنينَ الصّادقينَ الذين طَلَبوا العزةَ منه بالإسلامِ أن يُعِزَّهُمْ وينصرَهُمْ ويُمكّنَهُم في الأرضَ.

قالَ تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور:٥٥].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر].

(١) رواه الـحاكم في «الـمستدرك» (٢٠٧)، والدينوري في الـمجالسة (٤١٨).

وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقالَ ﷺ: «**بَشِّرْ هذه الأمّةَ بالسَّناء، والدِّين، والرِّفْعَةِ، والنَصْرِ، وَالتَّمْكِينِ في الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ**» -أي: ضمَّ ليَ الأرضَ- «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(٢).

• واللهُ -عزَّ وجلّ- إذا وعدَ لا يُخْلِفُ وعدَهُ.

قالَ تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

أيها المسلمون! الأمةُ الإسلاميةُ اليومَ تمرُّ بحالاتٍ أخبَر عنها رسولُ الله ﷺ، فوصلَتْ إلى ما وصلَتْ إليه منَ الذُّلِّ والضَّعفِ والتَّفرُّقِ الذي لا يخفى على أحدٍ.

الحالة الأولى: حالةُ الوَهْنِ «حبُّ الدُّنْيَا وكَرَاهِيَةُ المَوتِ»

• عن ثوبانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الأُمَمُ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصعتِهَا**» فقال قائلٌ: أَوَمِن قلةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، والحاكم (٧٨٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٥-٢٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣١٨)، واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣)]

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٩).

«بَلْ أَنْتُمْ يومَئذٍ كثيرٌ؛ ولَكنكم غُثاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، ولينزِعَنَّ اللهُ من صُدورِ عدوِّكم الـمهابةَ مِنكُمْ، وَلَيَقذفَنَّ اللهُ في قُلُوبكُم الوَهنَ». قالوا: يا رسولَ اللهِ! وما الوَهْنُ؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الـموتِ**»(١).

• وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينةِ، وأخذتُمْ أذنابَ البقرِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرْعِ، وتَرَكْتُم الـجِهَادَ**» -وهذا كنايةٌ عَنْ حُبِّ الدُّنيا وكراهيةِ الـموتِ كما جاءَ في الـحديثِ الأولِ- «**سَلَّطَ اللهُ عليكم ذُلاًّ لاَ يَنْزِعهُ حتّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

• وهذا ظاهرٌ جداً في الأمةِ اليومَ، فالذين يَخرجونَ في مظاهراتٍ لا يَطلبونَ إلا الدُّنيا، والأطباءُ الذين يعتصمونَ ويمتنعونَ عنِ العملِ ويتركونَ الـمرضى يموتُونَ لا يُريدونَ إلاّ الدُّنيا، والـمُعلِّمونَ الذين يُضرِبونَ عن التَّدريسِ ويَتركونَ الطلابَ بدونِ تعليم لا يُريدونَ إلا الدّنيا.

الـحالةُ الثانيةُ: حالةُ الدَّخَنِ «انحرافٌ عنِ السُّنَّةِ، وفَسَادٌ في القلوبِ»

• يقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَجَاء اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِن شَرٌّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ!**»، قُلْتُ: وهَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: «**نَعَمْ! وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»،

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي (٩٩٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٣٤)، واللفظ لأبي داود [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨)]

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في السنن (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٩)].

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ! دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(١).

• وهذا ظاهرٌ في الأمةِ اليوم، بُعدٌ عن السنةِ، وفسادٌ في القلوب إلاَّ مَنْ رَحِمَ ربي.

الحالةُ الثالثةُ: حالةُ الفوضى «جاهلٌ يُفتي، ورُوَيبِضَةٌ يتكَلَّمُ»

• قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(٣).

• وهذا ظاهرٌ في الأمةِ اليومَ، فَمَنِ الذي يُفتي للشَّبابِ بالخُروجِ إلى الشارعِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥١٢)، من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد (٣/ ٢٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٣٩)، من حديث أنس، والبزار (٢٧٤٠)، من حديث عوف بن مالك، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

في مظاهراتٍ، ويُخْبِرُهُمْ أنَّ مَنْ ماتَ منهم ماتَ شهيداً؟! وَمَن الذي يتكلَّمُ في الـمسائلِ الكبارِ للأمةِ اليومَ؟!

أمة الإسلام! العِزَّةُ بيدِ اللهِ وحدَهُ، واللهُ -عزَّ وجلّ- وعدَ الـمؤمنينَ بالعِزَّةِ والنَّصرِ والتَّمكين، واللهُ -عزّ وجلّ- لا يُخْلِفُ وعدهُ، والأمةُ الإسلاميةُ اليوم أصابَها الوَهْنُ: (وهو حبُّ الدنيا وكراهيةُ الـموت)، وحَلَّ بها الدَّخَنُ (وهو الانحرافُ عن السُّنةِ وفسادُ القلوبِ)، وانتشرَتْ فيها الفَوضى: (جاهلٌ يُفتي، ورويبضةٌ يتكلمُ).

فما السبيلُ إلى العِزِّ والنصرِ والتمكين؟؟

• هل العِزُّ والنَّصرُ والتمكينُ يكونُ بالـمُظاهراتِ السِّلميَّةِ (زعموا) التي تَبدأُ بالـمُطالبةِ بالإصلاحِ وتنتهي بالـمطالبةِ بإسقاطِ النِّظام؟!

• هل العِزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ يكونُ بتخريجِ الشَّبابِ الـمتَحمِّس من جامعةِ (الفيس بوك) اليَهوديَّةِ إلى الشَّوارعِ لِتَخريبِ بلادِهِمْ؟!

• هل العِزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ يكونُ بالـخروجِ على ولاةِ الأمرِ، وفضحِهِمْ على رؤوسِ الأشهادِ؟!

• هل العِزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ يكونُ بالاعتداءِ على رجالِ الأمنِ الذين يحفظونَ الأمنَ والأمانَ في البلادِ؟!

العِزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ لا يمكنُ أن يتحقق أبداً إلا بشَرطينِ اثنَين:

الشرطُ الأولُ: الإعدادُ الإيمانيُّ

وذلك لأنّ اللهَ -تبارك وتعالى- قَدْ رَهَنَ النَّصر بأهلِه.

فقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم].

وقـالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد].

وقالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥].

فالنَّصرُ مرهونٌ بأهلِه، فإذا قالَ قائلٌ: أينَ العِزُّ والنَّصرُ والتَّمكينُ الذي وعدَ اللهُ به؟

قُلنا له: أين الـمؤمنونَ الذي يَستحِقونَ العِزَّ والنَّصرَ والتَّمكين؟!

فاللهُ –عزَّ وجلّ– يقولُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

وقـالَ تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

الشرط الثاني: الإعدادُ الماديُّ

قالَ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

والعُدَّةُ الإيمانيةُ هي تقوى الله

لقد جَعلَ اللهُ العاقبةَ الـحُسْنَى والعزَّ والنَّصرَ لأهلِ التَّقوى.

قالَ تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه].

وقالَ تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المائدة:١٢].

فبان لذي عينَينِ أنّ اللهَ -عزَّ وجلّ- ناصرٌ هذه الأمة، لكنَّ النَّصرَ لا يكونُ إلا لأهلِهِ، ليسَ بالأمانيِّ والتخيُّلاتِ التي يُلْهِبُ بها الـحَرَكِيّونَ والـحِزْبيُّونَ مشاعرَ الناسِ.

قالَ تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء].

ففي الآيةِ الكريمةِ دليلٌ على أنَّ ولايةَ اللهِ ونصرَهُ يُرْفَعانِ عن أهلِ السُّوءِ والـمعاصي؛ وذلك لأنَّ عدوَّ الـمسلمينَ لا يَنتصِرُ عليهم بقوّتِهِ، وإنما يَنتصِرُ عليهم حينَ يترُكُهم ربُّهم، ويَكِلُهُمْ إلى أنفُسِهم، فهنالك تكون الغلَبَةُ لِمَن غَلَبَ.

* العُدَّةُ الإيمانيةُ التي هي تقوى اللهِ يُشتَرَطُ فيها شرطان:

الشرطُ الأولُ: توحيدُ الله -عَزَّ وجلّ- الخالي من الشركِ.

الشرطُ الثاني: متابَعَةُ الرسولِ ﷺ الخاليةُ من الابتداعِ

وقد جمَعَ اللهُ عزَّ وجلّ بين هذَينِ الشَّرطينِ في آيةٍ واحدةٍ من آياتِ الـجهادِ، ألا وهي قولُهُ تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال].

أيْ: أنَّ اللهَ معكَ ومُؤَيِّدُكَ وناصِرُكَ، وَوَلِيُّكَ، وهو أيضاً مع الـمؤمنينَ الذين حَقَّقُوا هذين الشَّرطَينِ: التوحيدُ، والـمتابَعَةُ.

والتوحيدُ، والـمتابعَةُ هما الدِّينُ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ من عندِ ربِّهِ (لا إلهَ إلا اللهُ، محمدٌ رسولُ اللهِ).

فإذا حقَّقَ الـمؤمنونَ اليومَ هذَين الشَّرطين -أي رجَعوا إلى دينِهم الـحقِّ- ونَصَروا اللهَ في أنفسِهِم، كانَ حقّاً على اللهِ أن يُعِزَّهُمْ ويَنْصُرَهُمْ ويمكِّنَ لهم في الأَرْضِ.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧].

وقالَ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم].

وهذا وعدٌ من اللهِ، واللهُ لا يُخْلِفُ وعدَه، قالَ تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم].

• وقد أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العِزّةَ والنَّصرَ والتَّمكينَ والظهورَ لا يكونُ إلا للمُؤمنينَ الـمُتمسِّكينَ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ.

قالَ ﷺ: «**لا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرينَ عَلَى الـحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كذلك**»[1].

وقالَ ﷺ: «**لاَ تَزالُ طَائفةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ خُذْلاَنُ مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى تقُومَ السّاعةُ**»[2].

إن الذي جعلَ هذه الطّائفةَ منصورةً هو تمسُّكُهم بالسُّنةِ بعدَ توحيدِهم للهِ عزَّ وجلَّ، فلا يقولنَّ حِزبيٌّ أو حَرَكِيٌّ: مهما كانَ فينا من عيوب؛ فإنَّ أعداءَنا كُفارٌ وظَلَمةٌ ومُعانِدونَ ومُستكبِرونَ عن الـحقِّ، فنحن إذن الـمُستحقُّون للنَّصر!

نقولُ له: ها همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ صفوةُ هذه الأمةِ وأفضلُها، نزلَ بهم ما نزلَ من الهزيمةِ بسببِ مخالفةٍ واحدةٍ من بعضِ الرُّماةِ لأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ.

• ففي غزوةِ أُحدٍ، أمرَ رسولُ الله ﷺ الرُّماةَ أن لا يُغادروا أَماكِنَهُمْ، فقال

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٠)، وفي الباب عن الـمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦)، وأحمد (٣/ ٤٣٦)، أبو يعلى (٦٤١٧)، وابن حبان (٦١)، واللفظ له [«السلسلة الصحيحة» (٤٠٣)].

لهم: «**لاَ تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِم**» -أي انتصرنا عليهم- «**فَلا تَبرَحُوا، وإنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَينا فلا تُعِينُونَا**»[1].

وفي رواية: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنا الطَّيْرُ**» -أي انهزمنا هزيمةً نكراءَ- «**فَلاَ تَبْرَحُوا مِن مَكَانِكُمْ**».

فلما رأى الرُّمَاةُ أن الـمسلمينَ انتصروا، تركَ بعضُ الرُّماةِ أماكنَهم التي أمرَهم الرَّسولُ ﷺ ألا يتركوها - وذهبوا ليُصيبوا من الغنائم، وخالفوا أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، فتحوَّلَ النَّصرُ إلى هزيمةٍ، وقُتلَ سبعونَ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ. فلما تَعجَّبَ الصَّحابةُ مما نَزَلَ بهم، وهم على الـحقِّ وعدُوُّهم الكافرُ على الباطلِ، ورسولُ اللهِ ﷺ بينَ أظهرِهم، واشتدَّ عليهم ذلك أنزلَ اللهُ على رسولِهِ ﷺ أن ما أصابَهم كانَ بسببِ مخالفتِهم لأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قالَ تعالى: ﴿**أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥**﴾ [آل عمران].

فيا من تَتطلَّعونَ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ، وأكثرُكم يعصونَ رسولَ اللهِ ﷺ ويُخالفونَ أمرَه، فها هي مخالفةٌ واحدةٌ من الرُّماةِ في غزوةِ أحدٍ حَوَّلَتِ النَّصرَ إلى هزيمةٍ. فهل من مُدّكر؟....... فهل من مُعتبرٍ؟

• وكان ﷺ يهتمُّ بأمرِ التَّوحيدِ حتى في الـجهادِ؛ ففي غزوةِ حُنينٍ، والنَّبيُّ ﷺ في طريقهِ إلى حُنينٍ بالـجيشِ، وكان فيهم رجالٌ حديثو عهدٍ بالإسلام، فرأَوا أن الـمشركِينَ يُعلِّقونَ أسلحتَهم بشجرةٍ يُقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ، يطلبون منها البركة -كما يفعلُ كثيرٌ من جُهَّالِ الـمسلمِينَ اليومَ الذين يَستعينونَ بالأولياءِ والصّالـحينَ قبلَ دخولِ الـمعركة-.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٣٩، ٤٠٤٣).

فقالَ هؤلاء الذين كانوا حديثي عهدٍ بالـجاهليَّةِ والشِّركِ: يا رسولَ الله! اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ. فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اللهُ أكبرُ**» وفي روايةٍ: «**سُبحانَ الله!**»، «**إنها السُّنَنُ، لَقَدْ قُلتم والذِي نَفْسي بِيَدِهِ كَمَا قالَ قَومُ مُوسى لِمُوسى**: ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ**﴾[1] [الأعراف:١٣٨]».

فتأمَّلوا عبادَ الله! هذا الـحديثَ ما أعظمَهُ! لم يَسكُت النَّبيُّ ﷺ عن مخالفةٍ واحدةٍ في التَّوحيدِ وهو في الـجهادِ في سبيلِ الله، لتَعلَموا يا أمةَ الإسلام! أن السَّبيل إلى العِزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ لا يكونُ أبداً إلا إذا عادَتِ الأمّة إلى التَّوحيدِ الـخالي من الشرك، وإلى الـمتابعة الكاملة للنبي ﷺ الـخالية من الابتداع. عندها فقط تكون الأمّةُ قد حققت الشرط الأولَ من شروط العزِّ والنصرِ والتمكينِ. وعادت إلى دينها استجابةً لقوله ﷺ: «**حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ**».

ومن الأمثلة على ذلك:

في غزوةِ مؤتةَ كانَ عددُ جيشِ الـمُسلِمينَ ثلاثةَ آلافِ مقاتلٍ فقط، ولما وصلتهُمُ الأخبارُ بأن عددَ جيشِ الرُّوم يبلغُ مئتي ألفِ مقاتلٍ تردَّدوا في دخولِ الـمعركةِ. فقامَ عبدُالله بنُ رواحةَ رضي الله عنه وكانَ من قُوَّادِ الـجيشِ الثّلاثةِ خطيباً في الـجيشِ فقال:

(يا قومُ! واللهِ إنَّ التي تكرهونَ للَّتي خَرجتُم تَطلبونَ: الشَّهادةَ، وإنا ما نُقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، ما نُقاتِلُهم إلا بهذا الدِّينِ الذي أكرمَنا اللهُ به، فانطلِقوا، فإنما هي إحدَى الـحُسْنَيَيْنِ: إما ظَفرٌ -أي نصرٌ- وإما شهادةٌ) فقالَ الناسُ: (صَدَق واللهِ ابنُ رواحةَ)، ثم تَشجَّعوا نحوَ العَدوِّ[2].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، والطيالسي(١٣٤٦)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن حبان (٦٧٠٢)، واللفظ له [«ظلال الـجنة» (٧٦)].

(٢) «زاد الـمعاد» (٣/ ٣٨٢)، «مختصر سيرة ابن هشام» (ص٢١٥).

ولما وصلَ الـجيشُ إلى مؤتةَ وعسكَروا هناكَ، وتَجهَّزوا للقتالِ في ثلاثةِ آلافِ مُقاتلٍ، وَصَلَ جيشُ الرُّومِ في مئتي ألفِ مقاتلٍ.

• يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه (وهو ممَّن أسلَموا بعدَ صُلحِ الـحُدَيبيةِ وكانَت مؤتةُ أولَ غزوةٍ يَحضرُها): [شَهِدْتُ مؤتةَ، فلما دنا الـمُشركونَ -أي الرُّومُ- رأيتُ ما لا قِبَلَ لأحدٍ به؛ رأيتُ عدداً وعُدّةً، وسلاحاً وخيلاً وديباجاً وحريراً وذهباً، فبرقَ بصري.

فقالَ لي ثابتُ بنُ أرقم: (يا أبا هريرة! كأنَّكَ ترى جموعاً كثيرةً. قال: (إي والله!). فقال له ثابت: (إنك لم تَشهَد معَنا بدراً، إنّا لا نُنْصَرُ بالكَثرةِ)[1].

وصَدقَ واللهِ ثابتٌ، فإنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣].

ولما أُعجِبَ الـمُسلمونَ بكثرتِهم في غزوةِ حُنينٍ نزلَ بهم ما نزلَ من الهزيمةِ في أولِ الأمرِ.

قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].

لتعلَموا يا أمةَ الإسلامِ أن السَّبيلَ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ لا يكونُ بالغُثاءِ -وهي الكثرةُ التي لا وزنَ لها عندَ اللهِ- كما قالَ ﷺ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**»[2].

(١) انظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٤٤)، وعزاه للبيهقي.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي (٩٩٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٣٤)، واللفظ لأبي داود، [«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨)].

أما الشَّرطُ الثّاني للعزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ فهو: العُدّةُ الماديةُ.

والعُدّةُ الـماديَّةُ تَنقسمُ إلى قسمَين:

القسمُ الأولُ: العُدَّةُ العسكريّةُ.

القسمُ الثاني: العُدَّةُ البشريّةُ

من تمامِ التَّوكُّلِ على اللهِ أن نأخُذَ بالأسبابِ الـماديةِ التي أمرنا اللهُ بها، فإن اللهَ أخبرَنا في كتابِه أنّ النَّصرَ من عندِ اللهِ، وأن الذي يَنصرُ هو اللهُ، ومعَ ذلكَ أمرَنا أن نأخذَ بأسبابِ النَّصرِ.

• **أما بالنسبة للعُدّةِ العسكرية**

قالَ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:٦٠].

وَيُبَيِّنُ لنا رسولُ اللهِ ﷺ معنى القُوَّةِ الـمذكورةِ في الآيةِ فيقول: «**ألاَ إنَّ القُوةَ الرّميُ، ألاَ إنَّ القوةَ الرّميُ**»[(١)].

فعلى الـمُسلمينَ: حُكّاماً ومَحكومينَ الذين يَتطلَّعونَ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ أن يَستعِدُّوا بكلِّ ما يَملِكونَ من قوَّةٍ من الأسلحةِ الـمُتقدِّمةِ ليُرهِبوا بها أعداءَ اللهِ.

• **وأما بالنسبة للعُدّةِ البشرية**

وضابطُ العُدَّةِ البشريةِ أن يكونَ عددُ الـمُقاتلينَ الكفّارِ على الضِّعفِ من عَدَدِ الـمُقاتلِينَ المُسلمينَ -أي أن يُقابلَ الـمقاتلُ الـمسلمُ اثنين من الكفارِ- فإذا زادوا -أي العدُوُّ- عن ذلك، لم يجِبْ على الـمُسلمِينَ دخولُ الـمعركةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٧).

وقد كانَ اللهُ أوجبَ عليهم -أي على الـمؤمنِينَ- في أوَّلِ الأمر أن يُقاتِلوا الكفّارَ ولو كانَ عددُهم عشرةَ أضعافِ الـمُؤمنينَ، ثم نُسخَ ذلكَ إلى الضَّعف، قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال].

فكيفَ يأتي اليومَ أقوامٌ اجتمعَ لديهم ألفٌ أو ألفانِ أو عشرةُ آلافٍ بأسلحةٍ خفيفةٍ، لا تُرهِبُ عدوّاً، ولا تهزِمُ جيشاً يُواجهونَ بهم الـملايينَ من جيوشِ الأعداءِ الذين يَملِكونَ أحدثَ الأسلحةِ، ويَعُدُّون من تخَلَّفَ عنهم ضعيفَ الإيمانِ ويَصفونَه بالنِّفاقِ والعَمالةِ والـجُبنِ. وإنا للهِ وإنا إليه راجعونَ.

فالسَّبيلُ يا أمَّةَ الإسلام إلى العِزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ كما تَبيَّنَ لكم من كتابِ ربِّنا وسُنَّةِ نبيِّنا ﷺ لا يكونُ أبداً إلا بتَحقيقِ شرطَينِ اثنَينِ وهما: العُدَّةُ الإيمانيّة، والعُدَّةُ الـماديّة.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم].

ما هي البُشرى التي بشَّرَ بها النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ بعدَ ذلكَ، هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن كانَ في العُمرِ بقيّة-.

٢٢

تبشيره ﷺ للمجاهدين في سبيلِ الله بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلّ- في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ اللهِ؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرة ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُجاهدينَ في سبيلِ اللهِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

قُلنا في خُطبة الـجمعةِ الـماضيةِ: إنّ السَّبيلَ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ لا يَتحقَّقُ إلا بشَرطَين:

الشَّرطُ الأولُ: العُدَّةُ الإيمانيةُ (وهي تقوى الله).

الشَّرطُ الثاني: العُدَّةُ الـماديةُ.

- وقُلنا أيضاً: إنَّ العُدَّة الإيمانيةَ لا تَتحقَّقُ إلا بشَرطَين:

الشَّرطُ الأولُ: التَّوحيدُ للهِ في العبادةِ، الـخالي من كلِّ أنواعِ الشركِ.

الشَّرطُ الثاني: المُتابعةُ للنَّبيِّ ﷺ الـخاليةُ من كلِّ أنواعِ البدعِ.

• وقُلنا أيضاً: إنّ العُدّةَ الـماديةَ تَنقسِمُ إلى قِسمَين:

القسمُ الأول: العُدّةُ العسكريَّةُ

القسمُ الثاني: العُدَّة البشريَّةُ

وبدايةُ السَّبيلِ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ هي: العُدَّة الإيمانيَّةُ -أي: أن تَرجِعَ الأمةُ إلى دينها- لقولِه ﷺ: «**حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينكمْ**».

• فإذا رجَعت الأمةُ إلى دينها أعزَّها اللهُ ونَصرَها.

قالَ تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧**﴾ [محمد].

وقالَ تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ**﴾[الحج:٤٠].

• وإذا رجَعتِ الأمّةُ إلى دينِها جاهَدَتْ في سبيلِ اللهِ.

قالَ ابنُ القيِّمِ رحمَه الله: (ولا يتمُّ الـجهادُ إلاّ بالهِجْرَةِ، ولَا تتمُّ الهجرةُ والـجهادُ إلاّ بالإيمانِ، والرَّاجُونَ رحمةَ اللهِ هم الذين قاموا بهذه الثلاثة.

قالَ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨**﴾[البقرة].

وكما أنَّ الإيمانَ فرضٌ على كُلِّ أحدٍ، ففرضٌ عليه هجرتانِ في كلِّ وقتٍ: هجرةٌ إلى اللهِ -عزَّ وجل- بالتَّوحيدِ، والإخلاصِ، والإنابةِ، والتَّوكُّلِ والـخوفِ، والرَّجاءِ، والمَحبَّةِ، والتَّوبةِ، وهجرةٌ إلى رسولِه ﷺ بالـمُتابعةِ، والانقيادِ لأمرِه، والتَّصديقِ بخبرِه، وتقديمِ أمرِه وخبرِه على أمرِ غيرِه وخبرِه.

«**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِه، فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، ومَن كَانَتْ**

هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصَيبُها أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

أمة الإسلام! الـجهادُ في سبيلِ اللهِ لا يتحقَّقُ إلا برجوعِ الأمةِ إلى دينِها.

الـجهادُ هو ذِرْوَةُ سنام الإسلام قالَ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِه، وَذِرْوَةِ سَنَامه؟**» قال معاذٌ: بلى يا رسولَ الله! قال ﷺ: «**رَأسُ الأَمْرِ الإسلامُ، وَعَمُودُه الصّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِه الـجِهَادُ**»(٢).

قالَ ابنُ القيِّم رحمه الله: (لَـمَّا كان الـجهادُ ذِروةَ سِنام الإسلام وَقُبَّتَهُ، ومنازلُ أهلِه أعلى الـمنازِلِ في الـجنّة، كَمَا لَهُمْ الرِّفْعَةُ في الدنيا، فهمُ الأَعْلَوْنَ في الدنيا والآخرةَ، كانَ رسولُ اللهِ ﷺ في الذِّرْوَةِ العُليا منه، واستولى على أنواعِهِ كُلِّها، فجاهَدَ في اللهِ حَقَّ جهادِهِ: بالقلبِ والـجَنانِ والدَّعوةِ والبيانِ، والسيفِ والسِّنانِ، وكانت ساعاتُهُ موقوفَةً على الـجهادِ، بقلبِه، ولسانِه، ويَدِه، ولهذا كان ﷺ أرفعَ العالـمينَ ذِكراً، وأعظمَهُمْ عندَ الله قَدرًا)(٣).

• وللجهاد مراتبُ:

قالَ ابنُ القيم رحمه الله: (لَـمَّا كانَ جهادُ أعداءِ اللهِ في الـخارجِ فرعًا عن جهادِ العبدِ نفسَهُ في ذاتِ اللهِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**الـمُسلمُ مَنْ سَلِمَ الـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالـمُهاجِرُ مَن هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»(٤).

كانَ جهادُ النفسِ مُقَدَّمًا على جهادِ العَدُوِّ في الـخارجِ، وأصلاً له، فإنّهُ ما لم يُجاهِدْ نفسَهُ أولاً لِتفْعلَ ما أُمِرَتْ بِهِ، وتَتْرُكَ ما نُهِيَتْ عنهُ، ويُحارِبُها في اللهِ،

(١) «زاد الـمعاد» (٣/ ١١)، والـحديث **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) **صحيـح لغـيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

(٣) «زاد الـمعاد» (٣/ ٥).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١٠).

لم يُمْكِنهُ جهادُ عَدُوِّهِ في الـخَارِجِ... فهذان عَدُوّانَ قد امتُحِنَ العبدُ بجهادِهِما، وبينهما عَدُوٌّ ثالثٌ لا يُمْكِنهُ جهادُهُما إلا بجِهادِهِ... فكانَ جهادُهُ هوَ الأصلُ لجهادِهما، وهوَ الشيطانُ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

... فهذه ثلاثةُ أعداءٍ: - الشيطانُ، النفسُ، العدُوُّ الـخارجي- أُمرَ العبدُ بمحاربتِها وجهادِها، وقدْ بُلِيَ بمُحاربتِها في هذه الدّارِ، وسُلِّطَتْ عليه امتحاناً منَ اللهِ وبلاءً.

قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾[محمد:٤].

... وأمَرَهمْ بما هوَ من أعظَمِ العونِ لهم على حربِ عَدُوِّهم، وأخبرَهُم أنهم إن امتثلوا مَا أمَرَهم به، لم يزالوا مَنصورينَ على عَدُوِّه وعَدوِّهم، وأنه إن سَلَّطهُ عليهم، فَلِتَرْكِهم بعضَ ما أُمروا به، ولمعصيَتِهم له، ثمَّ لم يُيَئِّسْهُمْ، ولم يُقَنِّطهُمْ... فأخبرَهم أنهُ معَ الـمتَّقِينَ منهم، ومعَ الـمُحسنِينَ، ومعَ الصّابرِينَ، ومعَ الـمُؤمنِينَ، وأنه يدافعُ عن عبادِهِ الـمؤمنين ما لا يُدافعونَ عن أنفسِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]، بل بدفاعِه عنهم انتصروا على عَدُوِّهم، ولولا دفاعُهُ عنهم، لَتخطَّفَهُمْ عَدُوُّهم، واجتاحَهُمْ...

وهذه الـمدافَعَةُ عنهم بحَسبِ إيمانِهم (وهي العُدَّة الإيمانيةُ التي لا يَتحقَّقُ العزُّ والنصرُ والتمكينُ إلا بها)، وعلى قَدْرِ إيمانهم، فإنْ قَوِيَ الإيمانُ، قَوِيَتِ الـمُدافعةُ، فمن وجدَ خيراً فلْيَحْمدِ اللهَ، ومَنْ وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَهُ.

وَأمَرَهُم سبحانَه أن يُجاهِدوا فيه حقَّ جهادِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]، كما أمَرَهُمْ أن يتقوهُ حَقَّ تقاته، فقالَ تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ

ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وكما أنَّ حقَّ تُقاتِهِ: أنْ يُطاعَ فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُنْسَى، ويُشكرَ فلا يكفرَ، فَحَقُّ جهادِهِ أن يجاهدَ العبدُ نفسَهُ ليُسْلِمَ قلبَهُ ولسانَهُ وجوارحَهُ للهِ، فيكونَ كُلُّهُ للهِ وباللهِ، لا لِنفسِهِ ولا بنفسِهِ، ويجاهِدَ شيطانَهُ بتكذيبِ وَعْدِهِ، ومعصيَةِ أمرِهِ، وارتكابِ نهيه... فينْشَأُ لهُ من هذين الـجهادَيْنِ -جهادِ النفس وجهادِ الشيطانِ- قوّةٌ وسلطانٌ وعُدّةٌ يجاهدُ بها أعداءَ اللهِ في الـخارجِ بقلبهِ ولسانِهِ ويدِهِ ومالِهِ، لتكونَ كلمةُ الله هي العليا[1].

قالَ ﷺ: «جَاهِدُوا الـمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ»[2].

وقالَ ابنُ القيِّم رحمَه اللهُ: (إذا عُرِفَ هذا، فالـجهادُ أربعُ مراتب: جهادُ النفسِ، وجهادُ الشيطانِ، وجهادُ الكفّارِ، وجهادُ الـمنافقين).

• **فجهادُ النفسِ أربعُ مراتبَ:**

الأولى: أن يُجاهِدَها على تَعَلُّمِ الهُدى، ودينِ الـحقِّ الذي لا فلاحَ لها ولا سعادةَ في معاشِها ومعادِها إلا به، ومتى فاتَها علمُهُ شَقِيَتْ في الدّارَينِ.

الثانية: أَنْ يجاهِدَها على العملِ به بعدَ علمِه، وإلا فمُجرَّدُ العلمِ بلا عملٍ إن لم يَضُرَّها لم يَنْفَعْها.

الثالثة: أن يجاهدَها على الدعوةِ إليهِ، وتعليمِه مَن لا يَعْلَمُهُ.

الرابعة: أن يجاهِدَها على الصبرِ على مشاقِّ الدعوةِ إلى اللهِ، وأذى الـخلق، ويتحَمَّلَ ذلك كُلَّهُ للهِ.

فإذا استكملَ هذه الـمراتبَ الأربعَ، صارَ من الربَّانيِّينَ، فإنَّ السَّلفَ مُجْمِعونَ

(١) «زاد الـمعاد» (٣/ ٦-٨) بتصرف.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٦/ ٧)، وأحمد (٣/ ١٢٤)، والدارمي (٢٤٣١)، [«صحيح الـجامع» (٣٠٩٠)].

على أنّ العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمّى رَبَّانِيًا حتى يعرفَ الحقَّ، ويعملَ بهِ، ويُعَلِّمَهُ، فمن عَلِمَ وعمِلَ وعَلَّمَ فذاك يُدْعى عظيماً في ملكوتِ السموات)[١].

قالَ تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

• **وأما جهادُ الشيطانِ، فمَرْتبتانِ:**

إحداهما: جهادُه علَى دفعِ ما يُلقي إلى العبدِ من الشُّبُهاتِ والشكوكِ القادحةِ في الإيمانِ.

ثانيهما: جهادُهُ على دَفعِ ما يُلقي إليه من الإراداتِ الفاسدةِ والشَّهواتِ.

فالجهادُ الأولُ يكونُ بعدَهُ اليقينُ، والثاني يكونُ بعدَه الصبرُ، قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة].

فأخبرَ سبحانَهُ أن إمامةَ الدِّينِ، إنما تُنالُ بالصَّبرِ واليقينِ، فالصَّبرُ يَدفعُ الشَّهواتِ والإراداتِ الفاسدةِ، واليقينُ يدفَعُ الشكوكَ والشُّبهاتِ.

• **وأما جهادُ الكفارِ والمنافقينَ فأربعُ مراتبَ:**

بالقَلبِ واللِّسانِ والمالِ والنفس، وجهادُ الكفارِ أخصُّ باليد -أي بالسَّيفِ والسِّنَانِ، وجهادُ المنافقينَ أخصُّ باللِّسانِ -أي بالحجةِ والبرهانِ-.

والجهادُ بالحُجَّةِ والبرهانِ أفضلُ وأعظمُ من الجهادِ بالسيفِ والسنانِ، وذلك لأنَّ الجهادَ بالسيفِ والسِّنانِ يقدِرُ عليه كلُّ أحدٍ، أما الجهادُ بالحُجَّةِ والبرهانِ لا يقدِرُ عليه إلا ورثةُ الأنبياءِ.

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٩-١٠).

• **وأما جهادُ أربابِ الظلمِ، والبدَعِ، والمنكَراتِ، فثلاثُ مراتبَ:**

الأولى: باليدِ إذا قَدَرَ.

الثانية: فإن عَجَزَ انتقلَ إلى اللسانِ.

الثالثة: فإن عَجَزَ جاهَدَ بقلبه.

فهذه ثلاثةَ عشَرَ مرتبةً من الجهاد قال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(١).

فيا مَنْ تَتَشَدَّقونَ بالحديثِ عن الجهادِ في المجالسِ، وعلى المنابرِ وفي الصُّحفِ، وفي المَهرجاناتِ والمظاهراتِ، هَلاَّ جاهدْتم أنفسَكم على طلبِ العلمِ الشَّرعيِّ والعمل بِهِ، وتعليمِه، والدَّعوةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ قبلَ أن تُفكِّروا في جهادِ الأعداءِ.

* فإنَّ جهادَ الأعداءِ له شروطٌ وأهدافٌ

أولاً: شروطُ الجهادِ في سبيل الله

الشرطُ الأولُ: الإمامُ -ولي الأمر-.

قالَ ﷺ: «**الإمَامُ جُنَّةٌ**» -أي وقايَةٌ- «**يُقاتَلُ مِنْ ورائِهِ**»(٢). فالقتالُ من أمامِهِ -أي: بالتَّقدُّمِ والتَّعدي عليه-: ليسَ قتالاً شرعياً.

الشرطُ الثاني: الرايَةُ الشَّرعيَّةُ

قالَ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ تحتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يدعو عَصَبِيَّةً أو يَنْصُرُ عَصَبيَّةً، فَقِتْلَةٌ جاهِلِيَّةٌ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٠)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٩-١١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٠).

وقال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطاعَةِ، وفارقَ الجماعَة، ثمَّ مَاتَ، ماتَ مِيتَةً جَاهِلِيّةً**(١)**. وَمَنْ قُتِلَ تحتَ رايَةٍ عُمِّيَّة**(٢)**، يَغْضَبُ للعصبَةِ**(٣)**، ويقاتلُ للعصَبةِ، فَلَيسَ مني. وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي على أُمّتِي، يضرِبُ بَرَّها وفَاجِرَها، لا يَتحَاشَى**(٤) **مِنْ مُؤْمِنِها، ولاَ يَفي بِذِي عهدِها، فَلَيْسَ مِني**»(٥).

الشرطُ الثالثُ: إعدادُ العُدَّةِ الماديَّة

والعُدَّةُ المادِيَّةُ كما قلنا قسمان:

القسم الأولُ: العُدَّةُ العسكريَّة.

قالَ تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:٦٠].

القسمُ الثاني: العُدَّةُ البشريّةُ.

وضابطُها أن يكونَ عَددُ جيشِ المسلمينَ على النِّصفِ من عددِ جيشِ الكفارِ، فإن زادوا عن ذلك فلا يَجِبُ على المُسلمِينَ دخولُ المعركةِ.

قالَ تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال].

هذه هي شروطُ الجهادِ في سبيلِ الله. أمّا أن يأتيَ مسلمٌ يَحمِلُ سيفًا أو بندقيَّةً أو حَجَراً، ويقولُ أريدُ أن أجاهدَ في سبيلِ الله عدوّاً يَملِكُ أنواعَ الأسلحةِ الحديثة فنقولُ له: ليسَ هذا جهاداً شرعياً، فأينَ وليُّ الأمرِ الذي أمرَك بذلكَ، وأين الرّايةُ

(١) (ميتة جاهلية): أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمامَ لهم.

(٢) (عُمِّية): من العمياء: وهي من الأمر الذي لا يستبين وجهه.

(٣) (للعصبة): أي يغضب ويقاتل ويدعو غيره كذلك لا لنصرة الدين والحق، بل لمحض التعصب لقومه وهواه.

(٤) (ولا يتحاشى): وفي بعض النسخ (يتحاشَ) بدون ألف، ومعناه لا يكترث بما يفعله فيها، ولا يخاف وبالَه وعقوبته.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

الواضحةُ؟ وأينَ العُدَّةُ التي أمرَ اللهُ بها؟

ثانياً: الأهدافُ الساميةُ التي مِنْ أجلها شُرِعَ القتالُ في سبيل الله.

إننا نعيشُ في زمنٍ عجيبٍ، اختلطَت فيه المفاهيمُ.

• فمِنَ النّاسِ مَنْ يفهمُ أنَّ الجهادَ في سبيلِ الله إرهَابٌ.

• ومن النّاسِ من يَظُنُّ أنَّ القتلَ والتدميرَ والتفجيرَ والاعتداءَ على الأموالِ والأنفُسِ ورجالِ الأمنِ جهادٌ في سبيلِ اللهِ.

• ومن النّاسِ من أنكر الجهادَ في سبيل اللهِ.

• ومن النّاسِ من يظنُّ أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ فقط هو الجهادُ بالسيفِ والسِّنانِ.

والجهادُ في سبيلِ اللهِ من دينِنا الذي بَعَثَ اللهُ رسولَهُ محمدًا ﷺ به.

قالَ الإمامُ الطحاويُّ في «عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ»: (ولا نرى السيفَ على أحدٍ من أمةِ محمدٍ ﷺ إلاَّ مَنْ وَجَبَ عليهِ السَّيفُ، ولا نرىَ الخُروجَ على أئمَّتِنا وولاةِ أمورِنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنزِعُ يداً مِنْ طاعتِهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعةِ الله عزَّ وجلَّ فريضةً، ما لَم يأمُروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصَّلاحِ والمُعافاةِ، ونَتَّبعُ السُّنَّةَ والجماعةَ، ونَجتنِبُ الشُّذوذَ والخِلافَ والفُرقَةَ... والحجُّ والجهادُ ماضيانِ مع أولي الأمرِ من المسلمين؛ بَرِّهم وفاجِرِهِمْ إلى قيامِ الساعةِ، لا يُبْطِلهما شيءٌ ولا ينقُضُهما)[1].

• وقد جاءَتِ الأدلةُ في الكتابِ والسُّنةِ تبينُ أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ شُرِعَ لأهدافٍ ساميةٍ منها:

(١) «تخريج الطحاوية» للألباني (٦٧-٧١).

الهَدَفُ الأول: لِتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السُّفلى، لِيُعبَدَ اللهُ وحدَهُ في الأرضِ.

• قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء].

• وقالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

• وقالَ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة].

• وعن أبي موسى الأشعريِّ ﵁ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجلُ يقاتلُ لِلْمَغنَمِ، والرجلُ يُقاتِلُ للذِّكر، والرجلُ يُقاتِلُ لِيُرى مكانَهُ. فَمَنْ في سبيلِ اللهِ؟ قال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

• وعن أبي أمامَةَ ﵁ قال: جاءَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ رجلاً غزا يلتمِسُ الأجرَ والذكرَ، ما لَهُ؟ فقال ﷺ: «**لاَ شَيءَ لَهُ**». فأعادها ثلاث مرات، كلُّ ذلك يقول ﷺ: «لاَ شَيءَ لَهُ» ثمّ قال ﷺ: «**إن اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا، وابتُغِيَ به وجْهُهُ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ غَزَا في سبيلِ اللهِ، ولَمْ يَنْوِ إلاَّ عِقالاً؛ فَلَهُ مَا نَوَى**»(٣).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) **حسن**: رواه النسائي (٦/ ٢٥)، والطبراني في الكبير (٧٦٢٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه النسائي (٦/ ٢٤)، وأحمد (٥/ ٣١٥)، وابن حبان (٤٦٣٨)، والحاكم (٢/ ١٢٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٤)].

الهدف الثاني: رَدُّ اعتداءِ المعتدينَ الذين يَعتدونَ على بلادِ المُسلمِينَ

• قالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

• وقالَ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦].

الهدفُ الثالثُ: تَعذيبُ الكافرينَ وشفاءُ صدورِ المؤمنينَ ونَصرُهم

• قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة].

الهدفُ الرابعُ: الامتحانُ والابتلاءُ والتمحيصُ لأهلِ الإيمانِ؛ لكي يتحصَّلوا على الشَّهادةِ في سبيل اللهِ

• قالَ تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران].

عبادَ الله! الذين يُجاهدونَ في سبيلِ اللهِ الـجهادَ الشرعيَّ بشروطِه وأهدافِه، يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُ الله ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالحياةِ السَّعيدةِ في القبرِ -حياة البرزخ-

• قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران].

ثانياً: بالمغفرةِ والرحمةِ

• قالَ تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾ [آل عمران].

ثالثاً: بتكفيرِ السَّيئات

• قالَ تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [آل عمران،١٩٥].

رابعًا: بالأجرِ والفوزِ العظيم

• قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [التوبة].

• وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ [النساء].

خامساً: بمحبةِ الله لهم.

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف].

سادساً: بالخيرِ والفلاحِ في الدنيا والآخرة.

• قالَ تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾ [التوبة].

سابعًا: بهدايتهم وصلاح بالهم.

• قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾ [محمد].

ثامناً: بنَجاتِهم من العذابِ الأليم وفَوزهم بجنَّاتِ النَّعيم.

• قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

عبادَ الله! وما هي البُشرى التي بشَّر بها رسولُ اللهِ ﷺ الشهداءَ. هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

اللهمَ ارْزُقْنا شَهادَةً في سَبيلِكَ، وَمَوْتَةً في بَلَدِ رَسُولِك ﷺ.

٢٣

تبشيرُه ﷺ للشهداءِ في سبيلِ اللهِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

• موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمَرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقتطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرَة ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للشُّهداءِ في سبيلِ اللهِ بسعادةِ الدنيا والآخرة.**

قلنا في الجمعةِ الماضية: إن الجهادَ في سبيلِ الله هو ذِروةُ سنامِ الإسلام.

قالَ ﷺ: «**رأسُ الأَمْرِ الإسلامُ، وعَمُودُه الصّلاةَ، وذِرْوَةُ سِنَامِهِ الجِهَادُ في سبيلِ اللهِ**».

وقُلنا أيضاً: إن الـجهادَ في سبيلِ الله من دينِنا ... من عقيدتِنا.

قالَ الإمامُ الطحاويُّ رحمَه الله في «عقيدةِ أهلِ السنةِ والـجماعةِ»: (والـحجُّ والـجهادُ ماضيانِ مع أولي الأمرِ مِنَ الـمسلمينَ؛ بَرِّهِم وفاجِرهِمْ إلى قيامِ الساعةِ، لا يُبْطِلهما شيءٌ ولا ينقُضُهما)(١).

وقُلنا أيضاً: إنَّ الـجهادَ في سبيلِ الله لا يَتحقَّقُ إلا بشروطٍ ثلاثةٍ:

الشرطُ الأولُ: الإمامُ.

الشرطُ الثاني: الرّايةُ الشَّرعيّة.

الشرط الثالث: العُدَّةُ العسكريةُ والبشريَّةُ.

وقُلنا أيضاً: إنَّ الـجهادَ في سبيلِ اللهِ له أهدافُهُ الساميةُ التي دَلَّت عليها الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ ومنها:

١ - أن تكونَ كلمةُ الله هي العُليا، وكلمةُ الذين كفروا السفلى.

٢ - ليَنالَ الـمؤمنونَ شرفَ الشهادةِ في سبيلِ الله.

قالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

واصطلَحَ العلماءُ على تقسيمِ الشُّهداءِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

• **القسمُ الأولُ**: شهيدُ الدُّنيا والآخرةِ، وهوَ: الذي يُقْتَلُ في الـمعركةِ معَ الكفارِ، مُقْبلاً غيرَ مُدبرٍ، لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا، وكلمةُ الذين كَفروا السُّفلى، دونَ طلبِ أيِّ غرضٍ من أغراضِ الدُّنيا.

• **القسمُ الثاني**: شهيدُ الدُّنيا، وهوَ: الذي يُقْتَلُ في الـمعركةِ معَ الكُفّارِ، وقامَ

(١) «تخريج الطحاوية» الألباني (٧١).

به مانعٌ من موانعِ الشَّهادةِ؛ كالرِّياءِ، والسُّمعَةِ، والغُلولِ من الغنيمةِ، ونحوِها.

• القسمُ الثالثُ: شهيدُ الآخرةِ وهم: جميعُ مَنْ عَدَّهم رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الشُّهداءِ، ووَرَدَ تسميتُهُم بذلك كقولِه ﷺ: «**الشُّهداءُ خمسَةٌ: المطعونُ والمَبْطُونَ، والغَرِقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشهيدُ في سبيلِ الله**»(١).

وكقولِه ﷺ: «**الطَاعُونُ شَهادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢). وكقولِه ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ**»(٣).

والمُرادُ بهؤلاءِ الشُّهداءِ أنهم شهداءُ في ثوابِ الآخرة، وإلا فهم كغيرِهم من المَوتى، ليسَ لهم أحكامٌ خاصَّةٌ، فيُغَسَّلونَ ويُصَلَّى عليهم، فهُم شهداءُ بشهادةِ رسولِ اللهِ ﷺ وإن لم يَظهرْ لهم حكمُ شهادتِهم في الدُّنيا.

• وكلامُنا في هذا اليومِ سيكونُ فقط عن القسمِ الأولِ، ألا وهو شهيدُ الدُّنيا والآخرة.

• هَلْ يجوزُ أن نَقولَ: فلانٌ شهيدٌ، كما يترددُ على ألسنةِ كثيرٍ من النّاسِ في هذه الأيام، حتى إنهم أطلقوا اسمَ الشهيدِ على غيرِ المسلمين!؟

• إنَّ إطلاقَ لفظةِ (شهيدٍ) على كُلِّ أحدٍ لا تجوزُ، إلاَّ لمن أثبتَ له الشّارعُ هذا الوصفَ، أما تسميةُ الكفّارِ من مُلحِدينَ ويهودَ ونصارى وغيرِهم شهداءَ، فهذا قدْحٌ في عقيدةِ من قالَ ذلك، وجهلٌ منهُ بأبسطِ مبادئِ الإسلامِ وأصولِ الإيمان.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

وقالَ تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧].

فليتَّقِ اللهَ أقوامٌ يُطلقونَ لفظَ (الشَّهيدِ) على كُلِّ من هبَّ وَدَبَّ كقولِهم: شهيدُ الفنِّ، شهيدُ العُرُوبةِ، شهيدُ الحريةُ، شهيدُ المحبوبِ، يتَّبعون بذلكَ أهواءَهم، ويَكذِبونَ على اللهِ ورسولِه وعلى النَّاسِ، دونَ رجوعٍ إلى كتابٍ ولا سُنّةٍ، ونَسُوا أن اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قالَ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق].

ونسُوا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النّارِ عَلَى وُجُوهِهِم إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهُمْ؟**»(١).

• أمّا إطلاقُ الشَّهادةِ بالوصفِ، مثلُ أنْ يُقالَ: كلُّ مَنْ قُتِلَ في سبيلِ اللهِ فهو شهيدٌ، وَمن قُتِلَ دونَ مالِه فهو شهيدٌ، ومن ماتَ بالطاعونِ فهو شهيدٌ، ونحو ذلك، فهذا جائزٌ كما جاءَت به النصوصُ؛ لأنك تشهدَ بما أخبرَ به رسولُ اللهِ ﷺ.

لكنْ مَنْ ماتَ بسببٍ من أسبابِ الشهادةِ، وقد توَفَّرت فيه الشُّروطُ، وانتفَتْ عنه الموانعُ الظاهرةُ، **فَهَلْ يَجوزُ أن نُطلِقَ على هذا الشّخصِ بعينهِ أنّه شهيدٌ؟**

الجواب: لا يجوزُ أبداً أن نِشهدَ لشَخصٍ بعينِه أنه شهيدٌ على سبيلِ الجزمِ بذلك، إلا إن كان عُلِمَ ذلك بالوحي. والأدلّةُ على ذلك كثيرةٌ منها:

١- قولُه ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبيلِهِ**»(٢) أيْ أنّ اللهَ -عَزَّ وجلَّ- وَحْدَهُ هو المطَّلعُ على نيّاتِ المُجاهدِينَ.

٢- عن سَهْلِ بن سَعْد رضي الله عنه: (أنّ رسولَ اللهِ ﷺ التقى هُوَ والمشركونَ،

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٨٧).

فاقْتَتَلوا، فلمّا مالَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى عسْكَرِهِ، ومالَ الآخرون إلى عَسْكَرِهم، وفي أصحابِ رسولِ الله ﷺ رجلٌ لا يَدَعُ لهم -أي الكفار- شاذَّةً ولا فاذَّةً إلاّ اتّبَعَها يضربُها بسيفِه، فقالوا: ما أَجْزَأَ منا اليومَ أَحدٌ كما أجزأَ فلانٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَا إنّهُ من أهلِ النار». فقال رجلٌ مِنَ القومِ: أنا صاحِبُهُ... قال: فَجُرِحَ الرجُلُ جُرحًا شديداً، فاستَعْجَلَ الـموتَ، فوضعَ نصْلَ سيفِهِ بالأرضِ، وذُبابَهُ -أي طرفَهُ الذي يضربُ به- بين ثَدْيَيْهِ، ثمَّ تحامَلَ على سيفِهِ، فقتَلَ نفسَهُ... إلى أن قال ﷺ: «**إنَّ الرّجُلَ ليعْمَلُ عَمَلَ أهْلِ الـجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَّ الرّجُلَ ليَعملُ عمَلَ أهلِ النّارِ فِيما يَبْدُو للنّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الـجنّةِ**»[1].

ففي هذا الـحديثِ دليلٌ على أنه لا يُطلَقُ على كلِّ مقتولٍ في الـجهادِ أنّه شهيدٌ، لاحتمالِ أن يكونَ مثلَ هذا[2].

من هذَين الـحديثَينِ استَدَلَّ الإمامُ البُخاريُّ -رحمَه اللهُ تعالى- على هذه الـمسألةِ، فتَرجَم لها بقوله: بابٌ: لا يُقالُ: فلانٌ شهيدٌ[3].

٣- وعن عمرَ بن الـخطّابِ رضي الله عنه أنه خطَبَ فقالَ: (تقولونَ في مغازيكُم: فلانٌ شهيدٌ، وماتَ فلانٌ شهيداً، ولعَلَّهُ قد يكونُ قَدْ أوقَرَ راحِلَته[4]، ألا لا تقولوا ذلكَ ولكن قولوا كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ في سبيلِ الله أو قُتِلَ فهوَ شَهيدٌ**»)[5].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢).
(٢) انظر: «فتح الباري» (٦/ ١٠٦)، بتصرف.
(٣) كتاب الـجهاد باب رقم (٧٧).
(٤) أوقَرَ راحلتَهُ: أي لَعَلَّ أحدكم حَمّلَ راحلتَهُ ذهباً أو فضةً في غير سبيلِ الله.
(٥) **حسن**: رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٧٠)، [حسنه الـحافظ في «الفتح» (٦/ ١٠٦)].

٤- وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: (إيّاكم أن تقولوا: ماتَ فلانٌ شهيداً، أو قُتِلَ فلانٌ شهيداً، فإنَّ الرجُلَ يُقاتِلُ ليغْنَمَ، ويقاتِلُ ليُذْكرَ، ويقاتِلُ ليُرى مكانه...) (١).

فلا يجوزُ أنْ نحكُمَ على كلِّ مَنْ قُتِلَ في الـمعركةِ أو قُتِلَ مِنْ قِبَلِ العدُوِّ بأنه شهيدٌ، إلا بشروطٍ وهي:

الشرطُ الأولُ: أن يكونَ الـمَقتولُ في الـمعركة مسلماً.

الشرطُ الثاني: أنْ يُقاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا.

لحديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ: الرجُلُ يقاتِلُ للمَغْنَم، والرجلُ يقاتِلُ للذّكر، والرجُلُ يقاتِلُ ليُرى مكانَهُ، فمن في سبيلِ الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كلمةُ اللهِ هي العُليَا فَهُوَ فِي سبيلِ اللهِ**»(٢).

الشرط الثالثُ: أنْ نقاتِلَ تحتَ رايةٍ إسلاميّةٍ ظاهرةٍ.

لحديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»(٣).

الشرط الرابع: أن لا يَقْتُلَ نفسَهُ.

لحديث سهلِ بنِ سعدٍ السّاعديِّ الذي فيه ذكرُ الرجُلِ الذي أبلى بلاءً حسناً في الـمعركة وأخبرَ عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنه من أهلِ النّارِ لأنه قَتَلَ نفسَه.

الشرط الـخامس: الصَّبرُ والثَّباتُ وعدمُ الفرارِ

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤١٦)، وابن أبي عاصم في «الـجهاد» (١٨٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٠).

وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال].

وقالَ ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الـمُوبِقات**» وذكر منها: «**والتَّوَلي يومَ الزّحْفِ**»[(١)].

وهذا شهيدٌ تحقَّقت فيه شروطُ الشَّهادةِ بشَهادةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

• عن شدّادِ بن الهادِّ رضي الله عنه: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتَّبَعه، ثم قال: أُهاجرُ معَك، فأوصى به النَّبيُّ ﷺ بعضَ أصحابه، فلما كانَ غزاةٌ، غَنِمَ النبيُّ ﷺ [شيئاً] فقسمَ، وقسمَ له، فأعطى أصحابَه ما قَسمَ له، وكان يَرعى ظهرَهم، فلما جاءَ دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسمٌ قسمَه لك النَّبيُّ ﷺ. فأخذه فجاء به إلى النبيِّ ﷺ؛ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمَتهُ لَكَ»، قال: ما على هذا اتّبعتُك، ولكن اتبعتُّك على أن أُرمى إلى ههنا -وأشار إلى حلقِهِ- بسهمٍ فأموتَ، فأدخلَ الـجنة.

فقالَ: «**إنْ تَصدُقِ اللهَ يَصْدُقْك**». فلَبثوا قليلاً ثم نَهضُوا في قتالِ العدو، فأُتي بِهِ إلى النبي ﷺ يُحملُ، قد أصابَه سَهمٌ حيثُ أشار. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أهوَ هُوَ؟**» قالوا: نعم. قال: «**صَدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ**».

ثم كفَّنه النَّبيُّ ﷺ في جبّتِهِ التي عليه، ثم قدَّمه فصلّى عليه، وكانَ مما ظهرَ من صلاتِه: «اللهمَّ! هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبيلِكَ، فقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهيدٌ عَلَى ذَلِك»[(٢)].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٧٧)، ومسلم (٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ٦٠)، والطبراني في الكبير (٧١٠٨)، والـحاكم (٦٥٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].

عبادَ الله! فمن تحقَّقتْ فيه شروطُ الشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ، ولقيَ اللهَ شهيداً، فاللهُ يُبَشِّرُهُ في كتابهِ، والرَّسولَ ﷺ في سنَّته بما يلي:

أولاً: يُغفرُ له في أول دُفعة من دَمِه. ويأمَنُ من الفَزَعِ الأكبرِ. ويُزَوَّجُ اثنتين وسبعينَ زوجةً من الحورِ العين.

قالَ ﷺ: «**للشَّهيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، ويَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجنَّةِ، ويُجارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ويأمَنُ من الفَزَعِ الأكْبرِ، ويُوضعُ على رأسِهِ تَاجُ الوَقارِ: اليَاقوتةُ مِنْها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، ويُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أقَارِبِهِ**»(١).

ثانياً: يَشْفَعُ الشهيدُ في سبعينَ من أهلِ بيته.

دخلَ أيتامٌ لشَهيدٍ على أمِّ الدَّرداءِ رضي الله عنها فقالَت لهم: أبشروا! فإني سَمعتُ أبا الدَّرداءِ يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يُشَفَّعُ الشهيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أهْلِ بيتِهِ**»(٢).

ثالثاً: يأمنُ الشهيدُ فتنةَ القبرِ وعذابَه.

• عن رجلٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ: (أنّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! ما بالُ المؤمنينَ يُفْتَنونَ في قبورِهم إلا الشّهيدَ؟ قال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السّيوفِ عَلَى رَأْسِهِ فتنَةً**»(٣).

• وعن فُضالةَ بنِ عُبيدٍ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**كُلُّ ميّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الذِي مَاتَ مُرَابِطًا في سبيلِ اللهِ فإنَّهُ يُنْمَي له عَمَلُهُ إِلَى يومِ القِيَامَةِ،**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (٤/ ١٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٢٢)، والبزار (٤٠٨٥)، والبيهقي (٩/ ١٦٤)، [«صحيح الجامع» (٨٠٩٣)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٠)].

ويأمنُ فِتْنَةِ القَبْرِ»[١].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**للشّهيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصالٍ**» وذكر منها: «**وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[٢].

رابعاً: تُكَفَّرُ عنهُ خطاياهُ إلا الدينَ

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يُغْفَرُ للشّهيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إلاَّ الدَّينَ**»[٣].

خامساً: الشهيدُ لا يَجدُ ألمَ القتلِ، ويتمنى أن يَرْجِعَ إلى الدُّنيا ليُقْتَلَ عشرَ مراتٍ.

قالَ ﷺ: «**مَا يَجِدُ الشّهيدُ من مَسِّ القَتْلِ إلاَّ كما يَجِدُ أحدُكُم مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ**»[٤]. وقال ﷺ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُل الـجَنّة يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيا وَلَهُ مَا عَلَى الأرضِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ الشهيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يرجِعَ إِلَى الدُّنْيا فيُقْتَلَ عَشرَ مراتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ**»[٥].

سادساً: الشهيدُ رائحةُ دمِهِ مِسكٌ يومَ القيامَةِ

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ! لاَ يُكْلَمُ**[٦] **أحدٌ في سَبيلِ اللهِ -واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيلِهِ- إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللوْنُ لَونُ الدِّمِ، والرّيحُ ريحُ الـمِسْكِ**»[٧].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٦/ ٢٠)، والبزار (٣٧٥٣)، وابن حبان (٤٦٢٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (٤/ ١٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٨٦).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٦٨)، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، وابن حبان (٤٦٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٦٧)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨١٧)، ومسلم (١٨٧٧).

(٦) **يُكْلَمُ**: يُجْرَحُ.

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦).

سابعاً: الشهيدُ يُكلمهُ اللهُ كِفاحًا بدون حِجَابٍ

عن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: لَقيني رسولُ اللهِ ﷺ فقال لي: «**يَا جَابرُ! مَالِي أرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**» قلتُ: يا رسولَ الله! استُشْهِدَ أبي وتَرَك عيالاً وَدَيْنًا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَلاَ أُبشِّرُكَ بما لَقِيَ اللهُ بِهِ أبَاكَ؟**». قال: بلى يا رسولَ الله! قال: ﷺ: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أحدًا قطُّ إلاَّ مِنْ وَراءِ حِجَابِه، وَأَحْيَى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا**[١]**، فقال: تَمَنَّ عَلَيَّ أعطِكَ، قالَ: يَا ربِّ! تُحْيِني فأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قال الربُّ -تبارَك وتَعالى-: إنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**» قال: وَأُنْزِلَتْ هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران][٢].

ثامناً: الشَّهيدُ تُظِلُّه الملائكةُ حتى يُرفعَ

عن جابرٍ رضي الله عنه قالَ: جيءَ بأبي يومَ أُحُدٍ قد مُثِّلَ به، حتّى وُضِعَ بين يَديْ رسولِ اللهِ ﷺ وقد سُجِّيَ ثوباً، فذهَبْتُ أريدُ أنْ أكشِفَ عنه، فنَهاني قومي ثم ذهبتُ أكشفُ عنه، فنَهاني قومي، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ فرُفِعَ، فسَمِعَ صوتَ صائحةٍ فقال: «**مَنْ هذهِ؟**» فقالوا: ابنةُ عمرو[٣] أو أختُ عمَرو، فقال: «**فَلِمَ تَبكي؟**» أو: «**لا تبكي، فما زالت الـملائكةُ تُظِلُّهُ بأجنحتها حتى رُفِعَ**»[٤].

---

(١) كفاحاً: أي مواجهة بدون حجاب.

٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠)، وأحمد (٣/ ٣٦١)، وابن حبان (٧٠٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٦١)].

٣) ابنة عمرو، أي عمةُ جابر وأخت عبدالله.

٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١).

تاسعاً: دارُ الشهيدِ عِندَ اللهِ أحسَنُ دارٍ.

قالَ ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَة، وَأَدْخَلَانِي دَاراً هِيَ أَحسَنُ وَأَفْضَلُ، لم أَرَ قطُّ أحسنَ مِنهَا، قَالاَ لِي: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فدارُ الشُّهَدَاءِ**»[١].

عاشِراً: الشَّهيدُ في أعلى درجات الجنةِ في الفِردوسِ الأعلى:

قالَ ﷺ: «**إنَّ في الـجَنَّةِ مَائةَ درجةٍ، أعدَّها اللهُ للمجاهِدِينَ في سبيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، فإِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الـجَنَّةِ، وَأَعْلَى الـجَنَّةِ...**»[٢] الـحديث.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ أمَّ حارثةَ أتَتِ النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ اللهِ! ألا تحدِّثُني عن حارثَةَ؟ -وكانَ قُتلَ يومَ بدرٍ- فإنْ كانَ في الـجنةِ صَبَرْتُ، وإنْ كَانَ غيرَ ذلك اجتَهَدْتُ علَيهِ في البكاء.

فقالَ ﷺ: «**يَا أُمَّ حَارِثَة! إنَّها جِنانٌ فِي الـجَنّةِ، وإنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدُوسَ الأَعْلَى**»[٣].

عباد الله! ما هي البُشرى التي بشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ وأمتَهُ بعد ذلك؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الـجُمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيَّة.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٩١).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٩٠).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٠٩).

٢٤

تبشيره ﷺ للمتقين بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾ [الإسراء].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن .. دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُتَّقينَ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

قُلنا في الـجُمَع الـماضيةِ: إنّ العِزَّ والنَّصرَ والتَّمكينَ في الأرضِ للأمَّةِ الإسلاميّةِ لا يَتحقَّقُ إلا بشَرطَينِ اثنَين:

الشَّرط الأولُ: العُدَّةُ الإيمانية.

الشَّرط الثاني: العدةُ الـمادية.

وقُلنا أيضاً: إن العدَّة الإيمانيةَ لا تتحققُ إلا بشرطين اثنين:

الشَّرطُ الأولُ: التَّوحيدُ للهِ في العبادةِ الـخالصُ من كلِّ أنواعِ الشِّرْكِ.

الشَّرطُ الثاني: الـمتابعةُ لرسولِ اللهِ ﷺ الـخالصةُ من كلِّ أنواعِ البدعِ.

وقد جَمَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ بينَ التَّوحيدِ للهِ، والـمتابعةِ لرسولِ اللهِ ﷺ في آيةٍ واحدةٍ من آيات الـجهادِ.

ألا وهي قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال].

أيْ: أن اللهَ معَكَ ومُؤَيِّدُك ونصيرُكَ وَوَلِيُّكَ، وهوَ أيضاً معَ الـمؤمنينَ الذين اجتمع فيهم الشَّرطانِ: التوحيدُ والـمتابعةُ، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٦٤﴾.

• والأمّةُ الإسلاميةُ إذ حقَّقَت هذَينِ الشَّرطَينِ: التَّوحيدُ والـمتابعةُ اللَّذان هما تقوى الله، أعَزَّها الله ونصرَها ومكَّنَها في الأرضِ، فالنصرُ مرتبطٌ بتقوى اللهِ، وهي العُدَّة الإيمانيةُ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].

وقالَ تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران].

• فيا أمَّةَ الإسلام! إذا كنتُم تَتطلَّعونَ إلى النَّصرِ فاتَّقوا اللهَ في أنفسِكم، فإنَّ النَّصرَ مُرتبِطٌ بتقوى اللهِ عزَّ وجلّ وهي العُدّةُ الإيمانيةُ.

قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

فالتَّقوى هي بدايةُ التَّغيُّرِ إلى سعادةِ الدنيا والآخرة، والتَّقوى هي السَّبيلُ إلى العزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ.

والتَّقوى هي امتثالُ أوامرِه تعالى، واجتنابُ نواهيه؛ بفعلِ كلِّ مأمورٍ بهِ، وتركِ كلِّ منهيٍّ عنه حسبَ الاستطاعةِ(١).

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أهلٌ لأن يُتّقَى.

قالَ تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر].

• ولما كانَ النّاسُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ في أمَسِّ الحاجةِ إلى التَّقوى، فقد أمَرَهُمُ اللهُ تعالى بالتَّقوى.

قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر].

وَوَصَّى اللهُ بها عبادَهُ الأولينَ والآخرين.

قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وقد بَلَّغتِ الرُّسُلُ عليهم السَّلام جميعاً هذه الوصيَّة العَظيمةَ لأقوامهم.

فهذا نوحٌ عليه السلام يأمرُ قومَهُ بتقوى الله.

---

(١) «نضرة النعيم» (٤/ ١٠٨٠).

قالَ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [الشعراء].

وهذا إبراهيمُ عليه السلام يأمرُ قومَه بتقوى الله.

قالَ تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت].

وهذا نبيُّنا محمدٌ ﷺ يأمُرُ أمتَه ويُوصيها بتقوى الله.

• ففي حَجَّةِ الوداعِ يقولُ ﷺ لأمتِه: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُم؛ تَدْخُلوا جَنَّةَ رَبِّكم**»(١).

• وقالَ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**اتّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(٢).

• ويقولُ العِرباضُ بنُ ساريةَ رضي الله عنه: (**وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلوب، وذَرَفتْ مِنها العُيونُ، فقلنا: يا رسول اللهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَة مُوَدِّعٍ، فأوْصِنا، قال ﷺ: «أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ...»**)(٣) الحديث.

أمة الإسلام! لماذا أمرَ اللهُ سُبحانه عبادَه بالتَّقوى ووصّاهم بها؟ ولماذا أمرَ النَّبيُّ ﷺ أمته بالتَّقوى ووصّاهم بها؟

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان (٤٥٦٣)، والحاكم (١٩)، من حديث أبي أمامة، ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٧٩)، من حديث أبي قتيلة، ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٦٥٩)، من حديث أبي الدرداء، واللفظ للترمذي [«السلسلة الصحيحة» (٨٦٧)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، من حديث أبي ذر، ورواه الطبراني في الأوسط (٣٧٧٩)، من حديث معاذ بن جبل [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٥)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (٣٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

أولاً: لأن الإنسانَ لا يُفرِّق بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الهُدَى والضَّلال، وبينَ التَّوحيدِ والشركِ، وبينَ الإيمانِ والكفرِ، وبينَ السنّة والبدعة، وبين الحلالِ والحرامِ إلا بالتقوى

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩].

ثانياً: لأنَّ التقوى تدفَعُ صاحبَها إلى الأعمالِ الصالحةِ، وتمنعُه من اقترافِ المعاصي والذنوبِ

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف].

فالتَّقيُّ إذا همَّ بالـمَعصيةِ منعتهُ التقوى من اقترافِها.

• فهذا الرَّجلُ الذي همَّ بأن يزنيَ بابنةِ عمِّه، فلما قالَت له: اتقِ الله ولا تَفُضَّ الـخاتمَ إلا بحقِّهِ تركَها ولم يزنِ بها. فالذي منعَهُ مِن الزّنا تقوى الله.

وكذلك لما دخلَ جبريلُ على مريمَ في خلوتها في صورةِ رجلٍ، فخافَت وارتعدَت منه ذكّرَته بتقوى الله.

قالَ تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم].

ثالثاً: لأن التَّقوى سببٌ للتمكينِ في الأرض

قالَ تعالى عن يوسفَ عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

ولذلكَ لما أخبرَ يوسفُ عليه السلام إخوتَه عن نفسِه قالَ لهم: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يوسف].

رابعاً: لأن التقوى هي زادُ المؤمنين إلى الدّارِ الآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

ابنَ آدمَ!

تَرحَّلْ من الدُّنيا بزادٍ من التُّقَى ... فعَمْرُكَ أَيّامٌ وهُنَّ قَلائِلُ

ابنَ آدمَ!

تَزَوَّدْ مِنْ مَعَاشِكَ للمعَادِ ... وقُمْ للهِ وَاجْمَعْ خَيرَ زَادِ
وَلاَ تجْمَعْ مِنَ الدُّنْيا كَثيراً ... فَإنَّ المالَ يُجمعُ للنفَادِ
أَتَرْضَى أنْ تكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ ... لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بغيرِ زادِ؟

ابنَ آدمَ!

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرحَلْ بزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَأَبْصَرْتَ يومَ الحشرِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدا
نَدِمْتَ عَلَى أنْ لاَ تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَما كانَ أرصَدا

ابنَ آدمَ!

تزوّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعيشُ إِلَى الفَجْرِ

* الـمُتَّقونَ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِهِ، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِهِ بما يلي:

أولاً: بمحبةِ اللهِ لهم.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة].

واللهُ -عزَّ وجلَّ- إذا أحبَّ عبداً استجابَ لهُ إذا دعاه، وأعطاهُ إذا سأله، وغفر له إذا استغفرَه، ولا يُعذِّبُهُ في النار أبداً، ويلقي محبَّتَه بين أهلِ الأرضِ والسَّماء.

• يقولُ ربُّ العزّة في الحديث القدسيِّ: **«وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسمَعُ به، وبَصَرهُ الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورِجْلَهُ التي يمشي بها، وَلَئِن سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِن اسْتَعَاذَني لأُعيذنّه»**(١).

• ويقولُ ﷺ: **«وَاللهِ! لا يُلقي اللهُ حَبِيبَهُ في النَّارِ»**(٢).

• ويقولُ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبريلَ فقالَ: إنِّي أُحبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قال: فَيُحِبُّهُ جبريلُ، ثُمَّ يُنَادي في السَّماءِ فيقولُ: إنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ فلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أهلُ السَّماءِ، قال: ثُمَّ يُوضَعُ لهُ القَبولُ في الأرضِ»**(٣).

ثانياً: بمغفرةِ الذنوبِ، وتكفيرِ السيئاتِ، والأجرِ العظيمِ.

قالَ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾ [الأنفال].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، وأبو يعلى (٣٧٤٧)، والبزار (٦٥٧٩)، [«الصحيحة» (٢٤٠٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ لمسلم.

ثالثاً: برحمةِ الله لهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقالَ تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

رابعًا: بسَعَةِ الرِّزقِ وتيسيرِ الأمورِ والبركاتِ، والخروجِ من الشدائدِ والكُربات

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق].

وقالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

خامساً: بالنَّجاةِ من العذابِ، والأمنِ من الخوفِ والحزنِ في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل].

سادساً: يُبشِّرُهم ربُّهم بأنهم أولياءُ اللهِ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنونَ

قــالَ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

سابعاً: يبشرهم ربُّهم بالفوزِ والفلاحِ في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

وقالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة].

ثامناً: بقَبولِ الأعمالِ الصَّالحةِ والكرامةِ عندَ اللهِ تعالى والشَّهادةِ لهم بالصِّدق.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقالَ تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

تاسعاً: بالعزِّ والنَّصرِ والفَوقيَّةِ على الـخُلقِ في الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة].

عاشراً: يُبشِّرُهم ربُّهم بجناتِ النعيم

وهل أُعِدَّتِ الـجنَّةُ وما فيها من النَّعيمِ الـمُقيمِ إلا للمُتَّقين.

قالَ تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

فالعاقبةُ الـحُسنى في الدُّنيا بالعزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرضِ للمُتَّقينَ، والعاقبةُ الـحُسنى في الآخرةِ بجَنَّاتِ النَّعيمِ للمتقين.

جعلنا الله وإياكم من المتقين.

٢٥

تبشيرُه ﷺ لأصحابِ القلوبِ السليمةِ بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلّ- في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمَرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تبشيرُه ﷺ لأصحابِ القلوبِ السليمةِ.**

قُلنا في الـجمعةِ الـماضية: إن السَّبيلَ إلى العِزِّ والنَّصرِ والتَّمكينِ لا يَتحقَّقُ إلا بتَقوى اللهِ سبحانه فاللهُ عزَّ وَجلّ مع الُمتَّقينَ يَنصرُهم ويُمكِّنُهم في الأرض.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

- والتَّقوى محَلُّها القَلبُ.
- قالَ ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنا، التَّقْوَى هَاهُنا، التَّقْوَى هَاهُنا**» وأشارَ إلى صدرِه ثلاثَ مرّاتٍ[1].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

• وسُئِلَ ﷺ عن القَلبِ الـمخمومِ، فقالَ: «**هوَ التَقِيُّ النّقِيُّ، الذي لا إثْمَ فِيهِ، ولاَ بَغْيَ وَلاَ حَسَدَ**»(١).

• وقالَ تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف:٢٦].

• وسعادةُ الإنسانِ وشقاؤُه في الدنيا والآخرة تَتوقَّفُ على القلبِ، والقلبُ في الـجسدِ كالرّاعي في رعيَّتِه، فإذا صَلحَ القلبُ صلحَ الـجسدُ كلُّه، وإذا فسَد فسَدَ الـجَسَدُ كلُّه.

قالَ ﷺ: «**ألاَ وَإِنَّ في الـجَسِدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحت صَلحُ الـجَسَدُ كلُّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الـجَسَدُ كلُّه، ألاَ وَهِيَ القَلْب**»(٢).

• والدَّليلُ على ذلك:

هو أنَّ القلبَ محلُّ النياتِ التي بها تُقْبَلُ الأعمالُ فيسعَدُ العبدُ في الدُّنيا والآخرةِ، أو تُرَدُّ فيَشقى العبدُ في الدُّنيا والآخرة.

• قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٣).

• وقالَ -ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعمالِكم**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٠٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

ومن الأمثلة على ذلك:

١- ابنا آدمَ (قابيل وهابيل).

قالَ تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة].

فتَقبَّلَ اللهُ من التقيِّ الذي صَلَحَ قلبُه وصلَحت نيته، ولم يتقبَّل من الآخرِ الذي فسَدَ قلبُه وفسدَت نيّتهُ.

٢- الثّلاثةُ الذين دَخلوا الغارَ.

قالَ ﷺ: «**انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**».

• فدعَا الأولُ وتوَسَّلَ إلَى اللهِ ببرِّهِ لِوَالِدَيْهِ وقال: «**اللهمَّ إِنْ كُنْتُ فعلْتُ ذلِكَ ابتغاءَ وجهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيه مِن هَذِهِ الصّخرةِ فَانْفَرَجَتْ شيئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الـخُروجَ مِنْهُ**».

• ودعا الثّاني وتوسَّلَ إلى اللهِ بتَركِه فاحشةَ الزِّنا خوفاً من اللهِ وقالَ: «**اللهمَّ إنْ كنتُ فَعَلتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافرُجْ عنّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتْ الصّخرةُ، غيرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعونَ الـخُروجَ مِنها**».

• ودعا الثّالثُ وتوسّلَ إلى اللهِ تعالى بردِّه الـحقوقَ إلى أصحابِها، وقالَ: «**اللهمَّ إنْ كُنتُ فعَلتُ ذلكَ ابتِغاءَ وجهِكَ فافرُجْ عنّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتْ الصّخرةُ، فَخَرَجُوا يُمْشُونَ**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، واللفظ للبخاري.

ثلاثةٌ بصلاحِ نيّاتِهم تَقبّلَ اللهُ دعاءَهم وأعمالَهم، ونجّاهُم من الـمَوتِ.

٣- الثلاثةُ الـمراؤونَ الذينَ أولُ من تُسَعَّرُ بهم جهنَّم.

قالَ ﷺ: «**إنَّ أوّلَ النّاسِ يُقْضَى يَوْم القيامةِ عليه: رجلٌ اسْتُشهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فعرفها. قال: فَما عَمِلتَ فيها؟ قَال: قَاتَلتُ فَيكَ حَتَّى استُشْهِدْتُ. قال: كذَبْت، ولكن قَاتلتَ لأنْ يُقالَ: جريءٌ، فقد قيل، ثمّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ حتّى أُلقِيَ فِي النار. ورجلٌ تعلَّمَ العلمَ وعَلَّمَهُ، وقرأ القرآن. فأُتِي بهِ، فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا. قَال: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَال: تَعَلّمتُ العلمَ وعلّمتُه، وقرأتُ فيك القرآنَ. قال: كذبتَ، ولكنّكَ تَعَلّمْتَ العِلْمَ ليُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فقد قِيلَ، ثم أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ فِي النّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الـمَالِ كلِّه، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا. قَال: فَما عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَال: مَا تَرَكْتُ مِن سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاَّ أَنْفَقْت فِيهَا لَكَ. قال: كَذَبْتَ، ولَكِنّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثمَّ أُلْقِيَ فِي النّارِ**»[1].

فها هم ثلاثةٌ فسدَت قلوبُهم، وفسدَت نياتُهم، فرُدَّت عليهم أعمالُهم، وكانوا أولَ مَنْ سُعِّرَتَ بهم جهنم.

٤- حالُ النّاسِ في الدُّنيا مع الـمالِ.

قالَ ﷺ: «**وَأُحَدِّثُكُمْ حَديثًا فَاحْفَظُوهُ، إنَّما الدُّنْيا لأربعةِ نَفَر: عَبْدٌ رزَقَهُ اللهُ مالاً وعِلْمًا، فَهُوَ يَتّقِي فيهِ رَبَّهُ، ويَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فهَذَا بِأَفْضَلِ الـمَنَازِلِ**» -فهذا العبدُ وصلَ بالعلم الشرعيِّ الذي أصلح له قلبَه ونيتَه إلى أفضلِ الـمنازلِ- «**وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ علماً وَلَمْ يَرْزقْهُ مالاً، فَهُوَ صَادقُ النِيّةِ، يقول: لَو أَنَّ لِي مالاً لعملتُ بعملِ فلانٍ فهو بنيته، فأجرُهُمَا سواء**» -وهذا العبدُ أيضاً بالعلمِ الشرعيِّ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٥).

الذي أصلحَ له قلبَه ونيّتَه مع أنه لم يرزقْ مالاً وصل إلى أفضلِ المنازلِ- «**وَعَبْدٌ رزقَهُ اللهُ مالاً ولَمْ يَرزقْهُ علماً، يَخْبطُ في مَالِه بِغَيْرِ عِلْم، لاَ يَتّقِي فِيهِ ربَّه، وَلا يَصْل فِيهِ رَحِمَه، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فهذا بَأَخْبَثِ المنَازِل، وَعَبْدٌ لَم يَرْزقْهُ اللهُ مالاً ولا عِلماً، فهُوَ يقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فيهِ بِعَمَلِ فلانٍ، فَهُوَ بِنِيّتِهِ، فَوِزْرُهُما سَواءٌ**»[1].

-فهذانِ عبدانِ بالجهلِ فسدَ قلباهُما، ففسَدَت نيّاتُهما، فوَصَلا إلى أخبثِ المنازلِ. فالقَلبُ هو محَلُّ النِّيّاتِ التي عليها مدارُ الأعمالِ كلِّها، فإن صَلَحَ القلبُ صلحتِ النيّاتِ، وإن فسدَ القلبُ فسدَت النّياتُ.

والقُلوبُ تمرضُ، وتَفْسُدُ نيّاتُها بمَرضَينِ:

المرضُ الأولُ: مرضُ الشهوة.

قالَ تعالى: ﴿**يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢**﴾ [الأحزاب].

المرضُ الثاني: مرض الشُّبهَةِ

• قالَ تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا**﴾ [البقرة:١٠].

• وقالَ تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٧].

ومرضُ الشُّبهةِ أخطرُ وأضرُّ على القلبِ من مَرضِ الشَّهوةِ، لأَنَّ مرضَ الشُّبهةِ يتعلَّقُ بالعَقيدةِ، ومرضُ الشَّهوةِ يَتعلَّقُ بالعملِ، وفسادُ العقيدةِ أخطرُ من فسادِ العملِ.

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤٦)، واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

• قالَ ﷺ: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وقَلْبٌ أبيَضُ فلا تَضُرُّه فتنةٌ مَا دَامَتْ السَّموَاتُ وَالأَرْضُ»(١).

• وبناءً على ما تقدمَ فإنّ القلوبَ تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: القَلبُ السليمُ وهو القلبُ الـحيُّ.

وهذا القلبُ هو الذي سَلِمَ من الشَّهواتِ والشُّبُهاتِ، وجميعِ الأمراضِ، وأخلصَ صاحبُهُ العملَ كلَّهِ للهِ، فإن أحبَّ أحبَّ للهِ، وإن أبغضَ أبغضَ في اللهِ، وإن أعْطَى أعطى للهِ، وإنْ مَنَعَ مَنع للهِ، وصاحبُ هذا القلبِ هو النّاجي من فتنِ الدنيا وعذاب الآخرة.

القسمُ الثاني: القلبُ القاسي وهوَ القلبُ الـميتُ.

وهوَ القلبُ الذي لا حياةَ فيه؛ لا يعرفُ ربَّهُ، ولا يعبُدُه بل هو منقطعٌ لشهواتِهِ ولذاتِهِ، فهو متعبَّدٌ لغيرِ اللهِ، حبًا، وخوفاً، ورجاءً، ورضًا وسُخطاً، وتعظيماً، وذلاً، إنْ أحبَّ أحبَّ لهواه، وإن أبغضَ أبغضَ لهواه، وإن أعطَى، أعطى لهواه، وإن منعَ منعَ لهواه، فالهوى إمامُه، والشهوةُ قائدُه، والـجهلُ سائقهُ، والغفلةُ مركبُه.

قالَ تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

وقالَ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٤).

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

فمخالطةُ صاحبِ هذا القلب سُقمٌ، ومعاشرتُهُ سمٌّ، ومجالستُه هلاكٌ.

• وقد تَوعّدَ اللهُ سُبحانه أصحابَ هذهِ القلوبِ بالويلِ، فقالَ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

• وأعدَّ اللهُ لأصحابِ هذه القلوبِ عذاباً أليماً في جهنم، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

القسمُ الثالثُ: القلبُ المريضُ

وهذا القلبُ به حياةٌ وبه علّةٌ، فله مادّتانِ، تمدُّه هذه مرةً وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، إن غلبَ عليه مرضُهُ التَحقَ بالقلبِ الميِّتِ القاسي، وإن غلبَت عليه صحَّتُه التحقَ بالقلبِ السَّليم.

• وقد جمعَ اللهُ عزَّ وجلَّ بين هذه القلوب الثلاثةِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ -وهذا هوَ القلبُ المريضُ- ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ -وهذا هو القلبُ القاسي الميتُ- ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ -وهذا هو القلبُ السليمُ الحيُّ- ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج].

أمة الإسلام! لا ينجو من عذابِ اللهِ، ولا يسعَدُ في الدُّنيا والآخرةِ إلا صاحبُ القلبِ السَّليمِ، فكيفَ يُصلِحُ أحدُنا قلبَهُ ليَتحصَّلَ على سعادةِ الدُّنيا والآخرةِ؟

أولاً: بالإيمان الصادقِ -أي بالعقيدة الصحيحة-.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

وكانَ ﷺ يقولُ في دعائِه: «**اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإيمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَان، واجْعَلْنَا مِنَ الرّاشِدين**»[1] والإيمانُ قولٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالـجَنانِ، وعملٌ بالأركانِ، يزيدُ بالطَّاعةِ وينقصُ بالـمَعصية.

ثانياً: بالتمسُّكِ بالكتابِ والسنةِ، بفهمِ سلفِ الأمةِ.

عقيدةً وعبادةً وسلوكاً.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ -أي بالإيمان- ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ -أي بالقرآنِ- ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

وقالَ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وكانَ ﷺ يقولُ: «**مَا أَصَابَ أحدًا قَطُّ هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهمَّ إنِّي عَبْدُكَ، وابْنُ عَبدِكَ، وابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيتي بيَدِكْ، مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكُلِّ اسْمٌ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كتَابِكَ، أوْ عَلَّمْتَهُ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيبِ عندَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ همَّه، وأبدَله مكانَ حُزْنِهِ فَرحًا**». قالوا: يا رسولَ اللهِ! ينبغي لنا أن نَتعلَّمَ هؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: «**أَجَلْ!**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٢٤)، والبخاري في «الأدب الـمفرد» (٦٩٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٤٥)، والبزار (٣٧٢٤)، [«صحيح الأدب الـمفرد» (٥٣٨)].

يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»(١).

و لا غِنى للقرآنِ عن السُّنةِ، ولا غِنى للسُّنةِ عن القرآنِ، ولذلكَ قالَ ﷺ: **«خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ»**(٢).

ثالثاً: بذكرِ اللهِ -عَزَّ وجَلَّ-.

قالَ تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد].

ولذلكَ قالَ ﷺ: **«مَثَلُ الذي يذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذي لاَ يذكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»**(٣).

فَمِنَ الآيةِ الكريمةِ يتَبيَّنُ لنا أنّ القلوبَ تطمئنُّ بذكرِ اللهِ، ومن الحديثِ الشَّريفِ يتَبيَّنُ لنا أنّ القلوبَ تحيا بذكرِ اللهِ. فصاحبُ القلبِ المُطمئِنِّ الحيِّ هو الذي يَنتفعُ بالقرآن.

قالَ تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال].

رابعاً: بالدعاء.

قالَ تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٥٢)، والبزار (١٩٩٤)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان (٩٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٢٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الجامع» (٣٢٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٠٧).

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

وكانَ ﷺ يقولُ في دعائِه: «**اللهمَّ مُصرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنا على طاعَتِكَ**»[1].

ويقولُ ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[2].

ويقولُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ...**»[3] الحديث.

ويقولُ ﷺ: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي**»[4].

• وكانَ ﷺ يستعيذُ باللهِ من شَرِّ القلوبِ فيقول ﷺ: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي**»[5].

ويقولُ ﷺ أيضاً: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»[6].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠١٤).

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦٤٠٠)، [وصححه الحاكم والهيثمي].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢)، والنسائي (٥٤٤٤)، [«صحيح الجامع» (١٢٩٢)].

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٢٢).

خامساً: زيارةُ القبورِ، وتذكرُ الموت.

قالَ ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكم عَنْ زِيارَةِ القُبُورِ، ألاَ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وتُدْمِعُ العَيْنَ، وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**»(١).

فبزيارةِ القُبورِ يَتذكَّرُ الإنسانُ الموتَ والبعثَ والقيامةَ والوقوفَ بين يدي اللهِ للحسابِ والجزاءِ، والناسُ عن كلِّ هذا غافلونَ، فصدقَ فيهم قولُ القائلِ:

أمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ الأَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوا لَما هجَعُوا وَنَامُوا
لقد خُلقوا لأمرٍ لَوْ رَأَتْهُ ... عُيونُ قُلوبِهم تَاهُوا وهَاموا
مماتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبيخٌ وأهوالٌ عِظَامُ
لِيَومِ الحَشْرِ قَدْ عملت رجالٌ ... فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
ونحنُ إذا أُمِرْنَا أو نُهِينا ... كَأَهْلِ الكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيامُ

أيها المسلمون! أصحابُ القُلوبِ السليمةِ، الذينَ أصلحوا قلوبَهم وطهَّروها يبشرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهُ ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالمُسارعَةِ لفعلِ الخيراتِ. والخشيةِ من ربِّ الأرضِ والسَّماوات.

قالَ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾**﴾ [المؤمنون].

ثانياً: بزيادةِ الإيمانِ في قلوبهم.

قالَ تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾**﴾ [الأنفال].

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٧٣)، والحاكم (١٣٤٢)، [«أحكام الجنائز» (١٨٠)].

وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة].

ثالثاً: يُبشِّرُهم بالتَّذكُّرِ والاعتبار.

• فصاحبُ القَلبِ السَّليم إذا ذُكِّرَ تذكَّرَ.

قالَ تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق].

• وأما صاحبُ القلبِ الـميتِ فهو لا يتذكرُ ولا يعتبرُ.

قالَ تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج].

رابعاً: بالنجاةِ من أهوالِ يومِ القيامةِ.

قالَ تعالى على لسانِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء].

خامساً: وأخيراً يبشرهم ربُّهم بالجنة.

قالَ تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾ [ق].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر].

اللهمَّ طَهّر قُلوبَنا مِنَ النِّفاقِ، وأعمالَنا مِنَ الرِّياءِ، وألسِنتَنا مِنَ الكَذِبِ

٢٦

تبشيرُه ﷺ لأصحابِ اليمينِ بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرَةِ النَّبويَّة العَطِرَة ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ لأصحابِ اليمينِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

وأصحابُ اليمينِ هم المؤمنونَ الذين يُحبُّونَ التَّيمُّنَ في كلِّ شيءٍ تأسِّياً برسولِ اللهِ ﷺ.

• والذي دفعَني للحديثِ عن هذا الموضوعِ أمورٌ:

الأمرُ الأولُ: أنني أرى كثيراً من المسلمينَ كبيراً وصغيراً، وذكراً وأنثى ومتعلِّماً وجاهلاً يأكلونَ ويَشربونَ بشِمالِهم، وإذا قُلتَ لأحدِهم: كُلْ بيمينِكَ، قال بكلِّ سخريةٍ واستهزاءٍ: وهذه لماذا خلقَها الله؟

الأمر الثاني: أنني رأيتُ من المُسلمِينَ -وللأسفِ الشَّديدِ- نفرًا يأكلون ويَشربونَ الطَّيِّباتِ بالشِّمالِ، ويأكلونَ ويَشربونَ الخبيثَ؛ كالدُّخانِ مثلاً باليمين.

الأمر الثالث: أن كثيراً من الـمُسلمِينَ -وللأسفِ الشَّديدِ- يفعلُ ذلك تقليداً للكفارِ ويَعتقدونَ أن هذا من التقدمِ والـحضارةِ.

• فأقولُ لهؤلاءِ جميعاً:

أولاً: أنسيتُم أن النَّبيَّ ﷺ أمرَ الـمسلمَ أن يأكلَ ويَشربَ بيمينه، ونهى عن الأكلِ والشُّربِ بالشِّمالِ، وأخبرَ أن الذي يأكلُ ويشربُ بشمالِهِ هو الشَّيطان.

• يقولُ عُمَرُ بنُ أبي سلَمةَ: كنتُ غلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا غُلامُ! سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بيمينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[١]. فما زَالَتْ تِلك طِعمتي بَعْدُ.

فانظُروا عبادَ اللهَ! إلى هذا الغلامِ كيفَ استجاب لأمر رسولِ الله ﷺ وأكلَ بيمينه ولم يأكلْ بشماله بعدها. وأما الذي لم يستجبْ لأمرِ رسولِ الله ﷺ وأكلَ بشماله فانظروا ماذا حدث له.

• عن إياسِ بنِ سلَمةَ بنِ الأكوع: أن أباهُ حدَّثَهُ: أن رجلاً أكلَ عندَ رسولِ الله ﷺ بشمالِهِ، فقالَ: «**كُلْ بيَمينِكَ**» قال: لا أستطيعُ. فقال ﷺ: «**لاَ اسْتَطَعْتَ**» مَا منَعَهُ إلا الكِبْرُ، قال: فما رفعها إلى فيهِ[٢].

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا أكلَ أَحَدُكُمْ فَليأكُلْ بِيَمِينه، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بشمالِهِ**»[٣].

• وقالَ ﷺ: «**لاَ تَأْكُلُوا بِالشِّمالِ، فَإِنَّ الشَّيْطانَ يأْكُلُ بِالشِّمَالِ**»[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٩).

• وعن جابر رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهى أن يأكلَ الرجلُ بِشِمَالِه**»(١).

ففي هذه الأحاديثِ دليلٌ على تحريمِ الأكلِ والشُّربِ بالشمالِ، وفيها نهيٌّ عن مشابهةِ الشَّيطان.

ثانياً: نقولُ للذين يأكلون ويشربون بشمالهم تقليداً للكفار: أنسيتُم أن مَنْ تشبه بقومٍ فهو منهم وحُشِرَ يومَ القيامةِ معهم.

• قالَ ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**»(٢). والتشبُهُ بالكفار في الظاهرِ يُورِثُ الـمحبة في الباطن.

• والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(٣).

ثالثاً: ونقولُ لهم أيضاً أنسيتُم أن النَّبيَّ ﷺ كان يحبُّ التَّيمُّنَ في كُلِّ شيءٍ ويأمرُ به.

• عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «**كان النبيُّ ﷺ يُعجِبُهُ التَّيمُّنُ في تَنَعُّلِه، وتَرَجُّلِهِ، وطُهُورِهِ، وفي شأنِهِ كُلِّه**»(٤).

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا لَبِسْتُمْ، وإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءُوا بِأَيامِنِكُمْ**»(٥).

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا انْتَعَلَ أَحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِاليمينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بالشِّمالِ، لِتَكُنْ اليُمْنَى أَوَّلَهما تُنعَلُ، وآخِرَهُمَا تُنزَعُ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٢/ ٥٠)، وعبد بن حميد (٨٤٨)، من حديث ابن عمر، ورواه البزار (٨٦٠٦)، من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني في الأوسط (٨٣٢٧)، من حديث حذيفة [«صحيح الـجامع» (٢٨٣١)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨)، واللفظ للبخاري.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤١٤١)، وأحمد (٢/ ٣٥٤)، وابن خزيمة (١٧٨)، وابن حبان (١٠٩٠)، [«صحيح الـجامع» (٧٨٧)].

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧)، واللفظ للبخاري.

• اليمينُ، والتَّيَمُّنُ، وحبُّ التَّيمُّن في كلِّ شيءٍ تأسياً برسولِ الله ﷺ؛ من دينِنا ... من عقيدتنا، ويظهرُ ذلك مما يلي:

أولاً: مِنْ عقيدتنا: أننا نعتقدُ أن اللهَ -عزَّ وجلّ- له يدٌ ليست كأيدينا، وكلتا يدَي ربِّي يمين.

• والدليلُ على أن اللهَ له يدٌ ليست كأيدينا:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠].

وقالَ تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

• وقالَ ﷺ: **«مَنْ تَصدَّقَ بعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبِ طَيِّبٍ، ولاَ يَقبَلُ اللهُ إلاَّ الطيبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتقَبَّلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِهِ كَما يُرَبِّي أحدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تكونَ مِثْلَ الجبلِ»**[1].

فاللهُ -عزَّ وجلّ- له يدٌ ليسَت كأيدينا لقولِه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

والدَّليلُ على أن كِلتا يَدي ربِّي يمينٌ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

وقالَ ﷺ: **«يَقبِضُ اللهُ الأرضَ، ويَطْوِي السَّمواتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا المَلِكُ! أَيْنَ مُلُوكُ الأرضِ»**[2].

وقال ﷺ: **«إِنَّ المقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧)، واللفظ للبخاري.

وجَلّ، -وَكِلْتَا يَديهِ يَمينٌ- الَّذينَ يعدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأهْلِيهِم وَمَا وَلُوا»[(١)]. ولفظةُ الشمالِ لفظةٌ شاذةٌ لا تصحُ.

ثانياً: ومن عقيدتِنا: أن أهلَ اليمينِ من ذريةِ آدمَ هم أهلُ الـجنة.

• قالَ ﷺ في حديثِ الـمعراجِ: «... **ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي -أي جبْريل- فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا، فَلَـمَّا جِئْتُ إِلَى السَّماءِ الدُّنيا قَالَ جبْرِيلُ لِخَازِنِ السّماءِ: افْتَحْ، قالَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: هَذَا جبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَك أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمّدٌ ﷺ، فقالَ: أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ. فَلَـمّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّماءَ الدُّنْيا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أسوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أسودَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِه ضَحِكَ، وإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى. فقالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصّالِحِ وَالابنِ الصّالِحِ، قُلْتُ لِجبْرِيل: مَنْ هَذَا؟ قالَ: هَذَا آدمُ، وَهَذِهِ الأسوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الـجَنَّةِ، والأسودَةُ الّتِي عَنْ شِمَالِهِ أهلُ النّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى**»[(٢)].

• وقالَ ﷺ: «**خلقَ اللهُ آدمَ حِينَ خَلقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ اليُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمْ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ اليُسرَى فَأخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمْ الـحُمَمُ، فَقَالَ لِلّذي في يَمينه: إِلَى الـجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وقَالَ لِلّذي في كَفِّهِ اليُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلاَ أُبالِي**»[(٣)].

ثالثاً: ومن عقيدتِنا: أن الـملَكَ الذي يَكتبُ الـحسناتِ يكونُ على يمينِ الإنسانِ

• قالَ ﷺ: «**إِذَا قَامَ أحدُكُمْ إِلَى الصّلاةِ فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ، ولاَ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكاً، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يِسَارِهِ أَوَ تَحْتَ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٤٤١)، والبزار (٤١٤٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢١٣)، [«السلسلة الصحيحة» رقم (٤٩)].

قدَمِهِ فَيَدْفِنُها»[١].

• وبَزقَ -أي: بَصَقَ- رجلٌ في قِبلته، فقالَ حذيفةُ رضي الله عنه: «**أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: إذَا قَامَ أَحدُكُمْ في صَلاتِهِ، يُقْبِلُ اللهُ عَلَيْهِ بوَجْهِهِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ في قِبْلَتِهِ، وَلاَ يَبْزُقَنَّ عَنْ يَمِينهِ؛ فإنَّ كَاتِبَ الـحَسَنَاتِ عَن يَمِينِهِ، وَلكِنْ لِيَبْزُقْ عَنْ يسَارِهِ**»[٢].

رابعاً: ومن ديننا: أن اليمينَ تُقدَّمُ في العباداتِ وفي كلِّ عملٍ طيِّبٍ ولا تُقَدَّمُ عند البولِ والغائط.

• قالَ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يأخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَتَنَفَّسْ في الإِنَاءِ**»[٣].

• وقالَ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا شَرِبَ أحدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ، وإِذَا أَتَى الـخَلاءَ فلا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَتَمَسَّحْ بِيَمِينه**»[٤].

• وعن سلمانَ رضي الله عنه قالَ: قيلَ له: قد علَّمَكُمْ نبيكُم صلى الله عليه وسلم كُلَّ شيءٍ حتى الـخِرَاءَة؟ قال: فقال: «**أَجَلْ، لقَدْ نَهَانَا أَنْ نستقبِلَ القِبلةَ لغائطٍ أو بولٍ، أو أن نَسْتَنْجِيَ باليمينِ، أو أَنْ نستَنْجِيَ بأقلَّ مِن ثلاثةِ أحجارٍ، أو أَنْ نستَنجيَ برَجيعٍ أو بِعظْمٍ**»[٥].

أعرفتُم يا من تُقلِّدونَ الكفّارَ في الأكلِ والشُّربِ بالشِّمالِ، وتقولونَ: لماذا خَلقَ اللهُ الشِّمالَ؟!

عبادَ الله! هذا رسولُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم الذي أمرَنا اللهُ أن نتأسّى به كانَ هديُه تقديمَ اليمينِ في كلّ العباداتِ وفي كلِّ عملٍ طيبٍ ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٦)، ومسلم (٥٥٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه الـمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٢)، [«السلسة الصحيحة» رقم (١٠٦٢)]

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٤)، ومسلم (٢٦٧)، واللفظ للبخاري.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٢٦٧)، واللفظ للبخاري.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٢).

أولاً: في الوضوء والغُسلِ:

• قالَ ﷺ: «**إِذَا لَبِسْتُمْ وَإِذَا تَوَضأْتُمْ فَابْدَءُوا بأَيامِنِكُمْ**»(١).

• وعن نُعَيم بنِ عبدالله الـمُجْمِر قال: «**رأيتُ أبا هريرةَ يتوضأُ فَغَسَلَ وجَهَهُ، فأَسْبَغَ الوضوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يدَهُ اليُمنَى حَتى أَشْرَعَ في العَضُدِ، ثُمّ يدَهُ اليُسرى حتّى أشْرَعَ في العَضُدِ، ثمّ مسَح رأسهُ، ثم غسلَ رجْلَهُ اليُمنى حتى أشرعَ في الساقِ، ثم غسلَ رِجْلَهُ اليُسرى حتى أشْرَعَ في الساقِ، ثم قال: هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضأ...**»(٢).

• وفي الغُسْلِ تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: «**كانَ رسولُ الله ﷺ إذا اغتسلَ بدأ بيمينه فصَبَّ علَيها منَ الـماءِ فغسَلَها، ثم صَبَّ الـماءَ عَلَى الأذَى الذي بِهِ بيَمينه وغَسَلَ عنهُ بِشِمَالِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِن ذلكَ صَبَّ عَلَى رأْسِهِ. قالتْ عائشةُ: كُنتُ أغتسلُ أنَا ورَسولُ اللهِ ﷺ من إنَاءٍ وَاحدٍ، وَنَحْنُ جُنُبان**»(٣).

• وفي وضوءِ الـميِّتِ وغسلِه يبدأ باليمين لقوله ﷺ في غُسلِ ابنتهِ: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا**»(٤).

ثانياً: في الصلاة

• إذا صلَّى الـمأمومُ وحدَهُ خلفَ الإمامِ يَقِفُ عن يمينه.

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: «بِتُّ في بيتِ خالتي ميمونةَ بنتِ الـحارث زوجِ النبيِّ ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ عِندها في ليلَتها، فصلَّى النبيُّ ﷺ العشاءَ، ثمّ جَاءَ إلى

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤١٤١)، وأحمد (٢/ ٣٥٤)، وابن خزيمة (١٧٨)، وابن حبان (١٠٩٠)، [«صحيح الجامع» (٧٨٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٢١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩).

منزلِهِ فصلَّى أربعَ ركعاتٍ ثم نام،... ثم قامَ فقُمْتُ عن يسارِه فجعلني عن يَمينِهِ، فصلَّى خَمْسَ رَكَعاتٍ، ثمَّ صلَّى ركعَتَين...»[١].

• وإذا كبَّر الـمصلِّي للصلاة وضعَ اليُمنى على اليُسرى على صدرِه.

• عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: (كان الناس يُؤمَرُون أن يَضَعَ الرجُلُ اليَدَ اليُمنَى على ذِرَاعِهِ اليُسرى في الصلاة)[٢].

• وعن وائلِ بن حُجْر: (أنه رأى النبيَّ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ حين دخلَ في الصلاة كَبَّرَ... ثم وضعَ يدهُ اليُمنَى على اليُسرى)[٣].

• وإذا جلسَ للتشهُدِ أشارَ بالأصبع اليمنى.

• عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: (أن النبيَّ ﷺ كان إذا جلسَ في الصّلاةِ، وضعَ يديهِ على رُكْبَتَيْهِ، ورفَعَ إصْبَعَهُ اليُمنَى التي تَلي الإبْهَامَ، فَدَعا بِها، ويَدَهُ اليُسرَى على ركبتِهِ اليُسَرى باسِطَها عليها)[٤].

• وإذا سلَّمَ الـمصلِّي بدَأَ باليمين.

• عن عامرِ بن سعدٍ عن أبيه قال: (كُنتُ أرى رسولَ الله ﷺ يُسَلِّمُ عَنْ يَمينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى أَرَى بَياضَ خَدِّهِ)[٥].

• عن وائلٍ قال: (صَلَّيتُ معَ النبيِّ ﷺ فكان يُسَلِّمُ عَنْ يمِينِهِ؛ السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وعن شمالهِ؛ السّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحمةُ الله)[٦].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٧)، ومسلم (٧٦٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: روه البخاري (٧٤٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٠١).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨٠).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨٢).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٩٩٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٦)، [«الإرواء» (٢/ ٣١-٣٢)].

ثالثاً: في الطَّوافِ بالبيت

يَبدأُ الطائفُ بالبيتِ عن يمينِه.

• عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما: (أن رسولَ اللهِ ﷺ لما قَدِمَ مكةَ أتى الـحجرَ فاستلمهُ، ثم مشَى على يمينهِ فرَمَلَ ثلاثاً، ومَشَى أرْبعاً)(١).

رابعاً: في الرُّقيةِ الشرعية

يَضعُ الرّاقي أو الـمريضُ يَدهُ اليُمنى على مكانِ الألم.

• عن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: (كانَ النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بيمِينِهِ ويقول: أَذْهِبْ البَاسَ، رَبَّ النّاسِ، واشْفِ أنْتَ الشّافي لاَ شِفاءَ إلاَّ شِفاءُكَ شِفاءٌ لا يُغادِرُ سَقَمَا)(٢).

خامسًا: في الـجهاد في سبيل الله

• الـمُبايعةُ للإمامِ تكونُ باليمين.

• في بيعةِ الرضوانِ بعدَما بعثَ رسولُ الله ﷺ عثمانَ رضي الله عنه إلى مكَّةَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه اليُمنى: «**هَذِهِ يدُ عُثمانَ**» فضربَ بها على يدِه، فقال: «**هَذِهِ لِعُثْمَانِ**»(٣).

• وهذا عمرو بنُ العاص رضي الله عنه يقول: (... فلما جعلَ الله، الإسلامَ في قلبي، أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: ابْسُطْ يَمينَكَ فَلأُبايعْكَ، فبَسَطَ يمينَهُ، قال: فقَبَضْتُ يدي. قال: «**مَالَكَ يا عَمرُو؟**» قال: قلتُ: أَرَدْتُ أن أشْتَرِطَ. قال: «**تَشتَرِطُ بِماذَا؟**» قلت: أن يُغفَرَ لي. قال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كانَ**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٧٥٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٩٨).

قَبْلِها، وأنَّ الـحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»)[١].

• والقتالُ في سبيلِ الله مع الإمامِ يكونُ عن يمينه وعن شمالِه.

• يقولُ ابنُ مسعودٍ ﷺ: شَهِدْتُ مِنْ الـمِقْدَادِ بن الأسودِ مَشهداً لأكونُ صاحِبَهُ أحبُّ إليَّ مِمَّا عُدِلَ به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدْعُو على الـمشركينَ، فقال: (لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ [المائدة:٢٤] ولكنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمينِكَ، وعَنْ شِمالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وخَلفَكَ. فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرَقَ وجْهُهُ، وسَرَّهُ -يعني قولُه-)[٢].

سادساً: في النوم

يُستحَبُّ للمسلم أن يَضطجِعَ على شِقِّهِ الأيمن.

• عن البراءِ بنِ عازبٍ ﷺ قالَ: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضأْ وُضُوءَكَ للصّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وجهي إليك وَفَوّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْك، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلتَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلتْ، فإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلى الفِطْرَةِ واجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تقولُ**»[٣].

• فتقديم اليمين في الأكلِ والشُّربِ والأخذِ والعَطاءِ وفي كلِّ شيءٍ مظهرٌ من مظاهرِ الإسلام، على الـمسلمِ أن يُحافِظَ عليه، وأما تقديمُ الشِّمالِ في الأكلِ والشُّربِ فمظهرٌ من مظاهرِ الشَّياطينِ فعلى الـمُسلمِ أن يَبتعدَ عنه.

عباد الله! المؤمنونَ الصّادقونَ الذين يُحبُّونَ التَّيَمَّنَ في كلِّ شيءٍ تأسِّياً برسولِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٥٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠)، واللفظ للبخاري.

الله ﷺ، يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: يُظِّلهُم اللهُ في ظلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُه

• قالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» وذكر منهم: «**رَجُلٌ تَصَدّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُه**»(١).

ثانياً: يأخذونَ كتابَ أعمالِهم يومَ القيامةِ بأيمانِهم.

قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة].

ثالثاً: يُحاسبُهم ربُّهم حساباً يسيرًا.

قالَ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق].

رابعاً: أصحابُ اليمينِ هم أهلُ الجنةِ

قالَ تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة].

اللهمَّ اجعلنا من أصحاب اليمين!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

٢٧

أولاً: تبشيره ﷺ للحافظين فروجَهم والحافظات بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلّ- في كتابه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [الفرقان].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرَةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تبشيرُه ﷺ للحافظينَ فروجَهم والـحافظاتِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

والـحافظونَ فروجَهم والـحافظاتُ هم الـمؤمنونَ الصادقون الذين حَفِظوا فروجَهم من الوقوعِ في فاحشةِ الزِّنا خاصةً ومن كلِّ الفواحش عامةً.

• والزّنا في اللغة: هو الفُجورُ والعهرُ، ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**الوَلَدُ للفِراشِ وَلِلْعَاهِرِ الـحَجَر**»(١). والعاهرُ: هو الزاني.

• **والزنا في الشَّرع**: هو وطءُ الرجلِ للمرأةِ في فرجِها من غير نكاحٍ ولا شُبْهةِ نكاحٍ(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٧).

• والزِّنا قبيحٌ شرعًا وعقلاً، قبلَ ورودِ النَّهي أو بعدَهُ.

قالَ ابنُ القيِّم رحمَه الله: الزنا يجمعُ خِلالَ الشرِّ كُلَّها؛ من قِلّةِ الدين، وذَهَابِ الورع، وفسادِ الـمُروءة، وقِلَّةِ الغَيْرَةِ، فلا تجدُ زانيًا معهُ ورَعٌ، ولا وفَاءٌ بعهدٍ، ولا صدقٌ في حديثٍ، ولا محافظةٌ على صديقٍ، إذ الغدرُ والكذبُ وقلّةُ الـحياءِ، وعدمُ الـمراقبةِ وذهابُ الغيرةِ، من شُعبهِ وموجباتِه(١).

ومن الأدلة على قُبحِ الزِّنا شرعاً وعقلاً:

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

ففي الآيةِ دليلٌ على أن الزِّنا قبيحٌ في العقلِ قبلَ ورودِ السَّمع، لأن اللهَ سماهُ فاحشةً، ولم يُخصِّص به حالةً قبلَ ورودِ السَّمعِ أو بعدَه(٢).

وقالَ الشَّيخُ عبدُالرَّحمنِ السِّعديُّ رحمَه الله في تفسيرِ الآية: (ووصفَ اللهُ الزِّنا وقُبحَه بأنه ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: إنما يُسْتَفحَشُ في الشرعِ والعقولِ والفِطرِ؛ لتضَمُنِه التَّجرِّيَ على الـحرمةِ في حقِّ الله، وحقِّ الـمرأةِ وحقِّ أهلِها، أو زوجِها، وإفسادِ الفراش، واختلاطِ الأنسابِ وغيرِ ذلك من الـمفاسد(٣).

ومما يدلُّ على قُبحِ الزِّنا عندَ العقلِ السَّليمَ: أن الطبائعَ السَّليمةَ تأباه حتى قبلَ ورودِ النَّهي عنه.

١- فهذا رسولُنا ﷺ يقولُ: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُج مِنْ سِفَاحٍ، مَنْ لَدُن آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدني أَبِي وأُمِّي لَمْ يُصِبني مِنْ سِفَاحِ الـجَاهليّةِ شَيءٌ**»(٤).

(١) انظر: «روضة الـمحبين» (٣٦٠) لابن القيم.

(٢) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٣٠٠).

(٣) «تفسير كلام الـمنان» (٤/ ٢٧٥).

(٤) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٨)، والرامهرمزي في «الـمحدث الفاصل» (٤٧٠)، [«صحيح الـجامع» (٣٢٢٥)].

٢- وهذا عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه عندَما حاصرَهُ الذين أرادوا قتلَه، خرجَ عليهم فقال: (فلِمَ تقتلوني؟ وقد سَمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ في إحْدَى ثَلاث: رَجُلٌ زَنَى وَهُوَ مُحْصَنٌ فرُجِمَ، أَوْ رَجُلٌ قتَلَ نَفسًا بِغَيْرِ نَفْس، أَوْ رَجُلٌ ارتَدَّ بَعْدَ إِسْلامِهِ**» فوالله! ما زنيتُ في جاهليَّةٍ ولا في إسلامٍ، ولاَ قتَلْتُ نفساً مُسْلِمَة، ولا ارتدَدتُ منذُ أسلمتُ)[١].

٣- وهذه هندُ بنتُ عتبةَ تقولُ وهي تبايعُ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم مُستنكِرةً مُتعجِّبةً: (أَوَتزني الـحُرَّةُ يا رسولَ الله!)[٢].

٤- عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أن فتًى من قريشٍ أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ: (يا رسولَ الله! ائذَن لي في الزِّنى. فأقبلَ القومُ عليه وزجَرُوهُ فقالوا: مَهْ مَهْ فقال: «**ادْنُهْ**». فدنا منه قريباً فقال: «**أَتُحِبُّه لأُمِّكَ؟**» قال: لا واللهِ! جعلَني اللهُ فِداءَكَ. قالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهَ لأُمَّهَاتِهِم**». قالَ: «**أفتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**» قالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ جعلَني اللهُ فداءَك. قالَ: «**وَلاَ النّاسُ يُحِبُّونَهَ لِبَنَاتِهِم**» قالَ: «**أَفتُحِبُّهُ لأُخْتِك؟**» قالَ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ، جعلَني اللهُ فداءَك. قالَ: «**وَلاَ النّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِم**» قالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لعَمَّتكَ؟**» قالَ: لا والله يا رسول الله، جعلَني اللهُ فِدَاءك. قالَ: «**ولاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِم**» قالَ: «**أفتُحِبُّهُ لخَالتكَ؟**». قال: لا واللهِ يا رسولَ الله، جعلَني اللهُ فِدَاءَكَ. قالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لخَالاَتِهم**» قالَ: فوضعَ يدَهُ عليه وقالَ: «**اللهمَّ اغفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**» فلم يكُنْ -بعدُ ذلك الفتى- يلتفتُ إلى شيءٍ)[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٥٣٣)، والنسـائي في الكبرى (٣٥٢٠)، وأحمد (١/ ٦٣)، واللفظ لابن ماجه [«الإرواء» (٧/ ٢٥٤)].

(٢) رواه أبو يعلى (٤٧٥٤).

(٣) **صحيـح**: رواه أحمـد (٥/ ٢٥٦)، والطـبراني في الكبـير (٧٧٥٩)، والاصبهـاني في «الترغيب والترهيب» (١٤٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٠)].

والزِّنا من أكبرِ الكبائرِ ومن أعظمِ الذُّنوب. يَعدُّ الإسلامُ الزِّنا من أكبرِ الكبائر، فقد جاءَ ترتيبُهُ بعدَ الإشراكِ باللهِ وقتلِ النَّفسِ بغيرِ الـحقِّ.

في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨].

قال السِّعديُّ رحمَه الله: (ونصَّ تعالى على هذه الثَّلاثةِ لأنها من أكبرِ الكبائر، فالشِّركُ فيه فسادُ الأديان، والقَتلُ فيه فسادُ الأبدان، والزِّنا فيه فسادُ الأعراض)[١].

• و(قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أيُّ الذنب أكبرُ عند الله؟ قال: «**أنْ تَدْعُو لله ندًّا وهو خَلَقَكَ**» قال: ثم أيّ؟ قال: «**ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قال: ثُمّ أيّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ بحَلِيلَةِ جَارِكَ**»[٢].

فأنزل الله -عزَّ وجلّ- تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ٦٨﴾ [الفرقان].

• وقالَ الإمامُ أحمدُ رحمَه الله (ليسَ بعدَ قتلِ النَّفسِ أعظمُ من الزنا)[٣].

الزِّنا اعتداءٌ على الأعراضِ كالاعتداءِ على الأموالِ بالسَّرقةِ، وعلى الأنفس بالقتلِ، وكلُّ ذلكَ حرَّمهُ الإسلام.

قالَ ﷺ: «**كُلُّ الـمُسْلِمِ عَلَى الـمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ ومَالُهُ وعِرضُه**»[٤].

وقالَ ﷺ في خُطبتِه في حَجَّةِ الوداع: «**فَإِنَّ دمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرَمةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هذَا في بَلَدِكُمْ هَذَا**»[٥].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٥٠٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٦١)، ومسلم (٨٦).

(٣) انظر: «غذاء الألباب» (٢/ ٤٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٥) **متفق عليه**: البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٦٧٩).

وقد أوجبَ الإسلامُ على الرِّجالِ أن يُحافِظوا على أعراضِ نسائِهم، حتى أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أن من قُتِلَ مدافعًا عن عرضِ أهلِه فإنه يُعتبرُ شَهيداً، قالَ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دونَ مَالِه فَهُوَ شهيدٌ، ومن قُتِلَ دونَ أَهْلِه فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دونَ دِينِه فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دونَ دمِه فَهُوَ شَهِيدٌ**»(1).

وبالـمقابلِ فإن الدَّيوثَ -وهو الذي يَرى السُّوءَ في أهلِه، ثم يَسكتُ ولا يدفعُه- لا يدخلُ الـجنَّةَ، ولا يَنظرُ اللهُ تعالى إليه يومَ القيامة.

قالَ ﷺ: «**ثلاثٌ لاَ يَدْخُلُونَ الـجَنَّةَ، وَلاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِم يومَ القِيَامَةِ: العَاقُّ وَالِدَيْه، وَالـمَرأَةُ الـمُتَرَجِّلَةُ الـمُتَشَبِّهَةُ بالرِّجَالِ وَالدَّيوثُ**»(2).

فإذا كانَ هذا جزاءَ الذي يُقرُّ الـخُبثَ -أي: الزنا- في أهله، فما بالُكم بالزّاني نفسِه؟

*الزِّنا فاحشةٌ خبيثةٌ لا يَفعلُها إلا خبيثٌ وخبيثةٌ.

قالَ تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور:٢٦].

وقالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

• والزِّنا من عملِ شياطينِ الـجنِّ والإنس، فلا يأمرُ به إلا شيطان، ولا يَفعلهُ إلا شياطينُ الـجنِّ والإنس. ويكفي تنفيراً من فاحشةِ الزِّنا أن نَتذكَّرَ أنها من تَزيينِ وفعلِ شياطينِ الـجنِّ والإنس.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٢١)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والنسائي (٧/ ١١٦)، وأحمد (١/ ١٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤١١)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٥/ ٨٠)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، والبزار (٦٠٥٠)، وابن حبان (٢٥٦٢)، [«صحيح الـجامع» (٢٠٧٠)].

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

وقالَ تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وقالَ ﷺ: «**الـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ**» -أي: من بيتِهَا- «**اسْتَشْرَفَها الشَّيْطَان**»(١) -أي: يزينها في أعينِ الرجالِ.

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(٣).

وقالَ ﷺ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الـمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: «**عِيسَى ابْنُ مَرْيَم، وَصَاحِبُ جُرَيجُ، وكان جُرَيجُ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فيها، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وُهوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيج! فقالَ: يَا ربِّ! أُمِّي وَصَلاَتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِه. فَانْصَرَفَتْ، فَلَـمَّا كان مِنَ الغَدِّ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فقالت: يا جُريج! فقال: يَا ربِّ! أُمِّي وَصَلاَتي فأقبَلَ عَلَى صَلاَته، فانْصَرَفَتْ، فلَـمَّا كَانَ مِن الغدِّ أَتَتهُ وَهوَ يُصَلِّي. فقالت: يا جُريج! فقال: أي ربِّ! أُمِّي وصَلاَتي. فأقبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ. فقالَتْ: اللهمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الـمُومِسَات. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيجًا وَعِبَادَتَهُ وكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغْيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فقالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قالت: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَـمَّا وَلَدَتْ، قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرِيجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وجَعَلُوا يَضْرِبُونَه، فقال:**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، والبزار (٢٠٦١)، وابن خزيمة (١٦٨٥)، وابن حبان (٥٥٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في الكبرى (٩٢١٩)، وأحمد (١/ ١٨)، وأبو يعلى (١٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٣٠)].

مَا شَأْنُكُمْ؟ قالُوا: زَنَيْتَ بِهذهِ البغيّ. فوَلَدَتْ مِنْكَ. فقال: أَيْنَ الصَبِيُّ؟ فُجَاءُوا بِهِ. فقالَ: دَعُوني حَتَّى أُصَلِّي، فلَمّا انْصَرفَ أتَى الصَبِيَّ فَطَعَنَ في بَطْنِهِ وقالَ: يَا غُلام! مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانُ الرّاعي. قالَ: فأَقْبَلُوا على جُريج يُقبّلونَهُ وَيَتَمَسّحُونَ به. وقالوا: نَبْنِي لكَ صَوْمَعتَكَ مِن ذَهَبٍ. قال: لاَ أَعِيدوها مِنْ طِينٍ كمَا كَانتْ فَفَعَلُوا»(١).

وفي الـحديثِ دليلٌ على أن الذين يُخطِّطونَ ويَحثُّونَ ويأمرونَ بالزِّنا هم شياطينُ الإنس، وفيه أيضاً أن مُرتكِبَ الفاحشةِ -الزِّنا- لا تبقَى له حُرمة.

أيها المسلمون! حتى لا تَنتشِرَ فاحشةُ الزِّنا في الـمجتمعِ الـمسلمِ جاءَ الإسلامُ:

أولاً: فحَرّمَ الزنا

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

وقالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابه: «**مَا تَقُولُونَ في الزِّنَا؟**» قالوا: حرامٌ حرّمهُ الله ورسولُه، فهو حرامٌ إلى يوم القيامةِ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لأنْ يَزْنِيَ الرّجلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ؛ أيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أنْ يَزْنِيَ بامْرَأَةِ جارِهِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سعْدٍ؟ فَواللهِ! لأَنَا أغْيَرُ مِنْهُ، واللهُ أغْيَرُ مِنِّي، مِنْ أجْلِ غَيْرةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن**»(٣).

(١) **صحيح**: مسلم (٢٥٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، وأحمد (٦/ ٨)، والبزار (٢١١٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٠٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

ثانياً: أمرَ بحفظِ الفُروجِ.

• قالَ تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠-٣١].

• ومَدحَ اللهُ المؤمنينَ المُتَّصفينَ بهذه الصِّفة، فقالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون]. وذكرَ من صفاتِهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [المؤمنون].

• وأثنى اللهُ تعالى على مريَم لأنها حَصَّنَت فرجَها، قالَ تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم:١٢].

• وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ تأمرُ وتحثُّ على حفظِ الفُروج.

• قالَ ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الـجَنَّةَ**» وذَكَرَ مِنها: «**وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ الـمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، دَخَلَتْ الـجَنَّةَ**»(٢).

ثالثاً: بيَّنَ الإسلامُ آثارَ الزنا السيئةَ على الزُّناةِ في الدنيا والآخرة ومنها:

١- خروجُ الإيمان من الزاني حالَ ارتكابِه جريمةَ الزِّنا

قالَ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي العَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ**

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨١٧٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠١)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه البزار (٧٤٨٠)، من حديث أنس، ورواه أحمد (١/ ١٩١)، من حديث عبد الرحمن بن عوف، ورواه ابن حبان (٤١٦٣)، من حديث أبي هريرة، واللفظ للبزار [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣١)].

مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قال عكرمةُ: قلتُ لابن عباس رضي الله عنهما كيف يُنزَعُ الإيمانُ منه؟ قال: هكذا -وشبك بين أصابعه ثم أخرجها- فإن تاب، عاد إليه هكذا، -وشبَّكَ بينَ أصابِعه-)(١).

وقالَ ﷺ: «**إِذَا زَنَى العَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ**» -أي: نورهُ وكماله- «**وَكَانَ كالظُّلَّة، فَإِذَا انْقَلَعَ مِنْهَا رَجَعَ إِلَيْهِ الإيمانُ**»(٢).

٢- عدمُ استجابةِ دعاء الزاني.

قالَ ﷺ: «**تُفتحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفْرَجَ عَنْهُ؟ فَلاَ يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوةٍ إلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ عزَّ وجلَّ لَهُ، إلاَّ زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أو عشَّارًا**»(٣). ومعنى (تسعى بفرجها) أي: تكتسِبُ، (أو عشاراً) أي: مَكَّاسُ، فإنه لا يُستجابُ لهما لجُرم ذنبهما)(٤).

٣- الزنا موجبٌ لعديدٍ من العقوبات.

ومما يَدلُّ على شناعةِ الزِّنا أنه موجبٌ للعَديدِ من العقوباتِ الشَّديدةِ في الدُّنيا، بعضُها جسديّة، والبعضُ الآخرُ معنويَّة، ولا يَقِفُ الأمرُ عندَ هذا، بل إن هناكَ عقوباتٍ جماعيّةً لا تَقتصِرُ على الزُّناةِ وحدَهم، بل تَتجاوزُ إلى الـجماعةِ التي يَنتشرُ فيها الزِّنا.

أ- العقوبات الـجماعية: لا يَقتصرُ ضَررُ الزِّنا على الزُّناةِ وحدَهم، بل يتعدّى إلى

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٠٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٩٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٣٦)، والحاكم (٥٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٠٩)].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٦٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٧٣)].

(٤) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٣٤٠).

غيرِهم، فيَنزِلُ غضبُ اللهِ تعالى على القَومِ الذين يَكثُرُ فيهم الزِّنا، فيكثرُ فيهم الـموت.

قالَ ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا فَيُوْشكُ؛ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ -عزّ وجلّ- بِعِقَابٍ**»(٢).

وقالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ولا فشا الزنا في قوم قطُّ إلا كثر فيهم الـموتُ)(٣).

وقالَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمَه الله: (وهو موقوفٌ في حكم الـمرفوعِ لأنه لا يُقال من قبل الرأي)(٤).

ويقولُ ابنُ القيِّم رحمَه الله: (الزِّنا من أسبابِ الـموتِ العامِّ والطواعِين الـمُتَّصلةِ، ولما اختلطَتِ البغايا بعَسكرِ موسى عليه السلام وفَشَت فيهم الفاحشةُ، أرسلَ اللهُ إليهم الطاعونَ فماتَ في يوم واحدٍ سبعونَ ألفاً)(٥). كيف لا؟ والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**لَمْ تَظْهَرْ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطٍّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونَ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِم الَّذين مَضُوا**»(٦).

ب- العقوباتُ الفرديةُ: وتنقسمُ العقوباتُ الفرديَّةُ الـمُقرَّرةُ للزُّناةِ إلى قسمَين:

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠)، والحاكم (٢/ ٤٣)، واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٩)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٣٣٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٠٠)].

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي (٣/ ٣٤٦).

(٤) «الصحيحة» (١٠٧).

(٥) انظر: «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (٢٨١).

(٦) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في الأوسط (٤٦٧١)، والحاكم (٨٧٧٢)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

القسمُ الأول: العقوباتُ الجسديةُ.

يَفقِدُ الزّاني والزّانيةُ إذا كانا مُحصَنَينِ حقَّ البقاءِ على قيدِ الحياةِ بارتكابهما جريمةَ الزِّنا. قالَ ﷺ: «**لاَ يحِلُّ دَمُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهِ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاث: الثَيِّبُ الزّاني، وَالنَّفْسُ بِالنّفْسِ، والتّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَماعَةِ**»(١).

ويُقتَلانِ رجماً بالحجارةِ، فإنهما لما تَلَذَّذت أجسادُهم بالحرام، عُوقِبوا بالرَّجمِ حتَّى الموت، لتَذوقَ جميعُ أجزائهم نصيبَها من العذاب. قالَ ﷺ: «**الوَلَدُ للفِرَاشِ وَللعَاهِرِ الحَجَر**»(٢).

أما إذا كانَ الزّانيانِ غيرَ محصنَين، فيُجلَدُ كلُّ واحدٍ منهما مئةَ جلدة. قالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النور:٢].

القسم الثاني: العقوباتُ المعنويةُ.

إلى جانبِ العُقوباتِ الجسديّةِ التي ذكرنا، فإن هناكَ عقوباتٍ معنويةً للزُّناةِ أيضاً، وقد تكونُ العقوباتُ المعنويّةُ أشدَّ وقعاً على نفسِ الزَّاني من العُقوباتِ الجسديَّةِ ومنها:

أولاً: التفضيح

لقد أمرَ الله تعالى بتنفيذ عقوبة الزنا علانية فقال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور]. ولعلَّ التفضيحَ يُنكِّلُ بالزاني أكثرَ مما يُنكلُ به التعذيب.

(١) صحيح: مسلم (١٦٧٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٨).

ثانياً: تحريمُ مناكحةِ الزناةِ ما لم يتوبوا

• قالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [النور].

• ولما قالَ مرثدُ ابنُ أبي مرثدٍ -وكانَ رجلاً يحملُ الأسرى من مكَّةَ، حتى يأتيَ بهم المدينة-: يا رسولَ الله! أنكحُ عِناقاً؟ -أي: أتزوجُها-. وعناقُ كانت امرأةً بغيًا بمكةَ وكانت صديقةً له، فأمسكَ رسولُ اللهِ ﷺ ولم يردَّ عليه شيئاً حتى نزلتَ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ﴾. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا مرْثَدُ! الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أوْ مُشْرِكٌ فَلا تنْكِحْها**»[1].

يقولُ الشَّيخُ السِّعديُّ رحمَه الله في تفسيرِ الآية: (هذا بيانٌ لرذيلةِ الزِّنا، وأنه يُدنِّسُ عِرضَ صاحبِه، وعِرضَ من قارنَه ومازَجه، ما لم تَفعلْه بقيّةُ الذنوب)[2].

ولهذا ذهبَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ إلى تحريمِ نكاحِ الزّاني من امرأةٍ عفيفةٍ، وتحريم نكاحِ العفيفِ من زانية، إلا أن تَقعَ التوبة.

ثالثاً: ردُّ شهادة الزناة.

فقد تقرَّر في الإسلامِ أن الزَّانيَ يَفقِدُ أهليّةَ أداءِ الشَّهادة، عقوبةً له على ارتكابِ هذه الجريمةِ العظيمة. قالَ ﷺ: «**لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلاَ خَائِنَةٍ، وَلاَ زَانٍ ولا زَانِيَةٍ**»[3].

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣١٧٧)، وأبو داود (٢٠٥١)، والنسائي (٦/ ٦٦)، واللفظ للترمذي [«صحيح الترمذي» (٣٥٣٨)].

(٢) تفسير «كلام المنان» (٥/ ٣٨٩).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٣٦٠١)، والبيهقي (١٠/ ٢٠١)، [»صحيح سنن أبي داود« ()].

٤- عذابُ الزُّناة في القَبرِ ويومَ القيامةِ

أما في القبر:

فقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رجُلَيْن أَتَيَانِي... قالاَ: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ لاَ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فقلتُ: من هذا؟... قالا:... وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثّقْبِ فَهُمُ الزنَاةِ**»[١].

أما في الآخرة:

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ -أي: جزاءً-: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ -أي يكرَّرُ عليه ويُغلّظ- ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ -أي: حقيرًا ذليلاً- [الفرقان].

وقالَ ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمَهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامِةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». وذكر منهم: «**شَيْخٌ زَانٍ**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**لاَ يَنْظُرُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ إِلَى الشَّيْخِ الزَّانِي، وَلاَ العَجُوزِ الزَّانِيَةِ**»[٣].

فالزِّنا فاحشةٌ مدمِّرةٌ، تُدمّرُ الفردَ والأسرةَ والـمجتمعَ، وتُخربُ الديار، وتُسِّودُ الوجوه، وتَخلِطُ الأنسابَ، ولا يُحبُّها إلا خبيثٌ أو خبيثةٌ، ولذلكَ أعلنَ الإسلامُ الـحربَ على الزُّناةِ، وطاردَهم في كلِّ مكانٍ ليُطهِّرَ مجتمعَ الـمُسلمِينَ من هذه الفاحشة.

---

(١) **صحيح**: البخاري (١٣٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٧).

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٨٤٠١)، [«الصحيحة» (٣٣٧٥)].

عبادَ اللهِ! أما الـمؤمنونَ الصّادقونَ أصحابُ الفِطَرِ السليمةِ فإنهم حَفِظوا فروجَهم من فاحشةِ الزِّنا، ولم يَقترِبوا من أيِّ عملٍ يُقرِّبُهم منها، ولذلكَ فاللهُ -عزَّ وجلّ- يُبشِّرُهم في كتابِه، والنَّبيُّ ﷺ يُبشِّرُهم في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بفلاحِ الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون]. وذكرَ من صفاتِهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون].

ثانياً: يُظلهم اللهَ في ظلّهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه

قالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهم اللهِ في ظِلِّهُ يومَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه**». وذكرَ منهم: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ؛ فقالَ: إِنِّي أَخَافُ الله**»(١).

ثالثاً: يبشرهم بالمغفرةِ والأجرِ العظيم

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ ماذا أعدَّ اللهُ لهم: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب].

رابعاً: يُبشِّرُهم بالجنَّةِ في الفردوسِ الأعلى.

• قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون]. إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

• وقالَ تعالى في وصفِ عبادِ الرَّحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان].

• وقالَ تعالى في وصفِ المُصلِّين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المعارج] إلى قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

• وقالَ ﷺ: **«اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: أَصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»**(١).

• وقالَ ﷺ: **«إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ»**(٢).

• وقالَ ﷺ: **«مَنْ يَضْمنْ لِي مَا بَيْنَ لَحَييهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»**(٣).

فكيفَ يحفظُ الإنسانُ فرجَه من فاحشةِ الزِّنا؟ هذا الذي سنَعرِفُه في الجمعةِ القادمةِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- إن كانَ في العُمرِ بقيّة.

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠١)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه البزار (٧٤٨٠)، من حديث أنس، ورواه أحمد (١/ ١٩١)، من حديث عبد الرحمن بن عوف، ورواه ابن حبان (٤١٦٣)، من حديث أبي هريرة، واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٣١)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

٢٨

ثانيًا: كيف يحفظُ المسلمُ فرجَهُ من فاحشةِ الزنا؟

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾[الأحزاب].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي أيضًا: تَبشيرُه ﷺ للحَافظينَ فروجَهم والحافظاتِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

قُلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إن الحافظينَ فروجَهم والحافظاتِ من فاحشةِ الزنا، يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِه.

أولاً: بفلاحِ الدُّنيا والآخرة.

ثانيًا: يُظلُّهم اللهُ في ظلِّهِ يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ.

ثالثاً: يُبشِّرُهم بالمغفرةِ والأجرِ العظيم.

رابعاً: يُبشِّرُهم بالجنَّةِ والنَّعيمِ المقيم.

وقُلنا أيضاً: إن الزِّنا قبيحٌ شرعًا وعقلاً، وجريمةٌ نكراءُ لأنها تُطأطِئُ الرؤوسَ العاليةَ، وتُسَوِّدُ الوجوهَ البيضاءَ، وتُخرِسُ الألسنةَ البليغةَ، وإذا وقع الزنا في بيتٍ دمَّرَهُ وأفقرَهُ، وإذا وقعَ في مجتمعٍ كَثرتْ فيه الأمراضُ الفتاكةُ، وحلَّ به عذابُ اللهِ.

قالَ ﷺ: **«إذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ فَقَدْ أحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ»**[١].

وقالَ ﷺ: **«لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا فيُوْشِك أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بِعِقَابٍ»**[٢].

وقالَ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: (ولا فَشا الزِّنا في قوم قطُّ إلا كثرَ فيهم الـموت)[٣].

والـموتُ يكثرُ في الأمةِ بانتشارِ الأمراضِ الـخبيثةِ، والأمراضُ الـخبيثةُ تنتَشرُ في الأمّةِ بانتشارِ فاحشةِ الزنا.

قالَ ﷺ: **«لَمْ تَظْهَرْ الفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلاَّ فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ والأَوْجَاعُ الّتي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ في أسْلاَفِهِمْ الذِينَ مَضَوا»**[٤].

• وحِفاظاً على أعراضِ الـمسلمين، وحِفاظاً على الأنسابِ، وحِفاظاً على الـمجتمعِ الـمسلمِ من شُؤمِ فاحشةِ الزِّنا، جاءَ الإسلامُ:

• فحرَّمَ الزنا، وحرَّمَ مناكحةَ الزُّناةِ حتى يتوبوا. فقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

وقالَ تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في الكبير (٤٦٠)، والحاكم (٢٢٦١)، واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٩)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٣٣٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٠٠)].

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي (٣/ ٣٤٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٧)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في الأوسط (٤٦٧١)، والحاكم (٨٧٧٢)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [النور].

• وأمرَ بحفظِ الفروجِ من فاحشةِ الزِّنا. **فكيف يحفظُ المسلمُ فرجه من فاحشةِ الزنا؟**

يَحفظُ المسلمُ فرجهُ من فاحشةِ الزِّنا بما يلي:

أولاً: بغض البصر

ولذلكَ أمرَ اللهُ المؤمنينَ والمؤمنات في كتابه بغَضِّ البصر ليَحفَظوا فروجَهم. قالَ تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ [النور:٣٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

• وأمرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَهُ بغضِّ البَصرِ ليَحفظوا فروجَهم.

• فقالَ ﷺ: «**اضْمَنُوا لي سِتًّا مِنْ أنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الـجَنَّةِ**» وذكرَ منها: «**وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالـجُلُوسَ بالطُّرُقَاتِ**» فقالوا: يا رسول الله! ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها فقال: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلاَّ الـمَجْلِسَ، فأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قالوا: ومَا حقُّ الطريقِ يا رسولَ الله؟! قال: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالـمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الـمُنْكَرِ**»(٢).

• وقالَ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «**يا عَلِيُّ! لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَة، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الأُخْرَى**»(٣).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨١٧٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠١)]

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١).

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٧٧٧)، وأبو داود (٢١٤٩)، وأحمد (٥/ ٣٥١)، والحاكم (٢٧٨٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠٣)].

• وعن جرير بنِ عبدِالله رضي الله عنه قالَ: (سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظر الفُجاءة فأمرَني أن أصرِفَ بصري)(١).

أتدرونَ لماذا أمرَ اللهُ في كتابهِ ورسولهُ ﷺ في سنتِه بغضِّ البصر؟ لأن النَّظرَ بريدُ الزنا، وهو الشَّرارةُ الأولى لوقوعِها كما قالوا: نظرةٌ فابتسامةٌ فموعدٌ فلقاءٌ، وإذا التقى الرَّجلُ بالـمرأةِ كانَ الشَّيطانُ ثالِثَهما، والشَّيطانُ لا يأمرُ إلا بالفَحشاءِ والـمنكر.

• قالَ ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٢).

قالَ ابنُ القيِّم: (فبدأ بزنا العين؛ لأنه أصلُ زنا اليدِ والرجلِ والقلبِ والفرج)(٣).

• وكما قالَ القائل:

كُلُّ الـحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ   وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

• ولذلكَ جاءت الأدلةُ تُحرِّمُ النَّظرَ إلى الـمرأةِ الأجنبيّةِ، وتبينُ أن زنا العينين النَّظر.

• قالَ ﷺ: «العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَاليَدَانِ تَزْنِيَانِ، والرجْلاَنِ تَزْنِيَانِ، والفَرْجُ يزْنِي»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٥٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧).

٣) «روضة الـمحبين» (ص٦٣).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤١٢)، والبزار (١٩٥٦)، وأبو يعلى (٥٣٦٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠٥)].

• وقالَ ﷺ: «**أَيُّـما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[١].

• وقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! علِّمْني دعاءً أنتفعْ به. قال ﷺ: «**قُلِ اللهمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي**»[٢] قال وكيع: (مَنِيِّي) يَعْنِي الزِّنَا وَالْفُجُورَ.

• وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه (حِفظُ البصر أشدُّ من حفظِ اللسان)[٣]. وقال أيضاً: (الإثمُ حوّاز القلوبِ، وما من نظرةٍ إلا وللشيطان فيها مطمعٌ)[٤].

• وقالَ وكيعُ بنُ الـجرّاحِ رحمَه الله: (خَرجنا معَ سفيانَ الثوريِّ في يومِ عيدٍ، فقالَ: (إنّ أولَ ما نبدأُ به في يومِنا غضُّ أبصارنا)[٥]. وكما قيل: (ومن حَفِظَ بصَره أورثَه اللهُ نوراً في بصيرتِه)[٦].

كيفَ يَغضُّ الـمسلمُ بصرَهُ؟ يَستعينُ الـمسلمُ على غضِّ بصرِهِ بما يلي:

١- بالزَّواج

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ للبَصَرِ، وَأَحْصَنُ للفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ**»[٧].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٨/ ١٥٣)، وأحمد (٤/ ٤٠٠)، وابن خزيمة (١٦٨١)، واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠١٩)]

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في الأدب الـمفرد (٦٣٣)، والترمذي (٣٤٩٢)، والنسائي (٨/ ٢٥٥)، وأحمد (٣/ ٤٢٩)، [«صحيح الجامع» (١٢٩٢)].

(٣) «الورع» لابن أبي الدنيا (٦١).

(٤) **صحيح**: رواه هناد في «الزهد» (٩٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥٤٣٤)، [«الصحيحة» (٢٦١٣)].

(٥) «الورع» لابن أبي الدنيا (٦٦).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦).

(٧) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

٢- بمُراقبةِ اللهِ عزَّ وجلّ في السرِّ والعلنِ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

وقالَ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت].

وقالَ رجلٌ لعالمٍ: (بم أستعينُ على غضِّ البصرِ؟! فقال له العالـمُ: بعلمِكَ أنَّ اللهَ ينظُرُ إليكَ قبلَ أنْ تَنظُرَ إلى الـمرأةِ).

وكانَ الإمامُ أحمدُ يُردد قول الشاعر:

إِذَا مَا خَلوتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تَقُلْ خَلَوتُ ... ولـكـنْ قُـلْ عَـلَـيَّ رَقـيـبُ
ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ ساعةً ... وَلاَ أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغيبُ

ولذلكَ لما راوَدَ الأعرابيُّ الأعرابيّةَ عن نفسها في الصَّحراءِ وقالَ لها: لا يرانا إلا الكواكب، فصَرخَت فيه وقالت: ويحَك! وأين ربُّ الكواكب؟!

٣- بتقوى اللهِ عزَّ وجلّ:

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف].

وكذلكَ لما ذكَّرت الفتاةُ ابنَ عمِّها بتقوى اللهِ، فقالَت له: «**اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الـخاتمَ إلا بحقِّه**»[١]، تَذكَّرَ ولم يَقترِف فاحشةَ الزِّنا. وقالَ النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ: «**اتقِّ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، من حديث أبي ذر، ورواه الطبراني في الأوسط (٣٧٧٩)، من حديث معاذ بن جبل [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٥)].

وقالَ ابن دقيقِ العيدِ رحمه الله تعالى: (إن التَّقوى سببٌ لغضِّ البصرِ وتحصينِ الفرج)(١).

٤- بالعلم الشرعي عامةً، وبالعلم بأسماء الله وصفاتهِ خاصةً

فالـمسلمُ الذي يَعتقدُ أن من أسماءِ اللهِ وصفاتِه: البصيرُ، ويعتقدُ بأن الله يراهُ ويطلعُ عليه، فإنهُ يغضُّ بصرَهُ حياءً من الله.

٥- بالاستحياءِ من الله حق الحياء.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الـحَيَاءِ**» قال: قلنا: يا نبيَّ الله! إنا نستحي والـحمدُ لله، قال: «**لَيْسَ ذَلِكَ، وَلكنَّ الاسْتِحْيَاء مِنَ اللهِ حَقَّ الـحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَّكرَ الـمَوْتَ وَالبِلَى، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَة تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقِّ الـحَيَاءِ**»(٢).

الـمرأةُ أعظمُ فتنةٍ للرجالِ. قالَ ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**الـمرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ**» -أي مِن بيتها- «**اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(٤) -أي: يزينها في أعين الرجالِ.

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الـمَرأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورةِ شَيْطَانٍ**»(٥).

---

(١) انظر: «أحكام الأحكام» (ص٥٦٩).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والبزار (٢٠٢٥)، والحاكم (٧٩١٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤)].

(٣) **صحيح**: البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، والبزار (٢٠٦١)، وابن خزيمة (١٦٨٥)، [«صحيح الجامع» (٦٦٩٠)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

فالـمسلمُ بغضهِ لبصرِهِ عن هذه الفتنةِ يَحفَظُ فرجهُ، والذي يَحفَظُ فرجَهُ ينجو من فاحشةِ الزِّنا.

ثانياً: يستعينُ المسلمُ على حفظِ فرجه من فاحشةِ الزنا: بعدم الاختلاط بالنساءِ الأجانب.

قالَ ابن القَيِّم رحمَه الله: (الاختلاطُ أصلُ كُلِّ بليةٍ وشرٍّ)[١]. وذلك لأن الـمرأةَ فتنةٌ عظيمةٌ للرجال، والدَّليل على ذلك:

• قولُه تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران:١٤]. فجعلَ اللهُ الـمرأةَ في مقدّمةِ الشَّهواتِ التي يَشتهيها الرَّجل.

• وقالَ ﷺ: «**إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خضرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[٢].

ومن أجل الـحفاظِ على الـمجتمعِ من فتنةِ النِّساء، جاءَ الإسلامُ فحَرَّمَ الاختلاطَ بينَ الرِّجالِ والنِّساء.

• **وهذه أدلةٌ مِن كتاب الله على تحريم الاختلاط**

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ

(١) انظر: «الطرق الـحكمية» (ص٣٢٩).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ [القصص].

ففي هذه الآياتِ دليلٌ واضحٌ على التَّحذيرِ من الاختلاط، وأن فيه ضرراً على العفيفاتِ الشَّريفات، وقولُها: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ دليلٌ على عدمِ خروجِ النِّساءِ إلا للضَّرورةِ القُصوى.

وأما الأدلةُ من السنة على تحريم الاختلاط فهيَ:

• قوله ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّها آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّها أوَّلُـها**»(١).

وهذا الشرُّ الذي وُصِفَ به آخرُ صفوفِ الرجال وأولُ صفوفِ النِّساء، ما هو إلا للقُربِ الكائنِ بينهما.

• وقالَ ﷺ: «**إيَّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فقالَ رجلٌ من الأنصارِ: يا رسولَ الله! أفرأيتَ الـحمو؟ قال: «**الـحَمو الـمَوْتُ**»(٢). -وَالـحمو: قريبُ الزَّوجِ-. فحَذَّرَ ﷺ من الدُّخولِ على النِّساء، سواءً كنَّ من أقاربِ الرِّجالِ كبناتِ العمِّ وبناتِ الـخالِ ونحوهنَّ... أو من الأجنبيّاتِ، وهذا الأمرُ مما يَتساهلُ فيه الكثيرُ من النّاسِ، فالـحَذرَ الـحذرَ!

• عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: (قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَوْ تَرَكْنَا هذا البَابَ للنِّسَاءِ**» قالَ نافعٌ: فلم يَدخُلْ منه ابنُ عمرَ حتى مات)(٣). فجَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ للنِّساءِ باباً خاصاً بهنَّ في الـمسجدِ منفصلاً عن الرِّجال، كلُّ ذلكَ حتى لا

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٤٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٧١)، والطيالسي (١٨٢٩)، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، [«صحيح الـجامع» (٥٢٥٨)]

يَحصلَ الاختلاطُ بينَ الـجنسَين.

• قالَ بعضُ الصّالـحينَ: (لو ائتمنوني على ملءِ الأرضِ ذهباً لائتُمنت، ولو ائتمنوني على جاريةٍ سوداءَ دميمةٍ ما ائتمنت).

• وهذه كاتبةٌ أمريكيةٌ تقول في زيارتها لبلاد الـمسلمين: (امنَعوا الاختلاط، وقيِّدوا حريَّةَ الـمرأة، بل ارجِعوا إلى عصرِ الـحجابِ، فهو خيرٌ لكم من إباحةِ وانطلاقِ ومُجونِ أوروبا وأمريكا. امنعوا الاختلاطَ فقد عانَينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبحَ الـمجتمعُ الأمريكيُّ مُعقَّداً مليئاً بكلِّ الصُّورِ الإباحيَّةِ والـخلاعة، وإن ضحايا الاختلاطِ والـحريَّةِ يملؤونَ السُّجونَ والأرصفةَ والباراتِ والبيوتَ السِّريَّةَ... إن الاختلاطَ والإباحيَّةَ والـحريَّةَ في الـمُجتمعِ الأوروبيِّ والأمريكيِّ هدَّدَ الأسرَ وزلزلَ القِيَمَ والأخلاقَ... إلى آخرِه)[١].

فكونوا عبادَ الله من الاختلاطِ بالنِّساءِ على حَذَرٍ، فهو سَببٌ لكلِّ شرٍّ وبليةٍ.

ولم يكتفِ الإسلامُ بتحريم الاختلاطِ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ الأجانب، بل حرَّم الـخُلوةَ بالـمرأةِ الأجنبيَّةِ؛ لأن ذلكَ يُؤدِّي إلى وقوعِ فاحشةِ الزِّنا، والـمرأةُ الأجنبيَّةُ هي التي يَحِلُّ للرَّجلِ أن يتزوَّجَ بها.

• **والأدلةُ على تحريم الـخلوة بالـمرأة الأجنبية**

• قالَ ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَة إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَم**». فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ الله! امرأتي خرجَت حاجّةً واكتُتِبْتُ في غزوةِ كذا وكذا. قالَ: «**ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِك**»[٢].

قالَ ابنُ القيِّم رحمَه الله: (... أنه ﷺ حرَّم الـخلوةَ بالأجنبيَّةِ، ولو في إقراءِ

(١) انظر: كتاب «الاختلاط بين الرجال والنساء» (ص٢٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١)، واللفظ للبخاري.

القرآن، والسَّفرَ بها ولو في الحجِّ وزيارةِ الوالدَين، سدًا لذريعةِ ما يُحاذَرُ من الفِتَنِ وغَلبَاتِ الطِّباع)[١].

• وقالَ ﷺ: «... **وَلا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»[٢].

• وقالَ ﷺ: «**ألا! لاَ يبيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امرأةٍ ثَيِّبٍ، إلاَّ أنْ يَكُونَ نَاكِحًا أو ذَا مَحْرَم**»[٣].

قالَ الإمامُ النَّوويُّ رحمَه الله: (ومعناه لا يَبيتَنَّ رجلٌ عند امرأةٍ إلا زوجُها أو مَحرمٌ لها).

وحفاظاً على الأعراضِ والفُروجِ، وحفاظاً على المسلمينَ من الوقوعِ في فاحشةِ الزنا: حَرَّمَ الإسلامُ الاختلاطَ بينَ الرِّجالِ والنِّساء، وحرَّم الخلوةَ بالمرأةِ الأجنبيَّةِ، ولم يكتفِ بذلكَ بل حرَّمَ مصافحَةَ المرأة الأجنبية؛ لأنّه سببٌ للوقوع في فاحشةِ الزِّنا. قالَ ﷺ مُحذِّراً من مصافحةِ النِّساء: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَديدٍ خَيْرٌ لَهُ مَنْ أنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لاَ تَحِلُّ لَهُ**»[٤].

قالَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمَه الله: (وفي الحديثِ وعيدٌ شديدٌ لمن مسَّ امرأةً لا تَحِلُّ له، ففيه دليلٌ على تحريم مُصافحةِ النِّساء)[٥]. كيفَ لا؟ وهذا رسولُنا ﷺ وأُسوتنا الذي أمرَنا اللهُ تعالى أن نتأسَّى به يقولُ: «**إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ**»[٦].

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٥١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧١)، وأحمد (١/ ١٨)، [«الصحيحة» (٤٣٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٧١).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٢١)، [«الصحيحة» (٥٠٤٥)]

(٥) : رواه الترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٤١٨١)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، [«الصحيحة» (٥٢٩)].

(٦) **صحيح**: رواه النسائي (٧/ ١٤٩)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، [«صحيح الجامع» (٢٥١٣)].

ثالثاً: يستعين المسلمُ على حفظِ فرجهِ من فاحشة الزنا: بالخوف من الله، والمحافظة على الصلاة.

قالَ تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام].

قالَ يوسفُ عليه السلام لامرأةِ العزيزِ عندَما راودَته عن نفسِه: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف].

وقالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِّلُهُم اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظَلَّ إلاَّ ظِلَّهِ**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ دَعْتهُ امرأة ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقالَ: إِنِّي أَخَافَ اللهِ**»(١).

أما الصلاةُ:

فقالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [المعارج] إلى أن قالَ ربُّ العِزَّةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ [المعارج].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إن فلانًا يُصلِّي باللَّيلِ، فإذا أصبحَ سَرقَ! قالَ ﷺ: «**إنه سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٧)، والبزار (٩٢١٧)، وابن حبان (٢٥٦٠)، [«الصحيحة» (٣٤٨٢)].

رابعاً: يَستعينُ المسلمُ على حفظِ فرجهِ من فاحشةِ الزِّنا: بالابتعادِ عن مُجالسةِ قُرَناءِ السُّوءِ الذي يَتَّبعونَ شهواتِهم

وقد جاءَت الأدلَّةُ من الكتاب والسُّنَّةِ تُحذِّرُ منهم. قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ۝٢٧﴾ [النساء].

وقالَ جلَّ وعلا: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ۝٢٩﴾ [الفرقان].

وقالَ سبحانه: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨﴾ [الزخرف].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١). وقال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٢).

(وصحبةُ الأخيارِ تُوصِلُ العبدَ إلى أعلى علِّيِّنَ، وصُحبةُ الأشرارِ توصلُ إلى أسفلِ سافلين)(٣). ولذلكَ قالَ ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، وأحمد (٢/ ٣٠٣)، وعبد بن حميد (١٤٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٢٧)].

(٣) «مجتبي الفوائد الدعوية التربوية» (ص١٠١).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٥)، وأبو يعلى (١٣١٥)، وابن حبان (٥٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٦)].

فالصَّاحبُ ساحبٌ، فقَرينُ السُّوء يَسحبُ صاحبَهُ إلى:

أولاً: مشاهدةِ الأفلامِ الـمُثيرةِ التي تَنتهي بفاحشةِ الزِّنا. فكَم من فتاةٍ عفيفةٍ أصبَحت من البَغايا بسَببِ قُرناء السُّوءِ والزّانيات. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (ودَّتِ الزانيةُ لو زنى النِّساءُ كلُّهنَّ)(١). وكَم من شابٍ عفيفٍ أصبحَ من الزُّناةِ بسَببِ قُرناءِ السُّوء.

ثانياً: سماعُ الغناءِ الـماجن، وآلاتِ اللهو والـمعازف التي هي سببٌ للوقوع في فاحشة الزنا.

قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٦].

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (هو والله الغناء)(٢).

وقالَ صلى الله عليه وسلم: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَم يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ»** -يَعْنِي الْفَقِيرَ- **«لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ الله وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(٣).

وقالَ صلى الله عليه وسلم: **«فِي هَذِه الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ»** فقالَ رجلٌ من الـمسلمينَ: يا رسولَ اللهِ! ومتى ذلك؟ قال: **«إِذَا ظَهَرَتْ القِيَانُ والـمَعَازِفُ وَشُرِبُت الـخُمُورُ»**(٤).

(١) «مواعظ الصحابة» (ص١١٠).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص١٤٣).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٥٥٩٠).

(٤) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٢١٢)، من حديث عمران بن حصين، وعبد بن حميد (٤٥٢)، من حديث سهل الساعدي [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٧٩)].

ثالثاً: شُرْبُ الـخمرِ وجميعِ الـمخدراتِ التي تنتهي بفاحشةِ الزِّنا.

قالَ ﷺ: «**الـخَمْرُ أُمُّ الفَوَاحِشِ، وَأَكْبَرُ الكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا، وَقعَ عَلَى أُمِّهِ وَخَالَتِهُ وعَمّتِهُ**»(١).

نعم، فالـخَمرُ أُمُّ الـخبائثِ والفواحشِ، وهي مِفتاحُ الشُّرورِ والآثام؛ تُسبِّبُ ذهابَ العقلِ، وسلبَ الإيمانِ، ومِصداقُ ذلكَ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزّاني حِينَ يَزْنِي وهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٢).

فأضرارُ الـخَمرِ وخيمةٌ، وعواقِبُها أليمةٌ، إنها عِلَّةُ الشَّقاءِ، والبابُ إلى البأساءِ والضَّرَّاءِ، إنها تُذهِبُ العِفَّةَ والأمانةَ والشَّرفَ والـمروءةَ، وتُفسِدُ الأخلاقَ، وتُذهِبُ الـحياءَ، وتَجلِبُ الشَّرَّ والشَّقاء.

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٣١٣٤)، [«الصحيحة» (١٨٥٣)]

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

٢٩

تبشيرهُ ﷺ للمعَظِّمين ليومِ الـجمعةِ بسعادةِ الدنيا والآخرةِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسَّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُعظِّمِينَ ليومِ الـجمعةِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

ويومُ الـجمعة سيِّدُ الأيامِ وأعظمُها عندَ اللهِ، وهو من شعائرِ اللهِ التي يَجِبُ على الـمسلمَينَ أن يُعظِّمُوها.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الـجمعة].

وقالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ يومَ الـجُمعةِ سَيِّدُ الأيّامِ وَأَعْظَمُها عِنْدَ الله، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوم الأَضْحَى وَيَوم الفِطْرِ**»(١). وقالَ ﷺ: «**مَا طَلَعتْ الشَّمْسُ ولاَ غَرُبَتْ عَلَى يَوْم خَيْرٌ مِنْ يوم الـجُمُعَةِ، هَدَانا اللهُ لهُ، وضَلَّ النَّاسُ عَنْهُ، فَالنَّاسُ لَنا فِيهِ تَبَعٌ، فهُوَ لَنَا، ولليَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَللنّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، إنَّ فيهِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيئًا إلاَّ أعْطَاه**»(٢). يصلي: أي يدعو.

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْعَثُ الأَيَّامَ يومَ القِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعثُ الـجمعةَ زَهْرَاءَ مُنيرةً، أَهْلُهَا يَحُفُّونَ بِهَا كَالعَرُوس تُهْدَى إِلَى كَرِيمَها، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا، وَرِيحُهُم يَسْطَعُ كَالـمِسْك، يَخُوضُونَ فِي جبَالِ الكَافورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ الثّقلَانِ، مَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا، لاَ يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إلاَّ الـمُؤَذِّنُونَ الـمُحْتَسِبُونَ**»(٣).

والذي دفَعني للحَديثِ عن تَعظيمِ يومِ الـجمعة، وأنها من شعائرِ اللهِ أُمورٌ:

الأمرُ الأولُ: أنّي رأيتُ كثيراً من المسلمينَ -وللأسفِ الشَّديدِ- تركوا صلاةَ الجمعةِ وضيّعوها بسَببِ جمعِ الدُّنيا الفانيةِ، وبسَببِ المعيشةِ في بلادِ الكفرِ

أقولُ لهؤلاءِ: أنسيتُم أن صلاةَ الـجمعةِ فرضُ عينٍ على كلِّ مسلم بالغ عاقلٍ حُرٍّ ذَكَرٍ صَحيحٍ مُقيمٍ، وأنها من شعائرِ الله، والـمحافظُ عليها من الـمُعظِّمينَ لشعائرِ الله.

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٠٨٤)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٨٨٨)].

٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٥١٨)، والبزار (٨٤٣٣)، والنسائي في الكبرى (٩٩٢٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٩٥)]

٣) **حسن**: رواه ابن خزيمة (١٧٣٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٥٧)، والحاكم (١٠٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٧٠٦)].

قالَ تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩].

وقالَ ﷺ: «**الـجُمُعَةُ حقٌّ واجبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِم، في جَماعةٍ، إلاَّ أرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أو امرأةٌ، أوْ صَبيٌّ، أوْ مَريضٌ**»(١). وقالَ ﷺ مُحَذِّراً من التَّخلُّفِ عن صلاةِ الـجمعةِ لغيرِ عُذْرٍ: «**مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهاوُنًا بِهَا؛ طَبَعَ اللهُ على قَلْبِهِ**». وفي روايةٍ: «**مَنْ تَرَكَ الـجُمُعَةَ ثَلاثاً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُنَافِقٌ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الـجُمُعاتِ**(٣)**، أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم، ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ**»(٤). وقالَ ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أن آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الـجُمْعَةِ بُيُوتَهُم**»(٥). وقال ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ نِداءَ الْجُمُعَةِ وَلَمْ يَأْتِ طَبَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَلْبِهِ فَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنافِقٍ**»(٦).

الأمرُ الثاني: أنِّي رأيتُ كثيراً من المسلمين لا تحلو لهم المعصيةُ إلا في يومِ الجمعةِ وليلتِها.

فأقولُ لهؤلاءِ: أهذا هو التَّعظيمُ منكُم ليومِ الـجمعةِ؟ أهذا هو التَّعظيمُ منكم

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٠٦٧)، والـحاكم (١٠٦٢)، [«صحيح الـجامع» (٣١١١)]

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي (٣/ ٨٨)، وأحمد (٣/ ٤٢٤)، وابن حبان (٢٥٨)، واللفظ الثاني لابن حبان [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٢٧)].

(٣) (وَدْعِهِم الـجُمُعات) أي: تركهم الـجمعات.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٥).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٢).

(٦) **حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والـمثاني» (٢١٩٧)، وأبو يعلى (٧١٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٥)].

لشعائر الله؟ أنسيتُم أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**إنَّ يومَ الـجُمعةِ سَيِّدُ الأيّام، وَأَعْظَمُها عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْم الأضْحَى وَيَوم الفِطْرِ، فيهِ خَمْسُ خِلالٍ؛ خَلَقَ اللهُ فيه آدمَ. وأَهْبَطَ اللهُ فيهِ آدَمَ إلَى الأرْضِ. وَفيهِ تَوَفَّى اللهُ آدمَ. وفيهِ سَاعةٌ لاَ يَسْألُ اللهَ فِيها العَبْدُ شَيئاً إلاّ أعْطَاهُ. مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرامًا. وَفِيهِ تَقُومُ السّاعةُ. مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا سَماءٍ وَلاَ أرْضٍ ولاَ رِياحٍ وَلاَ جِبالٍ وَلاَ بَحْرٍ إلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقنَ مِن يوم الـجُمعةِ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**لاَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلاَ تَغْرُبُ عَلَى أَفْضَلِ مِنْ يوم الـجُمُعَةِ، وَمَا مِنْ دَابّةٍ إلاَّ وَهِيَ تَفْزَعُ يَوْمَ الـجُمُعَةِ، إلاَّ هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ: الـجِنُّ وَالإنْسُ**». وفي رواية: «**ومَا مِنْ دَابَةٍ إلاَّ وَهِيَ مُصيخةٌ**(٢) **يومَ الـجُمُعةِ مِن حِينِ تُصْبِحُ، حَتَّى تَطْلُعَ الشّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السّاعَةِ، إلاَّ الإنْسُ وَالـجِنُّ**»(٣).

الـمخلوقاتُ مُشفِقةٌ من يوم الـجمعةِ خوفاً من قيامِ السَّاعةِ، وأنتَ يا ابنَ آدم! لا يَحلو لك الزِّنا وشربُ الـخَمرِ والـمعاصي إلا في يوم الـجُمعة وليلتِها. يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لكَ ولأمثالِكَ من العُصاةِ الـمُجرمِينَ: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت].

ويقولُ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف].

الأمرُ الثالثُ: أني رأيتُ كثيراً من الُمسلمِينَ الذين يُصَلُّون الـجُمعةَ لا يتأدَّبونَ بآدابِ يومِ الـجمعةِ التي هي من التَّعظيمِ لشَعائرِ الله

• فمنهم من يُضيِّعُ صلاةَ الفجرِ يومَ الـجمعةِ في الـمسجدِ بسببِ السَّهرِ

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٠٨٤)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٨٨٨)].

(٢) (مصيخة)، معناه: مستمعة ومصغية.

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (١٠٤٦)، والنسائي (٣/ ١١٣)، وأحمد (٢/ ٤٨٦)، وابن حبان (٢٧٧٠)، واللفظ الأول لابن حبان [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٩٧)].

بعدَ العشاءِ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أفْضلُ الصّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلاَةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الـجُمُعَةِ في جَمَاعَةٍ**»[(١)].

• ومنهم من يأتي لصلاةِ الـجُمعةِ بلباس العمل، ولا يَغتَسِل للجُمعة، ورائحتُهُ كريهةٌ، يؤذي عبادَ الله والـملائكةَ، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَنْ أَتى الـجُمُعة فَلْيَغْتَسِلْ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ هَذا يومُ عيدٍ جَعَلَهُ اللهُ للمُسْلمينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الـجُمُعَة فَلْيَغْتَسِلْ، وإنْ كَانَ طيبٌ فَليمسَّ مِنْهُ، وعَلَيْكُمْ بالسِّوَاك**»[(٣)]. وقالَ ﷺ: «**مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إنْ وَجَدَ سَعَةً، أنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لجُمعَتِهِ، سِوَى ثَوبيْ مِهْنَتِه**»[(٤)].

• ومنهُم من يأتي إلى صلاة الـجمعة متأخِّرًا، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ اغْتَسَلَ يَومَ الـجُمُعَة غُسلَ الـجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّما قَرَّب بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثّانِيةِ فَكَأَنَّما قَرَبَ بقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في السّاعَةِ الثَالِثَة فكَأنَّما قَرّب كَبْشًا أقْرَن، وَمَنْ رَاحَ في السّاعةِ الرّابعَة فكَأنَّما قَرَّبَ دَجاجَةً، وَمَن رَاحَ في السَّاعَةِ الـخَامِسَةِ فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً، فإذا خَرَجَ الإمامُ حَضَرَتْ الـمَلائكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**»[(٥)].

وقالَ ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ يومَ الـجُمُعَة واغْتَسَلَ، وبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكبْ، وَدَنا مِنَ الإمامِ فَاسْتَمَعَ، ولَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٠٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٤٩٢)، وابن ماجه (١٠٨٨)، وأحمد (٢/ ٤١)، وابن حبان (١٢٢٤)، [«صحيح الـجامع» (٥٩٣٥)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (١٠٩٨)، والطبراني في الأوسط (٧٣٥٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠٧)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٠٩٦)، وابن خزيمة (١٧٦٥)، وابن حبان (٢٧٧٧)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٨٩٩)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٥)، والنسائي (٣/ ٩٧)، وابن ماجه (١٠٨٧)، وأحمد (٤/ ٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٩٠)]

ورأى النَّبيُّ ﷺ تأخُّرًا من النّاس عن صلاةِ الـجُمعة فقالَ: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَمَا زَالَ أَقْوَامٌ يَتَأَخرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمْ اللهِ**»(١).

• ومنهم من يَتَخَطَّى الرِّقابَ يومَ الـجمعةِ فيُؤذيَ غيرَه، والرَّسولُ ﷺ رأى رجلاً يَتخطّى رقابَ النّاسِ يومَ الـجمعةَ وهو يَخطبُ فقال له: «**اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ**»(٢).

• ومنهم من يَتكلَّمُ معَ جارِه أو في الهاتفِ والـخطيبُ يَخطبُ، ومنهم من يُسبِّحُ أو يقرأُ القرآنَ أو يَلعَبُ بجهازِه الـخلويِّ أو غير ذلك والـخطيبُ يخطبُ. ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الـجُمُعَةِ أَنْصت وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ**»(٣). وقال ﷺ: «**وَمَنْ مَسَّ الـحَصَى فَقَدْ لَغَا**»(٤).

الأمرُ الرابعُ: أني رأيتُ في هذا الزَّمانِ العَجيبِ الـحزبيِّينَ والـحَركيِّينَ والتَّكفيريِّينَ والعِلمانيِّينَ وشبابَ (الفيس بوك) يتَّخِذونَ يومَ الـجمعةِ والـمساجدَ زماناً ومكاناً للانطلاق بالـمظاهراتِ والاعتصاماتِ والتخريبِ وإزعاجِ الأمنِ وغيرِها من بدعِ العصر.

فالـجمعةُ التي هي خيرُ يوم طلعتْ عليه الشمسُ، والتي هي سيِّدُ الأيامِ، وأعظمُها عند اللهِ، يُسمُّونها: جمعةُ الغَضبِ، جمعةَ إسقاطِ النظام، جمعةَ الرَّحيلِ، جمعةَ الإنذارِ الأخير، جمعةَ (طفح الكيل) ويَنطلِقونَ رجالاً ونساءً من الـمساجِدِ في مظاهراتٍ سمَّوها: سِلميّةً، مِليونيّةً إلى مَيدانِ التَّحريرِ، إلى مَيدانِ الـحُريّةِ، إلى دُوّارِ الدّاخليّة.

نقولُ لهؤلاء: أهذا هو التَّعظيمُ لشعائرِ الإسلامِ؟! أهذا هو تعظيمُكم ليومِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١١٥)، من حديث جابر، ورواه أبو داود (١١١٨)، والنسائي (٣/ ١٠٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، والبزار (٣٥٠٦)، من حديث عبد الله بن بسر [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧١٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٣٢)، ومسلم (٨٥١).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٧).

الـجُمعة؟! آللهُ أمرَكم بهذه الـمظاهراتِ في كتابِه؟! آرسولُ اللهِ ﷺ أمرَكم بهذه الـمظاهراتِ في سُنَّته؟! أفعلَ ذلكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ ومن تَبِعَهم من سلفِ الأمّة؟! أأذِنَ لكم وليُّ الأمرِ بهذه الـمظاهراتِ؟!

نقولُ لهؤلاء أيضاً وبكلِّ صراحةٍ ليَهلِكَ من هَلكَ عن بينةٍ، ويَحيى من حيَّ عن بينِّةٍ، اتخاذكُم يومَ الـجمعةِ والـمساجدَ للانطلاقِ بمظاهرات التَّخريبِ والفوضى **معصيةٌ للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه ﷺ ولولاةِ أمْرِ الـمسلمين.**

• فاللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الـجن] وأنتم اتَّخذتُم الـمساجدَ للدَّعوةِ لفكرِكم الـمُنحرفِ، وحزبِكُم البَغيضِ، للوصولِ إلى الـمناصبِ التي تحلُمونَ بها ليلَ ونهارَ، ووضعتُم أيديَكم في أيدي الكفّارِ للوصولِ إليها.

• ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الـحج] وأنتم تُعظِّمونَ الـمُظاهراتِ أكثرَ من تعظيمِكم لشَعائرِ اللهِ، وحالكُم وما أنتم عليه يَشَهدُ بذلكَ.

• ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ [الـجمعة].

فاللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ وأنتم سَعيتم إلى الـمساجدِ للقيامِ بالـمُظاهراتِ التي ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطانٍ، والتي تَعصونَ اللهَ فيها وبها.

والله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ وأنتم تقولون: فإذا قُضيتِ الصلاةَ فاخرُجوا في مظاهراتٍ والعَنوا فيها ولاة الأمر، ودمِّروا وخرِّبوا واعتَدوا على رجالِ الأمنِ. والله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ وأنتم تقولونَ: الـمظاهراتُ فيها الـخيرُ والسَّعادةُ والـمالُ والتَّغييرُ والـحلُّ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

ورسولُ الله ﷺ يقول للرجلِ الذي بالَ في الـمسجدِ: «**إِنَّ هَذِهَ الـمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلاَ القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»(١).

ويقولُ ﷺ للذي يَنشَدُ ضالَّتَه في الـمسجدِ: «**مَن سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً**» -أي: يطلبها- **فِي الـمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لاَ رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الـمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا**»(٢).

وقالَ ﷺ للذي يَبيعُ أو يشتري في الـمسجد: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الـمَسْجِدِ فَقُولُوا: لاَ أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ**»(٣).

وأنتم تقولونَ: الـمساجدُ هي مركزُ انطلاقِنا للمظاهراتِ التي دمَّرت وخرَّبَت وأفسدَت، فنقول لكم: لا أربحَ اللهُ تجارتَكم، ولا ردَّ الله عليكم ضيعتَكم، فقد عصيتُم اللهَ في بيوتِ الله، وفي أرضِ الله بخُروجكم على ولاةِ أمركم الـمسلمينَ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٦٨).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٣٢١)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٠٤)، والدارمي (١٤٠١)، وابن حبان (١٦٥٠)، وابن خزيمة (١٣٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩١)].

وعصيتُم رسولَ اللهِ ﷺ الذي نهاكُم عن الـخُروج على وُلاةِ الأمرِ الـمسلمين.

• فقالَ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونَ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» -أي: من ولاةِ الأمر- قالوا: يا رسولَ الله! كيف تأمرُ من أدركَ منّا ذلك؟ قال: «**تُؤَدُّون الـحقَّ الّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذي لَكُمْ**»[(١)].

فالنَّبيُّ ﷺ يأمُرنا أن نَلتجأَ إلى اللهِ بالدُّعاءِ (وتسألونَ اللهَ الذي لكم) ونهانا عن الـخُروجِ على ولاةِ الأمرِ وإن رأَينا منهم ظُلماً وجَوراً، وأنتم خرجتُم من الـمساجدِ في مظاهراتِكم البِدعيَّةِ، تَسُبُّونَ وتَلعنونَ ولاةَ الأمرِ، وتُطيعونَ بذلكَ أهلَ الكفرِ والإلحادِ.

• وجاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ! ألا تَستعمِلُني كما استعملتَ فلانًا؟ فقالَ ﷺ: «**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الـحَوْضِ**»[(٢)]. -أي: يومَ القيامةِ- فالنَّبيُّ ﷺ في هذا الـحديثِ يأمرُنا بالصَّبرِ على ولاةِ الأمرِ، وأنتم تُحرِّضونَ النّاسَ عليهم.

وها هُو أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه عندَما شكا له النّاسُ ظُلمَ الـحجّاجِ قالَ لهم: «**اصبروا فإنه لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعدَهُ شرٌّ منه، حتى تلقوا ربكم**» سمعتهُ من نبيكُم ﷺ[(٣)].

• ويقولُ ﷺ لحذيفةَ رضي الله عنه الذي كانَ يسألُ عن الشَّرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَهُ: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رَجَالٌ قُلُوبُهُم قُلُوبُ الشّيَاطِينِ فِي جُثمانِ إِنسٍ**» قال: قلتُ: كيف أصنعُ يا رسولَ الله! إنْ أدركتُ ذلكَ؟

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٨).

قالَ: «**تَسْمَعُ وتُطِيعُ للأمير، وإنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وأَطِعْ**»[(١)]؟!

فالرَّسولُ ﷺ في هذا الـحديثِ يقولُ: «**اسمع وأطع للأمير**» وأنتم تقولونَ: لا سمعَ ولا طاعةَ للأميرِ وتخرُجونَ عليه بهذه الـمُظاهراتِ، فاتَّقوا اللهَ يا معشَر الـمُتظاهرينَ! فقد جاءَتِ الأدَلَّةُ في الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمَّةِ تُحرِّمُ هذه الـمظاهراتِ، واعلَموا أن الإصلاحَ والتَّغييرَ يكونُ بالرُّجوعِ إلى الدِّينِ، وبالتَّوبةِ النَّصوحِ، وبتعظيمِ شعائرِ اللهِ، وبإعمارِ الـمساجدِ بالصَّلاةِ فيها، ودروسِ العلمِ الشَّرعيِّ عندَها ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم:٤-٥].

أمة الإسلام! أما الذين يُعظِّمونَ شعائرِ اللهِ، ويُعظِّمونَ يومَ الـجُمعةِ، ويَعرِفونَ فضلَه، ويَتأدَّبونَ بآدابِه، ويُطيعونَ اللهَ فيه كما أمرَ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: يُبشِّرُهم أنهم من أهلِ التَّقوى.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

ثانياً: يُبشِّرُهم بخَيرَيِ الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة].

ثالثاً: يُبشِّرُهم باستجابةِ دُعائِهم.

قالَ ﷺ: «**إنَّ في يوم الـجُمُعَةِ لَساعَةً، لا يُوافِقُها مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله فِيها خَيْرًا إلاَّ أعْطَاهُ إيّاهُ**»[(٢)]. وقالَ ﷺ: «**فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ صَلاَة العَصْرِ**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (٣/ ٩٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠٣)].

رابعاً: يُبشِّرُهم بالنَّجاةِ من فتنةِ القبر.

قالَ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الـجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الـجُمُعَةِ إلاَّ وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ**»(١).

خامساً: يُبشِّرُهم بمَغفرةِ الذُّنوبِ وتكفيرِ الخطايا.

قالَ ﷺ: «**مَنْ اغْتَسَلَ يومَ الـجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ، وتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثيابِه، وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِن طِيبِ أَهْلِه، ثُمَّ أَتَى الـجُمُعَةَ، وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بينَ اثْنَيْنِ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الـجُمُعَةِ الأُخْرَى**»(٢). وقالَ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الـخَمْسُ، وَالـجُمُعَةُ إِلَى الـجُمُعَة، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِر**»(٣).

سادساً: يُبشِّرُهم بالجنةِ والنَّجاةِ من النّار.

قالَ ﷺ: «**خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ في يوم كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الـجَنَّةِ: مَن عَادَ مَريضًا، وشَهِدَ جَنَازَةً، وصَامَ يَوْمًا، وَرَاحَ إِلَى الـجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً**»(٤).

• وعن يزيدَ بنِ أبي مريم قال: لَحِقَني عبايةُ بنُ رفاعةِ بنِ رافعٍ وأنا أمشي إلى الـجُمعة، فقال: أبْشِرْ فإن خُطاك هذه في سبيل الله، سمعت أبا عَبْسٍ يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»(٥).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٠٧٤)، وأحمد (٢/ ١٦٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٦٢)]

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٠٩٧)، وأصله عند البخاري (٨٨٣)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (٩٠٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣).

(٤) **صحيح**: رواه أبو يعلى (١٠٤٤)، وابن حبان (٢٧٧١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٢٣)].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٩٠٧).

٣٠

تبشيرهُ ﷺ للتائبين بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والـمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرَةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي أيضًا: تَبشيرُه ﷺ للتَّائبين بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• الذُّنوبُ والـمعاصي سببٌ لكلِّ شرٍّ، وما نَزَلَ بلاءٌ إلا بذنب، ولا يُرفَعُ إلا بتوبةٍ، قالَ تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [الأنعام:٦].

وقالَ تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت].

• والتَّوبةُ إلى الله عزَّ وجلَّ من الذُّنوبِ والـمعاصي هي بدايةُ التَّغييرِ والعِزِّ

والتَّمكينِ في الأرضِ، ولذلكَ فإن الله عزَّ وجلَّ يبتلي عبادَهُ بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وبالشَّرِّ والـخيرِ، وبالـحَسناتِ والسيئاتِ، ويأخذُهم بالعذابِ ليَفِرُّوا إليه ويَرجِعوا إليه.

• قالَ تعالى: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف].

• وقالَ تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة].

• وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف].

• وقالَ تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

• وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

• واللهُ عزَّ وجلَّ أمرَ عبادَه جميعاً بالتَّوبةِ النَّصوحِ من جميعِ الذُّنوبِ والـمعاصي، وأخبرَهم أنه سبحانَهُ هو الذي يَقبلُ التَّوبةَ من عبادِهِ.

• قالَ تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:٣١].

• وقالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

• وقـالَ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى].

• وحذَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَهُ من تأخيرِ التَّوبةِ وتسويفها.

• فقالَ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

﴿ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾ [الزمر].

• وقالَ تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

• وفتحَ اللهُ عزَّ وجلَّ أبوابَ التَّوبةِ على مصراعيها، وأخبرَ عبادَهُ أنه يَغفرُ الذنوبَ جميعاً، ليَهلِكَ من هلَكَ عن بيِّنةٍ ويَحيى من حيَّ عن بيِّنةٍ.

• قالَ تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر].

• وقالَ في الحديثِ القُدسيِّ: «**يا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»(١).

• وقالَ في الحديثِ القُدسيِّ أيضاً: «**يَا ابْنَ آدمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٢).

وها نحنُ بعدَ أيام يحلُّ بنا ضيفٌ كريمٌ ألا وهو شهرُ رمضان؛ فيه تُفتَّحُ أبوابُ الـجنان، وتُغلَّقُ فيه أبوابُ النِّيرَان، ويُنادي منادٍ: يا باغيَ الـخير! أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ! أقصر، والعاقلُ هو الذي يبادرُ بالتوبةِ النَّصوحِ من كلِّ الذُّنوبِ والـمعاصي إلى اللهِ عزَّ وجلَّ. والتَّوبةُ النَّصوحُ التي يَقبلُها اللهُ عزَّ وجلَّ هي التي تَتوفَّرُ فيها الشُّروطُ التالية:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤٣٠٥)، من حديث أنس، ورواه أحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٨)، من حديث أبي ذر [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦)].

الشرطُ الأولُ: النية

بأن تكونَ نيَّتُهُ في توبتهِ خالصةً لوجهِ اللهِ تعالى.

قالَ تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النور:٣١].

وقالَ ﷺ: «**إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّات**»(١). وقالَ ﷺ: «**قَالَتْ الـمَلائكةُ: رَبِّ ذاكَ عَبْدُكَ يُريدُ أنْ يَعْمَلَ سَيئَةً وَهُوَ أبصرُ به، فقال: ارقُبُوهُ، فَإِنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فاكْتُبُوها لَهُ حَسَنة، إِنَّما تركَها من جرَّايَ**»(٢). والشاهدُ من الـحديثِ قولُه تعالى للمَلائكةِ: «**إِنَّما تَرَكَها مِن جَرَّايَ**» -أي: من أجلي-.

الشرط الثاني: الإقلاعُ عن الذنب.

كالرَّجلِ الذي تَرَكَ فاحشةَ الزِّنا من الثلاثةِ الذين دَخلوا الغار، عندَما قالَت له الفتاةُ: (**اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الـخاتمَ إلا بحقِّه**) فقال: (فانصرفت عنها) -أي: أقلعتُ عن فاحشةِ الزِّنا- وهي أحبُّ النّاسِ إليَّ وتركتُ الذَّهبَ الذي أعطيتُها، اللَّهمَّ إنْ كُنتُ فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجْهِكَ فافْرُجْ عنا ما نحنُ فيه، فانفرجَت الصَّخرةُ)(٣).

الشرطُ الثالثُ: الندمُ على فعلِ ذلك الذنب.

• قالَ ﷺ: «**النَدَمُ تَوْبَةٌ**»(٤).

• وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: (قلتُ: يا رسولَ الله! ما النَّجاة؟ قال: «**أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئتِكَ**»(٥).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/ ٣٧٦)، وابن حبان (٦١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٦)].

(٥) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

الشرطُ الرابعُ: العزمُ على أن لا يعودَ إلى الذنب مرة أخرى.

الشرطُ الخامسُ: أن يتُوبَ قبل الغَرغرة.

• قالَ تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء:١٨].

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِر**»(١). فهذا الرَّجلُ الذي قتل مئة نفسٍ تابَ قبلَ الغَرغرةِ فتابَ اللهُ عليه. وهذا فرعونُ تابَ عندَ الغرغرةِ فرُدَّت عليه توبتُه.

الشرطُ السادسُ: أن يتوبَ قبلَ طُلوعِ الشمسِ من مغربها

• قالَ ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللّيلِ، حَتَّى تَطْلَعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٣).

الشَّرطُ السابعُ: أن يَستقيمَ على العملِ الصالحِ بعد التوبة.

• قالَ تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه].

• وقالَ تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ [الفرقان].

الشرط الثامنُ: إذا كان الذنبُ متعلقاً بمخلوقٍ فيجب على التائب إعادةُ الحقوقِ إلى أهلها أو استحلالُهم منها

قالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخيه مِنْ عِرْضِه، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ**

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، وأبو يعلى (٥٦٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٩).

قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(١).

ومن لم يفعَل ذلكَ فإنه سيكونُ يومَ القيامةِ من الـمُفلسِينَ، قالَ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ الـمُفْلِسِ؟**» قالوا: الـمُفلسُ فينا مَنْ لا دِرهمَ له ولا متاعٌ، فقال: «**إِنَّ الـمُفلسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يومَ القِيَامةِ بِصَلاةٍ وصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فإِنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

أيها المسلمون! التائبونَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ويُبشِّرُهم رسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بمحبة الله لهم

فاللهُ عزَّ وجلَّ يُحبُّ التّائبينَ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

وإذا أحبَّ اللهُ عَبدَه استجابَ له إذا دعاهُ، وغَفرَ له إذا استغفرهُ، وأعطاهُ سؤْلَهُ إذا سألهُ. وإذا أحبَّ اللهُ عبدَهُ نادى جبريل: إني أُحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيحبُّهُ جبريلُ، وينادي جبريلُ على أهلِ السماءِ: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبُّهُ أهلُ السماء، ثم تَوضَعُ محبتهُ في الأرض. وإذا أحبَّ اللهُ عبدَهُ لا يعذبهُ في النار. قال ﷺ: «**واللهِ لا يُلقي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، وأبو يعلى (٣٧٤٧)، والبزار (٦٥٧٩)، [«الصحيحة» (٢٤٠٧)].

ثانياً: بفرحِ الله لهم.

قالَ ﷺ: «لَـلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ فانْفَلَتَ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرةً فاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قد أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخُطَامِهَا ثُمَّ قالَ مِنْ شِدّةِ الفَرَحِ: اللهمَّ! أَنْتَ عَبْدِي وأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»(١).

ثالثاً: بمغفرةِ الذنوب، وتبديلِ السَّيِّئاتِ إلى حسنات.

قالَ تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

وقالَ تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ ﷺ: «النَدمُ تَوبَةٌ، والتَائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»(٢).

ومن كَرمِ اللهِ وفضلِه على التائب أنَّهُ يُبدِّلُ سيِّئاتِه حسناتٍ. قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٧).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠٦، ٧٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٩٨)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠٣)].

رابعًا: بفلاحِ الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [النور:٣١]. وقالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧﴾ [القصص].

خامساً: بدُعاءِ الملائكةِ المقربين حملةِ العرشِ لهم بالمغفرةِ والجنة

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر].

سادساً: يُبشِّرُهم بالجَنَّةِ والنَّعيمِ المقيم.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم].

وهل أُعدَّتِ الجنةُ إلا للتّائبينَ إلى اللهِ توبةً نصوحاً، قالَ تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران] ومن صفاتِهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ -أي: تابوا إلى الله- ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن

﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

التوبةُ النصوحُ سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة. التوبةُ النصوحُ هي بدايةُ التغيير والإصلاحِ، والأمنِ والأمانِ، والعزِّ والنصرِ، والتمكينِ في الأرض.

ومن الأمورِ التي تُعينُ على الفرارِ بالتوبة النصوحِ إلى الله تعالى

أولاً: الإيمانُ الصّادقُ باللهِ واليومِ الآخر

ومن الأمثلةِ على ذلك: السَّحرةُ عندما دخلَ الإيمانُ في قلوبهم فرُّوا إلى اللهِ تعالى بالتَّوبةِ النَّصوحِ من الكُفرِ والسِّحرِ. قالَ تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

و: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه].

ثانياً: تقوى الله عزَّ وجلَّ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف].

ثالثاً: الإكثارُ من ذكرِ الموت، وزيارةِ القبور.

قالَ ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هادِمِ اللّذاتِ**»[1] يعني: الـموت.

- فالإكثارُ من ذكرِ الـموتِ يَدفعُ صاحبَهُ إلى التَّوبةِ النَّصوحِ؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، والنسائي (٤/ ٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٢)، [«صحيح ابن الترغيب والترهيب» (٣٣٣٣)].

في كتابه يُذكِّرُنا بالـموتِ، فيقولُ سبحانَه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾ [العنكبوت].

ويقولُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨﴾ [الـجمعة].

وجبريلُ عليه السلام يذكِّرُنا بالـموتِ فيقولُ لرسولِنا صلى الله عليه وسلم: «**يَا مُحَمّد! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئت فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزَيٌّ بِهِ**»(١).

الفاروقُ عُمرَ رضي الله عنه يذكِّرُ نفسَهُ ويذكِّرنا بالـموتِ فيقول:

لاَ شَيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... يَبْقَى الإِلَهُ وَيَفْنَى الـمَالُ والوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هِرْمزٍ يومًا خَزَائِنُهُ ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلاَ سُلَيْمَانَ إِذْ تَجْرِي الرِّيَاحُ لَهُ ... والإِنْسُ وَالـجِنُّ فِيمَا بَيْنَهَا تَرِدُ
أَيْنَ الـمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
حوضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلاَ كَذِبٍ ... لاَ بُدَّ مِنْ وُرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

• وزيارةُ القُبورِ تدفعُ الـمسلمَ إلى التَّوبةِ النَّصوحِ؛ فلذلكَ قالَ صلى الله عليه وسلم: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ألاَ فَزُورُوها؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**»(٢).

رابعاً: معرفةُ ما أعدهُ اللهُ تعالى للتّائبينَ

كما سبقَ معَنا من الـمحبةِ، والـمغفرةِ، والنَّعيمِ الـمُقيمِ في جنّاتِ النَّعيم.

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والـحاكم (٧٩٢١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٧)، وأبو يعلى (٣٧٠٥)، والبيهقي (٤/ ٧٧)، [«صحيح الـجامع» (٤٥٨٤)].

خامساً: الخوفُ من عذابِ الله الذي أعدهُ للعصاة

قالَ تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ -أي: لمن تابَ إلى اللهِ توبةً نصوحاً-. ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

وقالَ تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ أي: لمن تابَ إلى اللهِ توبةً نصوحاً ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لمن لم يَتُب وبارزَ ربَّه بالمعاصي [غافر:٣].

كيفَ لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

سادساً: الدعاء.

فعلى المؤمنِ أن يدعوَ ربَّه دائماً بأن يُوفِّقَه للتَّوبةِ النَّصوحِ إذا اقترفَ ذنباً؛ لأن العبدَ لا يُمكنُ أن يتوبَ توبةً نصوحاً إلا إذا وَفَّقَه اللهُ لذلكَ. قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى على لسانِ إبراهيمَ وإسماعيلَ -عليهما السلام-: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

اللهمَّ ارزقنا توبةً نصوحاً قبل المماتِ.

٣١

تبشيرُهُ ﷺ للصائمينَ والصائماتِ بسعادةِ الدنيا والآخرة(١)

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

ويقولُ سبحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعِظاتٌ وعِبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للصّائمينَ والصّائماتِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• **الصّيامُ لغةً:** هو الإمساكُ، قالَ تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

• والصِّيامُ في الشَّرعِ: هو التَّعبُّدُ للهِ عزَّ وجلَّ بالإمساكِ عن الأكلِ والشُّربِ وسائرِ المُفطِّراتِ من طلوعِ الفَجرِ الصّادقِ إلى غروبِ الشَّمس.

(١) هذه الخطبة أُلقيت في أول جمعة من شهر رمضان لعام ١٤٣٢هـ.

قالَ تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

وقالَ ﷺ: «**إذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرُبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ**»(١).

• **أقسامُ الصيام**

الصّيامُ ينقسمُ إلى صيامٍ واجبٍ، وصيامٍ تطوعٍ.

والصِّيامُ الواجبُ ثلاثةُ أقسامٍ:

الأول: واجبٌ للزَّمانِ، وهو صيامُ رمضان.

والثاني: واجبٌ لعلةٍ، وهو صومُ الكفاراتِ والقضاءِ.

والثالث: ما يُوجبُهُ الإنسانُ على نفسِه، وهو صومُ النذر.

وقبلَ أيّامٍ حَلَّ بنا ضيفٌ كريمٌ ألا وهو شهرُ رمضانَ، وصومُهُ واجبٌ بالكتابِ والسُّنةِ والإجماعِ.

• **أما الكتابُ**:

ففي قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة] وقولِه تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

• **وأما السنةُ**:

ففي قولِه ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ**» وذكر منها: «**صَوْمُ رَمَضَان**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وقولِه ﷺ في حجَّةِ الوداع: «**اتَّقُوا اللهُ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وصُومُوا شَهْرَكُمْ، وأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»(١).

• **وأما الإجماعُ:**

فقد أجمَعتِ الأمةُ على وجوبِ صومِ رمضانَ إلا من عُذرٍ شَرعيٍّ.

• **أركانُ صيامِ رمضانَ وغيرِه من الصِّيامِ الواجب.**

الصِّيامُ في رمضانَ له ركنان:

الرُّكنُ الأول: النيَّةُ:

لقولِه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

ولقولِه ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(٢). ويجبُ تبييتُ النِّيةِ في صيامِ الفريضةِ من اللَّيلِ قبلَ طلوعِ الفَجرِ، لقولِه ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ**»(٣). ولقولِه ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلا صِيَامَ لَهُ**»(٤).

أما النّافلةُ فلا تَجِبُ فيها النِّيَّةُ من اللَّيل.

والنَّيةُ محلُّها القلب، لا دخلَ للِّسان فيها.

الركن الثاني: الإمساكُ عن المفطرات من طلوعِ الفجرِ الصّادقِ إلى غروبِ الشَّمسِ بنِيَّةِ العبادة.

لقولِه تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٤٣)، وابن حبان (٤٥٦٣). [«الصحيحة» (٨٦٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٤/ ١٩٦)، وأحمد (٦/ ٢٨٧)، وابن خزيمة (١٩٣٣)، [«صحيح الجامع» (٦٥٣٨)].

(٤) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ١٩٦)، والدارمي (١٦٩٨)، وهو لفظ آخر للحديث السابق.

• المفطرات التي تُفسدُ الصوم

أولاً: الأكلُ والشرب عمداً

فمن أكلَ أو شَرِبَ عامداً ذاكراً لصيامِه فقد فَسَدَ صومُه، أما من أكلَ أو شَرِبَ ناسياً في نهارِ رمضانَ أو في غيرِ رمضانَ من فريضةٍ أو نافلةٍ فلا شيءَ عليه، وصيامُه صحيحٌ وليُتِمَّ صومَه، لقولِه تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

ولقولِه ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**»[١].

ثانياً: القيء عمداً.

فمن تَعمَّدَ القيءَ -أي: وَضَعَ يدَه في فمِه فاستقاء، أو شيئاً بمعنى هذا- فسد صومه، وعليه أن يقضي يوماً مكانه، ومن ذرعه القيء -أي: غلبه- فلا قضاء عليه. لقوله ﷺ: «**مَنْ ذَرَعَهُ قَيءٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ**»[٢].

ثالثاً: الحيض والنفاس.

فالمرأةُ إذا حاضَت أو نفسَت في أيِّ لحظةٍ من نهارِ رمضانَ ولو قبلَ غروبِ الشَّمسِ بلحَظاتٍ وَجَبَ عليها أن تُفطِرَ، ولا يُجزئُها إذا صامَت. لقوله ﷺ: «**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟**» قلن: بلى، قال: «**فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا**». وفي رواية: «**تَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَان فَهَذَا نُقْصَانُ دِينِهَا**»[٣].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٧٢٠)، وأبو داود (٢٣٨٠)، وأحمد (٢/ ٤٩٨)، وابن حبان (٣٥١٨)، والحاكم (١٥٥٧)، [«صحيح الجامع» (٦٢٤٣)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤، ١٩٥١).

وعلى الـمرأةِ أن تقضيَ هذه الأيامَ بعدَ رمضانَ، ولا يُشترطُ التَّرتيبُ في القَضاءِ، سألتِ امرأةٌ عائشةَ رضي الله عنها فقالَت: ما بالُ الـحائضِ تقضي الصَّومَ ولا تقضي الصّلاةَ؟ قالَت عائشةُ رضي الله عنها: (أحروريةٌ أنت؟ قالتِ الـمرأة: لستُ بحَروريَّةٍ ولكنِّي أسأل. قالَت عائشةُ رضي الله عنها: كان يُصيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ)[1].

رابعاً: الجماع.

لا خلافَ في أن الـجماعَ يبطلُ الصيامَ إذا وقعَ من عامدٍ، وقد دلَّ القرآنُ على أن الـجماعَ مُفطِّرٌ كالأكلِ والشربِ، فإذا جامعَ الرَّجلُ زوجتَه في نهارِ رمضانَ عامدًا ذاكراً لصيامِه؛ فقد فَسَدَ صومُه وعليه الكّفارةُ إن كانَ الصِّيامُ واجباً عليه، وهي: عِتقُ رقبة، فإنْ لم يَجِد فصيامُ شهرَينِ مُتَتابعَين، فإن لم يَستطِع فإطعامُ ستِّينَ مسكيناً، فإن لم يَجِد استقرَّتِ الكفّارةُ في ذمَّتِه حتى يَستطيع.

والدليلُ على ذلك:

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا أَهْلَكَكَ**»؟ قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «**هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً**» قَالَ: لاَ، قَالَ «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**»، قَالَ: لاَ. قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهَذَا**»، قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»[2].

الصيامُ في رمضان وفي غيرِ رمضانَ عبادةٌ من أعظمِ العباداتِ، والصّائمونَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٣٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٠٠)، ومسلم (١١١١)، واللفظ لمسلم.

في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالمغفرةِ والأجرِ العظيم

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ ماذا أعدَّ اللهُ لهم؟ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

- **أما الدَّليلُ على مغفرةِ الذُّنوبِ وتكفيرِها**

قالَ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

وصَعِدَ النَّبيُّ ﷺ المنبرَ فقالَ: «**آمينَ، آمينَ، آمين**» قيل: يا رسولَ الله! إنك صَعِدْتَ المنبر فقلتَ: آمينَ آمين آمين. فقال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ؛ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمين. فقلت: آمين...**»[2].

وقالَ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتُنِبَتْ الكَبَائِرُ**»[3].

- **وأما الدليلُ على عظيمِ أجرِ الصوم.**

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر] والصّائمُ في مقدمةِ الصّابرينَ؛ لأنهُ صبرَ على طاعةِ الله، وصبرَ عن معصيةِ الله فأجرهُ عندَ اللهِ عظيم. ولذلكَ جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! دُلَّني على عَمَلٍ أدخلْ بِهِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، وأبو يعلى (٥٩٢٢)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، من حديث أبي هريرة، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٤)، من حديث جابر، واللفظ لأبي يعلى [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩٧)]

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٣).

الـجنّة فقالَ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ»[١].

وقالَ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ» -أي: له أجرٌ مُحْدُودٌ- «إلاَّ الصومَ» -فأجْرُهُ غيرُ محدود- «فَإِنَّهُ لي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[٢]. وقالَ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الـحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ»، قالَ اللهُ تعالى: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهِ مِنْ أَجْلِي، للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، ولَخُلُوفُ[٣] فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الـمِسْكِ»[٤].

فأبشِر أيُّها الصّائمُ بمغفرةِ الذُّنوب، والأجرِ العظيم، وسعادةِ الدُّنيا والآخرة، فالصيامُ كلُّهُ خير، قالَ تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة].

ومن الـخيرِ الذي يَتحصَّلُ به الصائمُ من صيامِه: أنه يومَ القيامةِ يكونُ معَ الصِّدِّيقينَ والشُّهداء.

• جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن شَهدْتُ أن لا إلهَ إلا الله، وأنك رسولُ الله، وَصلّيتُ الـخمسَ، وأَدَّيْتُ الزّكاةَ، وصُمْتُ رَمَضانَ وقُمْتُهُ، مِمَّنْ أنا؟ قال: «مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»[٥].

ثانياً: أبشر أيها الصائمُ! فإن الصومَ جُنّةٌ -أي: وقايةٌ من الشهواتِ والنارِ-

• ولذلكَ أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ من اشتدَّت عليه شهوةُ النِّكاحِ ولم يَستطِعِ الزَّواجَ بالصِّيام، وجعلَهُ وجاءً لهذه الشَّهوةِ. فقالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ١٦٥)، وابن حبان (٣٤٢٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) والـخُلوف: بضم الـخاء الـمعجمة هو: تغيير رائحة الفم من الصوم.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١١٥١).

(٥) **صحيح**: رواه ابن حبان (٣٤٣٨)، وابن خزيمة (٢٢١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٠٣)].

اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ للبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءً»(١).

• وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ أن الـجنةَ محفوفةٌ بالـمكارِه، وأن النارَ حُفَّتْ بالشَّهوات. فإذا تبينَ لكَ أيها الـمسلمُ! أن الصَّومَ يقمعُ الشَّهواتِ ويَكسرُ حدَّتَها وهي التي تُقرِّبُ من النَّار، فقد حالَ الصِّيامُ بينَ الصّائم والنّار. ولذلكَ جاءَت الأحاديثُ مُصرِّحةً بأن الصِّيامَ حصنٌ من النّار، وجُنّةٌ يَستَجِنُّ بها العبدُ من النار.

قالَ ﷺ: **«الصِّيَامُ جُنَّةٌ، يَسْتَجِنُّ بِهَا العَبْدُ مِنَ النَّارِ»**(٢). وقالَ ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوم، وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»**(٣).

إذا كانَت أعزُّ أُمنيةٍ لآخرِ أهلِ النار خروجاً منها -وهو يَخرجُ منها حبواً- صَرْفَ وجهِه عن النَّارِ قِبَلَ الـجنة لا يسألُ مولاهُ غيرَ ذلك، فكيفَ إذا باعدَ اللهُ وجهَهُ عن النارِ وجعَل بينَه وبينَ النّارِ مسيرةَ سبعينَ سنةً. هذا بصيامِ يومٍ واحدٍ نفلاً، فما ظنك بصيام شهرٍ كاملٍ وهو شهرُ رمضانَ وهو فريضةٌ؟!

ثالثاً: أبشر أيّها الصائمُ! بالرَّيَّانِ وهو بابٌ من أبواب الجنةِ أُعدَّ للصائمين كرامة لهم من ربِّ العالمين

قالَ ﷺ: **«إِنَّ فِي الـجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّان، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَة. لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ. يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُون؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ. فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»**(٤). و**«مَنْ دَخَلَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»**(٥).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٣٩٦)، من حديث جابر، والبزار (٢٣٢١)، من حديث عثمان بن أبي العاص [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨١)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٥٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٦)، و(١١٥٢).

(٥) **صحيح**: رواه ابن خزيمة (١٩٠٢)، والنسائي (٤/ ١٦٨)، وأبو يعلى (٧٥٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٧٩)].

وقالَ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ منْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ»(١).

رابعاً: أبشِر أيها الصائمُ! فإن الصيامَ والقرآنَ يشفعانِ لكَ يومَ القيامة

قالَ ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»(٢).

خامسًا: أبشِر أيها الصائمُ! فإن دعاءكَ مستجابٌ

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

جاءَت هذه الآيةُ بينَ آياتِ الصِّيامِ، مما يدلُّ على الصِّلةِ الوثيقةِ بينَ الصِّيامِ وإجابةِ الدعاءِ.

قالَ ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ: دَعْوةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الـمَظْلُوم، وَدَعْوَةُ الـمُسَافِرِ»(٣). وقال ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ لاَ تُرَدُّ: دَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوةُ الـمُسَافر»(٤).

- فيا أيها الصّائمُ! اغتَنِم هذه الفُرصةَ، وادعو اللهَ عزَّ وجلَّ، واسأَلْه من خيرِ الدُّنيا والآخرة.

قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (٢٠٣٦) واللفظ لأحمد، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٤)].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣١٣)، والبيهقي في «الدعوات» (٦٤٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٠)].

(٤) **حسن**: رواه البيهقي في سننه (٣/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٣٠٣٢)].

وقالَ تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

وقالَ ﷺ: «**لَيس شَيءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»[١]. وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرَدَّهُمَا صِفراً خَائِبَتَيْنِ**»[٢].

وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ -ليس فيها إِثْمٌ ولا قطيعةُ رَحْمٍ- إلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بها إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَه، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرُهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السوءِ مِثْلَهَا**»؛ قالوا: إذاً نُكْثِرُ؟! قال: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ -عباد اللهِ-! بِالدُّعَاءِ**»[٤].

سادساً: أبشِر أيها الصّائم! فإن الصِّيامَ طريقٌ إلى الجنة

• فعن أبي أمامةَ رضي الله عنه قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! دُلَّني على عَمَلٍ أدخلْ به الـجنة. قال ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ**»[٥].

• وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ اليَوْمَ صَائِمًا؟**» فقال أبو بكر: أنا، فقال: «**مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُم اليَومَ مِسْكِيناً؟**» فقالَ أبو بكرٍ:

(١) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩)].

(٢) : رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، من حديث سلمان، ورواه أبو يعلى (٤١٠٨)، من حديث أنس، والطبراني في الأوسط (٤٥٩١)، من حديث جابر [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٨)، وعبد بن حميد (٩٣٧)، والحاكم (١٨١٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، من حديث ابن عمر، ورواه أحمد (٥/ ٢٣٤)، من حديث معاذ، ورواه الطبراني في الأوسط (٢٤٩٨)، من حديث عائشة، واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ١٦٥)، وابن حبان (٣٤٢٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٦)].

أنا، فقالَ: «**مَنْ تَبِعَ مِنكُم اليَوْمَ جَنَازَةً؟**» فقالَ أبو بكرٍ: أنا، فقالَ: «**مَنْ عَادَ مِنْكُم اليَوْمَ مَرِيضًا؟**» فقالَ أبو بكرٍ: أنا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

• وعن حذيفةَ رضي الله عنه قال: أسندتُ النَّبيَّ ﷺ إلى صَدري، فقالَ: «**مَنْ قالَ: (لاَ إِلَهَ إلا الله)؛ خُتِمَ لَهُ بِهَا؛ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يوماً ابْتِغَاءَ وجْهِ اللهِ؛ خُتِمَ لَهُ به، دَخَلَ الجَنّة، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاء وَجْهِ اللهِ؛ خُتِمَ لَهُ بِهَا؛ دَخَلَ الجَنّة**»(٢).

سابعاً: أبشِر أيها الصائم! فإنكَ بالصِّيامِ تَتحصَّلُ على ثمراتِ الصِّيام، ومنها:

الثمرةُ الأولى: الصبرُ:

فشَهرُ رمضانَ هو شهرُ الصبرِ، والصِّيامُ في رمضانَ وفي غيرِه مدرسةٌ للصَّبر، فالإنسانُ وهو صائمٌ يَصبرُ على طاعةِ اللهِ، ويَصبرُ عن معصيةِ اللهِ، ويَصبرُ على أقدارِ اللهِ المؤلمةِ؛ فالصِّيامُ كلُّهُ خيرٌ، والصبرُ كلُّهُ خير.

قالَ تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة]. وقالَ تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل].

وقالَ ﷺ: «... **وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبرِ**»(٣).

• وجزاءُ الصَّبرِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ عظيمٌ.

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر].

• وقالَ تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٥)]

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٦٩).

• وقالَ تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

الثمرةُ الثانية: التقوى

الغايةُ من الصِّيام هي التَّقوى.

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وختمَ اللهُ تعالى آياتِ الصِّيامِ بقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة] فالصيامُ مدرسةُ التقوى.

• التَّقوى تجعلُ للمُسلمِ في هذه الدُّنيا من كلِّ ضيقٍ مَخرجاً.

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

• التَّقوى تَجعلُ صاحبَها من أكرمِ النّاس.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

• والتَّقوى هي الزَّادُ إلى الدارِ الآخرة.

قالَ تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

ابنَ آدمَ!

تَـزَوَّدْ مِـنْ مَعَاشِكَ للمعَادِ ... وقُـمْ للهِ وَاجْمَـعْ خَـيرَ زَادِ
وَلاَ تجْمَعْ مِـن الدُّنْيا كَثيراً ... فـإِنَّ الـمالَ يُجمـعُ للنفَادِ
أَتَـرْضَى أنْ تكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ ... لَهُـمْ زَادٌ وَأنْـتَ بغيرِ زادِ

• التقوى سبب لدخول الـجنة.

قـالَ تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

الثمرةُ الثالثة: مكارمُ الأخلاق

الصّائمُ يَتحلَّى بمكارم الأخلاق ويَبتعِدُ عن مساوئِها؛ استجابةً لقوله ﷺ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»**[(١)].

وقالَ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**[(٢)].

وقالَ ﷺ: **«لَا تَسَابَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاجْلِسْ»**[(٣)].

وقالَ ﷺ: **«رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الـجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»**[(٤)].

الثمرةُ الرّابعةُ: رِقَّةُ القلبِ وطهارتُه

قالَ ﷺ: **«صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ؛ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ»**[(٥)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٣٢٥٩)، وابن خزيمة (١٩٩٤)، وابن حبان (٣٤٨٣)، [«إرواء الغليل» (٤/ ٣٥)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، والنسائي في الكبرى (٣٢٤٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨٣)].

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٦٣)، وابن حبان (٦٥٥٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٣٢)].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثلاثةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**»(١). (وَحَرُ الصدر) هو غِشُّه وحِقدُه ووَساوسُه.

الثمرةُ الـخامسة: إمساك اللسان

الصّائمُ يُمسِكُ لسانَه عن الكذِبِ والغيبةِ والنَّميمةِ والفُحشِ وشَهادةِ الزُّورِ، ويطلقُ لسانَه في ذكرِ اللهِ، وقراءةِ القرآنِ، والأمرِ بالـمعروفِ والنَّهي عن الـمنكر.

قالَ ﷺ: «**إذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِم**»(٢).

وإمساكُ اللِّسانِ فيه النَّجاة.

• عن عقبةَ بن عامر رضي الله عنه قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ما النجاةُ؟ قال ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٣).

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ٢٠٨)، وأحمد (٥/ ٧٨)، وابن أبي شيبة (٧٨٦٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٣٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

٣٢

تبشيرهُ ﷺ للقائمينَ الليلَ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ بسعادةِ الدنيا والآخرة(١)

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر].

ويقولُ سبحانَه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ [الفتح].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعِظاتٌ وعِبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّة العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للقائمينَ الليلَ في رمضان وفي غير رمضان بسعادة الدنيا والآخرة.**

والقائمونَ اللَّيلَ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ هم المؤمنونَ الصّادقونَ الذين إذا جاء اللَّيلُ وخلا كلُّ حَبيبٍ بحبيبه، قاموا إلى صلاتِهم يقرؤون القرآن، ويدعونَ ربَّهم، فإذا جاءَ السَّحَرُ جلَسوا يَستغفرونَ اللهَ تعالى، يقولُ اللهُ في وصفِهم ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)﴾ [الفرقان].

---

(١) هذه الخطبة الثانية في شهر رمضان لعام ١٤٣٢هـ.

ويقولُ سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

ويقولُ عزَّ وجلَّ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات].

• فجمَعوا بين الخوفِ مِنَ الله والعملِ الصالحِ، ولذلك لم يسوِّ الله -عزَّ وجلَّ- بينهم وبين غيرهم.

فقالَ تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

• وهذه الصَّلاةُ التي يُصلِّيها هؤلاءِ القومُ هي: صلاةُ قيامِ اللَّيل، وهي صلاةُ قيامِ رمضانَ، وهي صلاةُ التَّهجُّد، وهي ما يُسمِّيها الناسُ في رمضانَ بصَلاةِ التَّراويح، وهي أفضلُ صلاةٍ بعد صلاةِ الفَريضة.

قالَ تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء].

فبعدَ أن ذكرَ اللهُ سبحانَه صلاةَ الفريضةِ في هذه الآيةِ الكريمةِ، عطفَ بعدَها بذكرِ صلاةِ اللَّيلِ، مما يدلُّ على أنها أفضلُ صلاةٍ بعدَ الفريضة.

فقالَ تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء].

• كيفَ لا؟ ورسولُنا ﷺ يقولُ: «**أفضلُ الصلاةِ بعدَ الصّلاةِ الـمَكْتُوبَةِ؛ الصَّلاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الـمُحَرّمِ**»(١).

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٦٣).

• وقيامُ اللَّيلِ هو: الصلاةُ التي يُصلِّيها الـمسلمُ نافلةً بالليلِ، وهذه الصَّلاةُ تجوزُ بعد صلاةِ العشاءِ، وتجوزُ في وسَطِ اللَّيلِ، وتجوزُ في ثلثِ الليلِ الأخيرِ، وأفضلُ أوقاتِها ما كان في ثلث الليل الأخير.

• تقولُ عائشةُ ﵂: (مِنْ كُلِّ الليلِ قد أوترَ رسولُ الله ﷺ مِنْ أوّلِ الليلِ وأوْسَطِهِ وآخِرِهِ، فانتَهى وَتْرُهُ إلى السّحَرِ)(١).

• ويقولُ ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله تَعَالَى فِي تِلْكَ السّاعَةِ فَكُنْ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(٣).

• وقيامُ اللَّيلِ أَقلُّهُ ركعةٌ، وأكثرُهُ إحدى عشرةَ ركعةً. تقولُ عائشةُ ﵂: (ما كانَ رسولُ الله ﷺ يزيدُ في رمضانَ، ولا في غيرِهِ على إحَدى عشرة ركعةً)(٤).

وتقولُ ﵂ أيضاً: (كانَ رسولُ الله ﷺ يُصلِّي فيما بين أن يفرُغَ مِن صلاةِ العشاءِ إلى الفجرِ، إحدى عشرةَ ركعةً، يُسَلِّمُ بين كُلِّ رَكْعَتَينِ، ويُوْتِرُ بِوَاحَدةٍ)(٥).

والناسُ معَ قيام الليل طرفانِ ووسطٌ، طرفٌ زادَ في صلاتِه على إحدى عشرةَ ركعةً، وطرفٌ ضيَّعَ صلاةَ الليلِ فلا يُصلِّيها، والوسطُ: هو الذي يُحافِظُ على قيام اللَّيلِ في رمضانَ وغيره، ولا يزيدُ على إحدى عشرةَ ركعةً متأسِّيًا في ذلكَ برسولِ اللهِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٧٩)، وأبو داود (١٢٧٧)، والنسائي (١/ ٢٧٩)، وأحمد (٤/ ١١٣)، وابن خزيمة (١١٤٧)، واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٤٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)،

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٧٣٦).

ﷺ الذي قالَ: «**وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمّدٍ ﷺ**»(١). وهذا هديُه ﷺ في قيامِ اللَّيل:

• عن عائشةَ ﵂ قالَت: (إنَّ نبيَّ الله ﷺ كانَ يقومُ من اللّيلِ -أي يصلي- حتّى تتفطرَ قدماه، فقالت عائشةُ: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله! وقد غَفر الله لك ما تقدمَ من ذنبكَ وما تأخّر، فقال ﷺ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»)(٢).

• وعن حذيفةَ بنِ اليمانِ ﵄ قالَ: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فافتتحَ البقرة، فقلتُ: يركعُ عند المائة، ثم مضى. فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلتُ: يركعُ بها، ثم افتتحَ النّساءِ فقرأها، ثمّ افتتحَ آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مَرّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ، ثم ركعَ فَجَعلَ يقول: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» فكانَ ركوعُه نحوًا من قيامه ثم قال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحمْدُ**»، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ثم سجدَ فقال: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأعْلى**» فكان سجودُهُ قريبًا من قيامه(٣).

• وعن ابنِ مسعودٍ ﵁ قالَ: صلَّيتُ معَ النَّبيِّ ﷺ ليلةً، فأطالَ القيامَ حتى همَمْتُ بأمرِ سوءٍ! قيل: «**وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟**» قال: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعهُ(٤).

• وعن عائشةَ ﵂ قالَت: (ما كانَ رسولُ الله ﷺ يزيدُ في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعةً؛ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولِهِنَّ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنِهنَّ وطولهِنَّ. ثم يصلي ثلاثاً)(٥).

القائمونَ اللَّيلَ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ يَهتدونَ في قيامِهم بهديِ رسولِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦٩)، ومسلم (٧٣٨).

اللهِ ﷺ الذي هو خيرُ الهدي يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ويُبشِّرُهم رسولُهم ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: قيامُ الليلِ يمنعُهم من الوقوعِ في الإثمِ ويُقرِّبُهم من الله

قالَ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، ومَكفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**»(١).

فالصَّلاةُ عامّةً وصلاةُ اللَّيلِ خاصَّةً تمنعُ صاحبَها من اقترافِ المعاصي والأخلاقِ السَّيِّئة.

قالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج].

ثانياً: قيامُ الليلِ شرفٌ للمؤمنِ في الدنيا والآخرة

قالَ ﷺ: «**أتَاني جِبْرِيلُ فقال: يا مُحمّد! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ مِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الـمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُه عَنِ النَّاسِ**»(٢).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، من حديث بلال، ورواه الترمذي أيضا (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، من حديث أبي أمامة واللفظ له [«صحيح الجامع» (٦٢٤)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٧)].

ثالثاً: قيامُ اللّيلِ سببٌ لِحَلِّ عُقَدِ الشيطانِ التي يعقدُها على قافيةِ رأسِ كُلِّ إنسانٍ إذا نامَ

قالَ ﷺ: «يَعْقِدُ الشيطانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَد، يَضرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ الله تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقدةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انحلَّتْ عُقدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلان»[١].

رابعاً: قيامُ الليلِ عنوانُ الإيمان، ودليلُ الإحسان، ويَجعلُ صاحبَهُ من الذَّاكرينَ اللهَ كثيراً

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة] وهذا هو دليل الإيمان.

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات] وهذا دليل الإحسان.

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آياتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِين، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الـمُقْنْطِرين»[٢].

وقالَ ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَات»[٣].

وهذا دليلٌ على أنَّ قيامَ الليلِ يجعلُ صاحبَهُ من الذاكرين اللهَ كثيراً، ولذلكَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (١٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٣٥)، والنسائي في الكبرى (١٣١٠)، وابن حبان (٢٥٦٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٦)].

قالَ ﷺ: «**نِعْمَ الرجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» قال سالـمٌ : فكَانَ عبدُ اللهِ ابنُ عمرَ بعدَ ذلكَ لا ينامُ من اللَّيلِ إلا قليلاً[١].

نعَم واللهِ! هذا هو ميدانُ التَّنافسِ الذي قالَ فيه ربُّ العِزَّة: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

والذي قالَ فيه ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفقهُ آناءَ اللَّيلِ وّالنَّهَارِ**»[٢].

خامساً: قيامُ الليل تجارةٌ رابحة

وذلكَ لأن المُؤمنَ الذي يَقومُ اللَّيلَ يذكرُ ربَّهُ ويقرأُ القرآنَ ويدعو وكُلُّها تجارةٌ رابحة.

قـالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يسْأَلُ اللهَ تَعالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة إلاَّ أعْطَاهُ إيّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَة**»[٣].

وقالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ إلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ قَامَ في لَيْلَة بَارِدَة مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ ودِثَارِهِ -أي: غطَائه- فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ إلَى الصَّلاَة، فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِمَلاَئكَته: مَا حَمَلَ عَبْدِي هَذَا عَلَى مَا صَنعَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنا! رَجاءَ مَا عِنْدَكَ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا رَجا، وَأَمَّنْتُهُ مِمَّا يَخَافُ**»[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٧٥٧).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في الكبير (٨٥٣٢)، من حديث ابن مسعود موقوفاً [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٣٠)].

سادساً: قيامُ الليلِ سببٌ للنجاةِ من الفتن

فعن أمِّ سلمةَ زوج النَّبيِّ ﷺ قالَت: استيقظَ رسولُ الله ﷺ ليلةً فزعاً يقول: «سُبْحَانَ الله! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ -يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ- لِكَيْ يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ»(١).

سابعاً: قيامُ الليلِ سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ وتكفيرِ السيئات

قالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

وقالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٣).

وقالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ» ثم ذَكَرَ ﷺ من فضائله: «وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ»(٤).

ثامناً: قيامُ الليلِ خاصةً والصلاةُ عامةً نورٌ في الوجه، ونورٌ في القبر، ونورٌ على الصراطِ يومَ القيامة

قالَ ﷺ: «الصَّلَاةُ نُورٌ»(٥) وهذا النُّورُ عامٌّ في الوَجهِ وفي القلبِ وفي القَبرِ، ويومَ القيامةِ على الصِّراط.

قالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد].

وقالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٠١).

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٩)، من حديث بلال، ورواه الترمذي أيضا (٣٥٤٩)، وابن خزيمة (١١٣٥)، من حديث أبي أمامة واللفظ له [«صحيح الجامع» (٦٢٤)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

تاسعاً: قيامُ الليلِ سببٌ لدخولِ الجنة.

• قالَ تعالى في وصفِ أهلِ الجنَّة: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ ماذا يطلبون من ربهم في صلاتهم وقيامهم؟ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان] فماذا أعدَّ الله لهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان].

• وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

• وقالَ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة].

وقالَ ﷺ: «**يا أَيُّها النّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا يُرى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّها اللهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، وعبد بن حميد (٤٩٦)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٣٤٣)، وابن حبان (٥٠٩)، وابن خزيمة (٢١٣٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٨٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٨)].

٣٣

تبشيره ﷺ للمنفقين والمتصدقين
في رمضانَ وفي غير رمضانَ بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

ويقولُ سبحانَه لرسولِه ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

موعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعِظاتٌ وعِبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطرةِ ألا وهي: تَبشيرهُ ﷺ للمُنفقِينَ والمُتصدِّقينَ في رمضانَ وغيرِ رمضانَ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

أمة الإسلام! المالُ فتنةٌ

• قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن].

• وقالَ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الـمَالُ»[1].

• والإنسانُ بطبيعته يُحبُّ الـمالَ حُبًا جَمًّا (أي: شديدًا)

قالَ تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر].

وقالَ تعالى في وصفِ الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨﴾ [العاديات].

• والناسُ مع المال فريقان:

• فريقٌ عَلِموا أن الـمالَ الذي بأيديهم هو مالُ اللهِ، فاتقوا اللهَ فيه، وأدَّوا حقَّ اللهِ فيه، وأنفقوا وتصدَّقوا من هذا الـمالِ ليلَ ونهارَ، سرّاً وعلانية، فوَصَلوا بمالِهم إلى أفضلِ الـمنازلِ، وتَحصَّلوا على رضا اللهِ، وسعادةِ الدُّنيا والآخرة.

• وفريقٌ افتتنوا بالـمالِ فلم يَتَّقوا اللهَ فيه، فبَخِلوا ورابوا وعصَوا اللهَ بهذا الـمالِ، فوصلوا بمالهم إلى أخبثِ الـمنازلِ، وتَحصَّلوا على سَخطِ اللهِ، وشَقوا في الدُّنيا والآخرةِ، والدَّليلُ على ذلك:

• قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة]

وهذا هو الفريق الفائز.

• وقالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢٢٣)، والحاكم (٧٨٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥٣)].

ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ [البقرة] وهذا هو الفريقُ الـخاسر.

وقالَ تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾ [الروم] وهذا هو الفريقُ الفائز.

وقـالَ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٩] وهذا هو الفريق الـخاسر.

• ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ [الروم] وهذا هو الفريق الفائز.

• وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه سَمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ الله أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ؛ قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. فقالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ** -أَوْ قَالَ الْبَقَرُ- **قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.**

فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِى صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَد انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِي الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِى سَفَرِي. فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ وَأَتَى الأَقْرَعَ فِى صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِي الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ! لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ عزَّ وجلَّ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ» -وهذا هو الفائز- «وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» -وهذا هو الفريقُ الـخَاسر[1].

• وقالَ ﷺ: «ثَلاَثٌ أُقسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الـمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، يقولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ» -وهذا هو الفريقُ الفائزُ- «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الـمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وِلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، قَال: هِيَ نِيَّتُه، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»[١]-وهذا هو الفريقُ الـخاسر-.

وهذه أمثلةٌ للفَريقِ الفائزِ الذي يُنفِقُ ويَتصدَّقُ من مالِهِ ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، على الفُقراءِ والـمساكينِ، وفي سبيلِ اللهِ.

• هذا رسولُنا ﷺ كانَ من أغنى النَّاسِ كما قالَ تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ [الضحى]. ولكنه ﷺ كانَ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ أجودَ من الرِّيحِ الـمُرسَلة.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ؛ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقَاهُ جبريلُ في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدَارِسُهُ القرآن، فَلَرَسولُ الله ﷺ حين جبريلُ عليه السلام يلقاهُ أجوَدُ بالـخيرِ من الريحِ الـمرسَلة)[٢].

ولذلكَ خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من هذه الدُّنيا وما تَركَ خلفَهُ مالاً، تقولُ أُمُّ الـمؤمنين جويريةُ بنتُ الـحارثِ رضي الله عنها: (ما ترك رسولُ الله ﷺ، عند موتِهِ ديناراً، ولا دِرْهَمًا، ولاَ عبْدًا، ولا أمَةً، ولا شيئًا إلا بَغْلَتَهُ البيضاءَ التي كانَ يركبُها، وسلاَحَهُ، وأرضًا جَعَلَهَا لابن السّبيلِ صدقة)[٣].

• وهذا أبو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه الذي تَصدَّق بكلِّ مالِهِ في سبيلِ الله، فلما قال له النبيُّ ﷺ: «**مَا تَرَكْتَ لأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟**» قال: تَركْتُ لهم اللهَ ورسولَهُ.

• وهذا عمرُ الفاروقُ رضي الله عنه الذي تَصدَّق بنصفِ مالِهِ في سبيل اللهِ، فلما قالَ

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي(٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤٦)، واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦١).

له النبيُّ ﷺ: «**مَا تَرَكْتَ لأَهْلِكَ يَا عُمرُ؟!**» قال: مثلَهُ يا رسولَ اللهِ.

• وهذا أبو طلحةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه عندَما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على رسولِه ﷺ: ﴿**لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢] تصدَّق بأحبِّ أموالِهِ إليه وهو بستانٌ يسمى -بَيرُحاء- وقالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: وإنّها صدقةٌ لله تعالى أرجو برَّها وذخرَها عند الله تعالى فضعْها يا رسولَ الله حيثُ أراكَ اللهُ(١).

• وهذه أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها تَتصدَّقُ بمئةٍ وثمانينَ ألفِ درهمٍ في يومٍ واحدٍ.

وهذا الفريقُ الفائزُ الذي يُنفِقُ ويَتصدَّقُ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ على الفُقراءِ والمساكينِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سنَّتهِ بما يلي:

أولاً: بزيادةِ أموالِهم في الدنيا، ويَدخرُها لهم في الآخرةِ حتى تُصبِحَ كالجبلِ.

فالمالُ يا عبادَ الله! يزيدُ بالنَّفَقةِ وبالصَّدقةِ ولا يَنقُصُ. قالَ تعالى: ﴿**وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ ﴿٣٩﴾ [سبأ].

ويقولُ ﷺ: «**ثَلاثٌ أُقسِمُ عَلَيْهنَّ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»(٢) وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فيقُولُ أَحَدُهُما: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٣).

وقالَ ﷺ: «**قالَ اللهُ تعالى: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمُ يُنْفَقْ عَلَيْكَ**»(٤). وقالَ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ،**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي(٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤٦)، واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣).

ثُمَّ يُربِّيها لِصَاحِبِهَا كَما يُربِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تكُونَ مِثْلَ الـجَبَلِ»[(١)].

كيفَ لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

ثانياً: الصَّدَقَةُ تُطهِّرُ النَّفسَ والمالَ

قالَ تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن].

وقالَ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

ثالثاً: الصَّدقةُ سببٌ للحصولِ على فلاحِ الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون].

وقالَ تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم].

رابعاً: الصدقةُ تُطفِئُ غضبَ الربِّ وتُطفِئُ الخطيئة

قالَ ﷺ: **«صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ، وَفِعْلُ الـمَعْرُوفِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ»[(٢)]** وقالَ ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه: **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الـخَيْرِ»؟** قلت: بَلى يا رسولَ الله! قال: **«الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطفِئُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

الـخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الـمَاءُ النَّارَ»(١).

خامساً: المتصدق في ظلِّ صدقتِهِ يوم القيامةِ

• يقولُ ﷺ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقتِهِ**» -أي: يوم القيامة- «**حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**»(٢).

سادساً: المتصدق في ظلِّ عرش الرحمن يومَ القيامةِ

قالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ تعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ تَصدّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»(٣).

سابعاً: الصدقةُ سببٌ للمغفرةِ والأجر العظيم

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى أن قالَ -ربُّ العِزَّة-: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ ماذا أعدَّ اللهُ لهم؟ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب].

ثامناً: الصدقةُ سببٌ للفوزِ بالجنة والنجاة من النار.

قالَ تعالى في وَصفِ أهلِ الـجنَّةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ إلى أن قالَ ربُّ العِزَّة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [الـمؤمنون].

وقالَ تعالى أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ٢٥﴾ إلى أن قالَ ربُّ العِزَّة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥﴾ [الـمعارج].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، وابن حبان (٣٣١٠)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، وأبو يعلى (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، واللفظ له [«صحيح الجامع» (٨٧٢)].

(٣) **متفق عليه**: البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف].

والصَّدقةُ تُنجي من عذاب النار.

• قالَ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(١)].

• وقالَ ﷺ: «**اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا؛ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[(٢)].

• أما الفريقُ الخاسرُ الذين بَخِلوا بأموالِهم وحَرَموا الفقراءَ والمساكينَ ومنعوا الزَّكاةَ فيُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُ اللهِ ﷺ في سنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالحِرمانِ منَ المطر.

• قالَ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ**». وذكر منها: «**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»[(٣)].

• وقالَ ﷺ: «**وَلاَ مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ؛ إِلاَّ حَبَسَ اللهُ عَنْهُم الْقَطْرَ**»[(٤)].

---

(١) **متفق عليه**: روه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٠٣)، [«الصحيحة» (٨٩٧)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في الأوسط (٤٦٧١)، والحاكم (٤/ ٥٨٢)، [«الصحيحة» (١٠٦)].

(٤) **صحيح**: رواه البزار (٤٤٦٣)، والحاكم (٢/ ١٣٦)، والبيهقي (٢٥٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

ثانياً: بحِرمانِ المالِ

• قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

• وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

• وقالَ ﷺ: «**مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ؛ إِلاَّ ابْتَلاَهُمُ اللهُ بالسِّنِينَ**»(٢).

• وها هم أصحابُ الـجنَّةِ عندما قرَّروا حرمانَ الفُقراءِ والـمساكينِ وقالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤﴾؛ فحرمَهم اللهُ جنَّتَهم ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم].

ثالثاً: بحياةِ الضَّنْكِ والهَمِّ والغم.

• قالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

رابعاً: بالعذابِ الأليمِ في الآخرة.

قالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة].

يُفسِّرُ لنا ذلكَ النَّبيُّ ﷺ فيقولُ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٧٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٣)].

فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وجَبِينُه وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا رُدَّتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الـجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»(١).

• ويقولُ ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَه، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشَدْقَيْهِ يَقُولُ: أَنَا مَالُكُ أَنَا كَنْزُكَ!**». ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠](٢).

• وقالَ ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي النَّارِ**»(٣).

وأما زكاةُ الفطرِ: وهي الزَّكاةُ التي يُخرجُها الـمسلمُ في نهايةِ رمضان:

١- فحكمها: واجبةٌ.

• يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (فَرَضَ رسولُ الله ﷺ زَكاةَ الفِطرِ صَاعًا مِن تمرٍ أو صاعًا من شعيرٍ على العبدِ والـحرِّ، والذكرِ والأنثى، والصّغيرِ والكَبيرِ من الـمسلمين)(٤).

٢- حكمتُها: هي طُهرةٌ للصائم من الرَّفَثِ واللَّغوِ، وطعمةٌ للمساكين.

• يقولُ ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: (فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطرِ طُهرَةً للصّائم من اللغوِ والرفثِ، وطُعمةً للمساكين)(٥).

٣- قَدرُها: صاعٌ من طعامِ أهلِ البلدِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٨٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في الـمعجم «الصغير» (٩٣٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٦٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤)، واللفظ للبخاري.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (١٤٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٥٧٠)].

• عن أبي سعيدٍ الـخُدريِّ ﷺ قالَ: (كُنا نُخرجُ زكاة الفطر -أي: على عهدِ رسول الله ﷺ- صاعاً من طعامٍ أو صاعاً من شعيرٍ أو صاعاً من تمرٍ، أو صاعاً من أقطٍ، أو صاعاً من زبيبٍ)[١].

٤- **وقتها**: قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجهُا قبل العيد بيومٍ أو يومين عند الـحاجة.

• قالَ ابنُ عبّاسٍ ﷺ: (فمن أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فهي صدقةٌ من الصَّدَقات)[٢].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (١٦٠٩)، [«إرواء الغليل» (٣٥٧٠)].

٣٤

تبشيرُه ﷺ للمستقيمين على أمرِ اللهِ بسعادةِ الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

ويقولُ سبحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعِظاتٌ وعِبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُستقيمِينَ على أمرِ اللهِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• **الاستقامةُ لغةً:** هي الاعتدالُ، يقالُ: قامَ الشيءُ واستَقَامَ -أي: اعتدلَ واستوى- وقيلَ: الاستقامةُ ضدُّ الاعوجاج[1].

• **الاستقامة اصطلاحاً:** هي سلوكُ الصراطِ المستقيم، وهو الدينُ القويمُ

(١) «نضرة النعيم» (٢/ ٣٠٣).

من غيرِ تعويجٍ عنه يَمنةً ولا يَسرةً، ويَشملُ ذلك فِعلَ الطاعاتِ كُلِّها الظاهرةِ والباطنةِ وتركَ الـمنهيّاتِ كُلِّها كذلك[١].

وقالَ ابنُ حجرٍ رحمَه الله: (الاستقامةُ كنايةٌ عن التَّمسُّكِ بأمرِ اللهِ تعالى فِعلاً وتركاً)[٢].

قالَ تعالى لرسولِه ﷺ وللـمؤمنينَ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود].

• فالاستقامةُ على أمرِ الله هي: لزومُ العدلِ بين طرفِ الغلوِّ والإفراطِ وطرفِ التقصيرِ والتفريطِ، وهي ضدُّ الطُّغيانِ الذي هو مجاوزةُ الـحدودِ في كلِّ شيءٍ، كما أنّها ضدُّ التفريطِ والتَّقصيرِ الذي هو تركُ الواجبات وفعلُ الـمُحرَّماتِ.

عن سفيانَ بن عبدالله الثَّقفيِّ رضي الله عنه قالَ: قلتُ: يا رسولَ الله! حدِّثني بأمرٍ أعتَصمُ بهِ. فقالَ ﷺ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». وفي روايةٍ قالَ ﷺ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[٣].

• فالاستقامةُ هي سبيلُ النَّجاة، وهي الوَسطيّةُ في كلِّ شيءٍ، وهي باختصارٍ: اتِّباعُ الكتابِ والسنةِ ومنهجِ سلفِ الأمة، وهي سلوكُ الصِّراطِ الـمستقِيم، واتّباعُ سبيلِ الـمؤمنين.

وقد جاءَتِ الأدلةُ في الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ سلفِ الأمةِ تأمرُ بالاستقامةِ على أمرِ اللهِ

(١) «جامع العلوم والـحكم» (١٣٩).

(٢) «الفتح» (١٣/ ٢٥٧).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٩٤٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢)].

• **الأدلةُ من كتابِ الله:**

• قالَ تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود].

• وقالَ تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجاثية].

• وقالَ تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزخرف].

• وقالَ تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت].

• وقالَ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام].

• وقالَ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ [النحل].

قالَ مجاهدٌ: (قَصدُ السَّبيلِ) أي: (الـمُقتصِدُ منها بينَ الغُلوِّ والتَّقصير، وذلك يُفيدُ أن الـجائرَ هو الغالي أو المُقَصِّر، وكلاهُما من أوصافِ البِدع)[1].

• **الأدلةُ من السنة النبوية:**

• قالَ رسولُ الله ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُم الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[2].

(١) «الاعتصام» (١/ ٧٨، ٧٩).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٦)، والدارمي (٦٥٥)، وابن حبان (١٠٣٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٧)].

• ولما أرادَ معاذُ بن جبلٍ ﵁ سفرًا قالَ: يا رسولَ الله! أوصِني، قال: «**اعْبُدِ اللهَ لاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا**» قال: يا نبيَّ الله! زدني، قال: «**إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ**» قال: يا رسولَ الله! زِدْنِي، قال: «**اسْتَقِمْ وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ**»[(١)].

• وقالَ ابنُ مسعودٍ ﵁: (خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطاً ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيما**» ثم خطَّ خطوطًا عَنْ يمينهِ وعَنْ شِمَالِهِ وقَالَ: «**هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلاَّ عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، وقرأ ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ**﴾»[(٢)].

• وقالَ رجلٌ: يا رسول الله! قل لي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحداً بعدك. قال: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِم**»[(٣)].

• وقالَ العِرباضُ بنُ ساريةَ ﵁ صلّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يوم، ثم أقبلَ علينا، فوعَظنا موعظةً بليغةً، ذَرفَتْ منها العيونُ، ووَجلَتْ مِنها القُلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسول الله! كأنّها موعظةُ مُودعٍ، فماذا تعهدُ إلينا؟ قال: «**أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الـخُلَفَاءِ الـمَهْدِيِّين الرَّاشِدِين تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عليها بِالنَوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلاَلَة**»[(٤)].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط (٨٧٤٧)، وابن حبان (٥٢٤)، والحاكم (١٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٤)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (١١)، والنسائي في الكبرى (١١١٧٤)، وأحمد (١/ ٤٦٥)، وابن حبان (٦)، واللفظ لأحمد [«ظلال الجنة» (١٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨)، بلفظ (قل آمنت بالله فاستقم).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

• وقالَ ﷺ: «**خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[١].

• أقوالُ السَّلفِ الصّالـحِ في الاستقامة

• سُئِلَ الصِّدّيقُ رضي الله عنه عن الاستقامةِ فقالَ: (ألا تُشركَ باللهِ شيئاً) يريدُ الاستقامةَ على محضِ التَّوحيد[٢].

• وقال الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه: (الاستقامةُ أن تستقيمَ على الأمر والنهي، ولا تروغَ روغانَ الثعالبِ)[٣].

• وقالَ عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه: (استقاموا: أخلَصوا العملَ لله)[٤].

• وقالَ عليٌّ رضي الله عنه وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (استقاموا: أدَّوا الفرائض)[٥].

• وقالَ الـحسنُ: (استقاموا على أمرِ اللهِ فَعَمِلُوا بطاعَتِهِ واجْتَنَبوا معصيتَه)[٥].

• وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (من كان منكم مُستَنّاً فليَستَنَّ بمَن قد ماتَ؛ فإنَّ الـحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمة: أبرَّها قلوبًا، وأَعْمقَها علمًا، وأقلَّها تكلفًا، اختارَهم اللهُ لصُحبةِ نبيِّه ﷺ وإقامةِ دينِه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهُم في أثرِهم، وتَمَسَّكوا بما استطعتُم من أخلاقِهم وسِيَرِهم، فإنهم كانوا على الهُدى الـمستقيم)[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في سننه (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الـجامع» (٣٢٣٢)].

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٨).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٩).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٩).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، والـخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٩٢٣).

والوسائلُ التي تعينُ على الاستقامةِ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ

الوسيلةُ الأولى: إصلاحُ القلب

قالَ ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[(١)].

وقالَ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[(٢)].

قالَ ابنُ رجبٍ رحمَه الله: (أصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلبِ على التَّوحيد، وقد فسَّرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه الاستقامةَ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف:١٣] بأنهم لم يَلتفِتوا إلى غيره، فمتى استقامَ القلبُ على معرفةِ اللهِ وعلى خشيتِه وإجلالِه ومَهابتِه ومحبَّتِه وإرادتِه ورجائِه ودعائِه والتَّوكُّلِ عليه والإعراضِ عما سواه، استقامَت الـجوارحُ كُلُّها على طاعتِه، فإنّ القلبَ هو مَلِكُ الأعضاءِ وهي جنودُه، فإذا استقامَ الـمَلِكُ استقامَت جنودُه ورعاياه، وأعظمُ ما يُراعى استقامتُه بعدَ القلبِ من الـجوارحِ اللِّسانُ فإنه تُرجمانُ القَلبِ والُمعبِّرُ عنه)[(٣)].

الوسيلةُ الثانية: إمساكُ اللسانِ عن الـخوضِ في الباطل

• جاءَ رجلٌ وقالَ: يا رسولَ الله! حدِّثني بأمر أعتصمْ به. قال: «قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قال: قلتُ: يا رسولَ الله! ما أكثرُ ما تخافُ عليّ؟ فأخذَ بلسانِ نفسه ثم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٤).
(٣) «جامع العلوم والـحكم» (١٩٣-١٩٤).

قال: «**هَذَا**»(١).

• وجاءَ رجلٌ إلى الرَّسولِ ﷺ يقولُ: يا رسولَ الله! ما النَّجاة؟ فقالَ ﷺ: «**أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٢).

• وقالَ ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابنُ آدمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ** -أي: تَذِلُّ له وتَخضع- **فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(٣).

فمن أرادَ أن يستقيمَ على طاعةِ ربِّه حتى الموتِ فعليه أن يُمسكَ لسانه عن الخوضِ في الباطل؛ لأن الخوضَ في الباطلِ سببٌ لدخولِ النَّار.

قالَ تعالى: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾**﴾ [المدثر].

وعليه أن يُمسكَ لسانَه عن الغيبة؛ لأن الغيبةَ حرام.

قالَ تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾**﴾ [الحجرات].

وقالَ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٩٤٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢)]، ورواه مسلم (٣٨)، بلفظ (قل آمنت بالله فاستقم).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، وعبد بن حميد (٩٧٩)، وأبو يعلى (١١٨٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠، ٤٢٤)، وأبو يعلى (٧٤٢٣)، من حديث أبي برزة الأسلمي، ورواه أبو يعلى (١٦٧٥)، من حديث البراء، والترمذي (٢٠٣٢)، من حديث ابن عمر، واللفظ لأبي داود [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٣٩، ٢٣٤٠)].

وعليه أن يُمسِكَ لسانَه عن النَّميمةِ؛ لأن النَّميمةَ حرام.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم].

وقالَ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الـجَنَّةَ نَمَّامٌ»(١).

وعليه أن يُمسِكَ لسانَه عن الكَذبِ؛ لأن الكذبَ حرام.

قالَ ﷺ: «... وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُور، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كِذَّابًا»(٢).

الوسيلة الثالثة: مصاحبةُ الصالحين ومجالستُهم.

قالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ»(٣).

وقالَ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلِ»(٤).

وقالَ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الـجَلِيسِ الصّالِحِ وَجَلِيسِ السوءِ، كَحَامِلِ الـمِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ الـمِسْك إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»(٥).

الوسيلة الرابعة: الإتباعُ وعدمُ الابتداعِ

إن اتِّباعَ الكتابِ والسُّنةِ بفَهم سلفِ الأمةِ من أقوى وسائلِ الثَّباتِ على الاستقامةِ في الدِّينِ حتى الـموت، وقد جاءَت الأدلةُ في الكتابِ والسُّنةِ وأقوالِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ لمسلم.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٥)، وأبو يعلى (١٣١٥)، وابن حبان (٥٥٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٦)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، وأحمد (٢/ ٣٠٣)، وعبد بن حميد (١٤٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٢٧)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، واللفظ له.

السّلفِ تأمرُ بالاتِّباعِ وتَنهى عن الابتداع.

• **الأدلةُ من كتابِ الله:**

قالَ تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود] أمرٌ بالإتباع ونهيٌّ عن الابتداع.

وقالَ تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

أدلةٌ كُلُّها تأمرُ بالاتبّاعِ وتنهى عن الابتداع.

• **الأدلةُ من السنة:**

قالَ ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رِدٌّ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**مَن عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

• **الأدلةُ من أقوال السلف:**

• يقولُ أبو بكرٍ الصِّدّيقُ رضي الله عنه: (إنّما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدعٍ، فإن استقمتُ فتابعوني، وإن زغتُ فقوموني)(٤).

• ويقولُ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (عليكمُ بالاستقامة والأثرِ وإيّاكُم والتبدّعَ)(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٨).

(٤) رواه الدينوري في المجالسة (١٢٩٠).

(٥) رواه ابن وضاح القرطبي في «البدع» (١/ ٥٤).

• ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ وإن رآها الناسُ حسنةً)[١].

• ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة)[٢].

وقال أيضاً: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)[٣].

• وقالَ الإمامُ مالكٌ رحمَه الله: (مَن ابتدَعَ في الإسلام بدعةً يرَاها حسنةً فقد زعَم أن محمّداً صلى الله عليه وسلم خانَ الرِّسالة، لأن اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليومَ ديناً)[٤].

• أمثلةٌ من سيرةِ السلفِ الصالحِ في ذمِّ الابتداعِ والإنكارِ على المبتدعةِ، والحثِّ على الإتباعِ والتمسكِ بالسنة.

• هذا الفاروقُ عمرُ بنُ الـخطّابِ رضي الله عنه جاءَ إلى الـحجرِ الأسودِ فقبَّلَهُ فقال: (إِنِّي أعلمُ أنّك حَجَرٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، وَلولاَ أَنِّي رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُقبِّلُكُ ما قبّلتك)[٥].

• وهذا عُثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه قَعدَ يوماً على الـمقاعدِ -أي مقاعدِ الوضوءِ- فدَعا بطعام مما مسّته النارُ فأكلهُ، ثم قامَ إلى الصَّلاةِ فصَلَّى، ثم قالَ عثمانُ: قَعدتُ فقَعَدَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأكلتُ طعامَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وصلَّيتُ صلاةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم[٦].

• وسمعَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما رجلاً عطسَ فقالَ: الـحمدُ للهِ والسَّلامُ على رسولِ

(١) رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٢٦).

(٢) رواه الدارمي (٢١٧)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٣٢٠).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٨٧٧٠)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٠٤).

(٤) «الابتداع» (١٧١)، و«السنن والـمبتدعات» (٦).

(٥) **متفق عليه: رواه** البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٦) رواه أحمد (١/ ٧٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٠١).

اللهِ. فقالَ له ابنُ عمر: وأنا أقول: الـحمدُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ، وليسَ هكذا علَّمَنا رسولُ اللهِ ﷺ؛ علَّمَنا أن نقولَ: الـحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ[1].

• وجاءَ رجلٌ إلى الإمامِ مالكٍ فقال له: من أين أُحرم؟ قال له: (من ذي الـحليفة، من حيثُ أحرمَ رسولُ اللهِ ﷺ). فقالَ الرَّجلُ: إني أريد أن أُحرِمَ من الـمسجدِ -أي: النَّبويِّ- من عندِ القبرِ. قالَ له: (لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة). فقالَ الرَّجل: أيُّ فتنةٍ هذه؟ إنما هي أميالٌ أزيدُها. فقالَ له: (وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك سَبقتَ إلى فضيلةٍ قصَّر عنها رسولُ اللهِ ﷺ؟ إني سمعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور][2].

الوسيلةُ الـخامسةُ: العلمُ الشّرعيُّ (علمُ الكتابِ والسُّنةِ بفَهمِ سلفِ الأمةِ)

إن طلبَ العلمِ الشَّرعيِّ من أفضلِ الوسائلِ التي تُعينُ على الاستقامةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. إن العلمَ الشَّرعيَّ يورثُ الـخشيةَ، والـخشيةُ تدفعُ صاحبَها إلى الاستقامةِ على دينِ اللهِ.

قالَ تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الـمؤمنون].

فالعلمُ الشَّرعيُّ يدفعُ صاحبَه إلى الاستقامةِ على أمرِ اللهِ حتى الـموت، فلا

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٨)، والـحاكم (٤/ ٢٩٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الـحلية (٦/ ٣٢٦).

يَنحرِفُ بشَهَواتٍ ولا شُبهاتٍ عن استقامتِه، ويَظهرُ ذلك بيِّناً في الأمثلةِ الآتية:

• أهلُ العلم أمامَ فتنةِ الشَّهوَاتِ (فتنةِ المال)

عندما افتتنَ النّاسُ بمالِ قارونَ ثَبتَ أهلُ العلمِ على دينِهم ولم يَفتتِنوا بل نَصحُوا غيرَهم. قالَ تعالى عن هؤلاء: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص].

• أهلُ العلمِ وفتنةُ الشُّبهاتِ (فتنةُ الخوارج)

الجاهلُ تَعرِضُ له الشُّبهاتُ فيَفتتِنُ بها، والعالِمُ تَعرِضُ له الشُّبهاتُ فيَعرضُها على الكتابِ والسُّنةِ وفَهمِ سلفِ الأمّة، فلا يَفتتنُ بها، وهذا ما حَدَثَ بينَ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في مُناظرتِه مع الخوارج، حيثُ عرضَ شبهاتِهم على الكتابِ والسّنّةِ فرجعَ ألفانِ منهم عن ضلالِهم.

فبالعلمِ يَسيرُ المسلمُ إلى ربِّه على نورٍ، وبالجَهلِ يَنحرِفُ الإنسانُ عن الاستقامةِ، فهاهم قومُ موسى عليه السلام طلَبوا من نبيِّهم أن يجعلَ لهم إلهاً بسَببِ جهلِهم.

قالَ تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف].

وأولئكَ قومُ لوطٍ عليه السلام وقعوا بجهلهم في فاحشةِ اللواطِ قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥﴾ [النمل].

أمة الإسلام! المستقيمونَ على أمرِ اللهِ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: بالثَّباتِ على الدِّين.

لأن من استقامَ ثَبتَ، ومن ثَبتَ نَبتَ، ومن نَبتَ أثمر، ولذلكَ عندَما قال الرجلُ لرسولِ اللهِ ﷺ: يا رسولَ الله! حدِّثني بأمرٍ أعتصمْ به، قالَ له ﷺ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِم**»(١).

ثانياً: بالحياةِ الطيِّبة في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦﴾ [الجن] أي: لو استقاموا على طريقةِ محمَّدٍ ﷺ بالإيمانِ والعملِ الصّالحِ لأحيَيناهم في هذه الدُّنيا حياةً طيِّبةً.

قالَ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل].

ثالثاً: بالبُشرى الطيِّبةِ عندَ الموت

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ -أي: عند الموت- ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت].

رابعاً: يُظلُّهم اللهُ في ظلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ

قالَ ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِل**» -أي: استقامَ على عدلِه حتى الموت- «**وَشَابٌّ نَشأَ بِعِبَادَةِ الله**» -أي: استقامَ على عبادةِ ربِّه حتى الموت- «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلّقٌ فِي المَسَاجِدِ**» -أي: استقامَ على محبةِ المساجدِ والمحافظةِ على الصلاةِ فيها في جماعةٍ حتى الموت- «**وَرَجُلانِ تحابَّا**

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٩٤٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٢)].

في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» -أي: استقاما على الـحبِّ في اللهِ حتى الـموت- «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ فقالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ**» -أي: استقامَ على الـخوفِ من اللهِ حتى الـموت- «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لاَ تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُه**» أي: استقامَ على الإخلاصِ حتى الـموت- «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» -أي: استقامَ على ذكرِ اللهِ وخشيتِه حتى الـموت-[1].

خامسا: يبشرهم بالجنة

قـالَ تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾**﴾ [الأحقاف].

وهذه هي الاستقامةُ على أمرِ اللهِ في رمضانَ وفي غيرِ رمضان، وهذا ما أعدَّه اللهُ للمُستقيمِينَ على أمرِ الله في رمضانَ وفي غيرِ رمضان، وها نحنُ بعدَ أيام نُودِّعُ رمضان، ويُودِّعُنا رمضان، وانطلاقاً من قولِه ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَة**» أقولُ: يا معشر الـمسلمين! احذَروا موانعَ الاستقامةِ وهي:

أولاً: فسادُ القلب

لأنه إذا فَسَدَ القلبُ فَسَدَ الـجسدُ كلُّه، فيَنحرِفُ صاحبُهُ عن الاستقامة.

ثانياً: فسادُ اللِّسان

لأنه إذا فَسَدَ اللِّسانُ اعوَّجَّتِ الأعضاء، وإذا اعوَّجَت الأعضاءُ اعوَجَّ الإنسانُ عن الاستقامة.

ثالثاً: قرينُ السُّوء

وذلكَ لأن الصَّاحبَ ساحبٌ، فإذا صاحبَ الإنسانُ قرناءَ السُّوءِ منعوه من الاستقامة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وقالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف].

رابعاً: الهوى

لأن الهوى يَمنعُ صاحبَهُ من الاستقامةِ على أمر اللهِ.

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقالَ تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠].

خامساً: الشيطان

الشَّيطانُ يَصُدُّ الإنسانَ عن الاستقامة على أمرِ اللهِ

قالَ تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

سادساً: دعاة الضلالة

دعاةُ الضلالةِ يَمنعونَ الـمُسلمينَ من الاستقامةِ على أمرِ اللهِ؛ قالَ ﷺ مُحذِّراً منهم: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّم، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قالَ حذيفةُ: يا رسولَ الله! صِفهم لنا. فقال: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قلت: فما تأمرُني إن أدركَني ذلك؟ قالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الـمُسْلِمِينَ وإِمَامَهُم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَق كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ**

الـمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» [١].

سابعاً: الكفار

الكفّارُ يُنفقونَ أموالَهم باللَّيلِ والنهار؛ ليَصُدُّوا الناسَ عن سبيل اللهِ، وعن الاستقامة، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)، واللفظ له.

٣٥

تبشيرُه ﷺ للمحافظين على الصلاة في المساجد بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾ [الأحزاب].

موعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع مَوعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمَرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمَّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البشاراتُ النَّبويّةُ التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للمُحافظينَ على الصّلاةِ في المساجدِ بسَعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• الصَّلاةُ هي الرُّكنُ الثّاني من أركانِ الإسلام بعدَ الشَّهادتَين قالَ ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْس شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[١].

• الصَّلاةُ هي عمودُ الدين الذي لا يقومُ إلا به. قالَ ﷺ: «**رَأسُ الأمرِ الإسلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ في سبيلِ الله**»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٨٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

• الصَّلاةُ هي أولُ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ يومَ القيامةِ. قال ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصّلاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**»(١).

• الصَّلاةُ كانَت قرةَ عينِ النَّبيِّ ﷺ في حياتِه؛ فآخرُ ما وصَّى بِه ﷺ عندَ موتِه قال ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم: النِّسَاءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(٢). وقال ﷺ وهو يفارقُ الدنيا: «**الصَّلاةَ، الصَّلاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(٣).

• الصَّلاةُ أولُ ما أوجبَ اللهُ على عبادِه من العباداتِ، وهي أكثرُ الفرائضِ ذكراً في القرآن الكريم، وهي العبادةُ الوحيدةُ التي لا تَسقطُ عن الـمكلَّفِ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ إلا إذا فقدَ عقلهُ أو خرجَت روُحُه.

عبادَ الله! والصلاةُ لا يحافظُ عليها في الـمساجدِ إلا الرجالُ. قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ) إلى أن قال: (وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)(٤).

---

(١) **صحيح لغيره**: بهذا اللفظ رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٥٨)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ٢٨٥)، وأبو يعلى (٣٥٣٠)، والبزار (٦٨٧٩)، [«صحيح الـجامع» (٣١٢٤)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه النسائي في «الكبرى» (٧٠٩٤)، وابن ماجه (٢٦٩٧)، وأحمد (٣/ ١١٧)، من حديث أنس، ورواه النسائي في الكبرى (٧٠٩٨)، وابن ماجه (١٦٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٠)، من حديث أم سلمة [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٨٥)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

• كيفَ لا؟ ورسولُنا ﷺ يقولُ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهِ**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعَلَّقٌ بِالْـمَسَاجِدِ**»(١).

• والصلاةُ لا يتَخلَّفُ عنها في الـمساجدِ إلا ثلاثة:

الأول: الـمعذورُ

قالَ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»(٢).

الثاني: النساءُ؛ لأنَّ الصلاة في الـمسجدِ لا تجبُ على النساءِ، فالـمرأةُ وإن جازَ لها الـخروجُ إلى الـمسجدِ إلا أنَّ صلاتَها في بيتِها أفضلُ.

فعن أمِّ حُمَيْدٍ الساعديّة أنها جاءَتْ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله! إني أحبُّ الصلاة مَعَك. فقالَ ﷺ: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّك تُحِبِّينَ الصَّلاَةَ مَعي، وَصَلاَتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لك مِنَ صَلاَتِكِ فِي حُجرَتِكِ، وصَلاَتُكِ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ لَكِ من صَلاَتِك في دَارِكِ، وَصَلاَتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلاَتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وصَلاَتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلاَتِكِ فِي مَسْجِدِي**»(٣).

الثالثُ: الـمنافقُ

فالـمنافِقُ يصلي للنّاس، ولا يُصلِّي لله، ولذلكَ تراهُ يصلِّي الصَّلاةَ التي يراهُ فيها النَّاسُ في النَّهار، ويَتخلَّفُ عن صلاةِ الفجرِ والعشاء. ولا يأتي إلى الصلاة إلا وهو كسلانٌ متثاقلٌ.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان (٢٠٦٤)، والحاكم (٨٩٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٦)].

(٣) **حسن** لغيره: رواه أحمد (٦/ ٣٧١)، وابن خزيمة (١٦٨٩)، وابن حبان (٢٢١٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠)].

قَامُوٓاْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقالَ ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الـمُنَافِقِينَ صَلاَةُ العِشَاءِ، وَصَلاَةُ الفَجْرِ**»[1].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (ولقد رَأَيْتُنا وما يتخلفُ عنها) –أي: الصَّلاةِ في الـمسجدِ– (إلا منافقٌ مَعْلومُ النفاقِ)[2].

• وصلاةُ الـجماعةِ في الـمسجدِ فرضُ عينٍ على الرِّجالِ إلاّ مِنْ عُذْرٍ، والأدلةُ على ذلك من الكتابِ والسنةِ، هي:

أولاً: أمرَ اللهُ بالـمحافظةِ على الصلاةِ حيثُ يُنادي بهنَّ –أي في الـمساجد–.

قالَ تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

وقالَ تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[البقرة].

وقالَ ﷺ للأعمى: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟**» قال: نعم. قال: «**فَأَجِبْ**»[3].

ثانياً: وقد توَعَّدَ الرسولُ ﷺ الـمتخلفين عن الـجماعةِ بالعقابِ الشديد. قالَ ﷺ:

«**وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[4].

ثالثاً: لم يُرَخِّص ﷺ للأعمى أن يصلي في بيته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَتَى النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقال: يا رسولَ الله! إنّه ليسَ لي قَائِدٌ يقودني إلى الـمسجد،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٢٠)، ومسلم (٦٥١)، واللفظ له.

فسألَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُرَخِّصَ له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما وَلى دعاهُ فقال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ**» فقال: نعم، قال: «**فَأَجِبْ**»[(١)].

رابعاً: وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**»[(٢)].

خامساً: وقالَ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ**»[(٣)].

سادساً: وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهُ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ) إلى أن قال: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[(٤)].

- المحافظونَ على الصَّلاةِ في المساجدِ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه، ورسولُ اللهِ ﷺ في سنَّته بما يلي:

أولاً: بالنورِ التَّامِّ يوم القيامة.

قالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢/ ١٠٦)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، وابن حبان (٢١٠١)، واللفظ للنسائي [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧)]

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان (٢٠٦٤)، والحاكم (٨٩٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٦)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

وقالَ ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

ثانياً: بِنُزلٍ عظيم في الجنة

قالَ ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الـمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الـجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّما غَدَا أَوْ رَاحَ»(٢).

• وعن أبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ من الأنصارِ لا أعلمُ أحداً أبعدَ من الـمسجدِ منه، كانَت لا تخطئه صلاةٌ، فقيل له: لو اشتريتَ حماراً تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء، فقال: ما يسُرُّني أنَّ منزلي إلى جنبِ الـمسجدِ، إني أُريدُ أنْ يكتبَ لي مَمْشَايَ إِلَى الـمَسْجِدِ، ورُجُوعِي إذا رَجعَتُ إلى أهلي. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»(٣).

ثالثاً: بالهدايةِ والفلاحِ في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

وقالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى أن قالَ ربُّ العِزَّة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون].

رابعاً: بالنَّصرِ والتَّمكينِ في الأرض.

قالَ تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، من حديث بريدة، ورواه ابن خزيمة (١٤٩٩)، من حديث سهل الساعدي وفي الباب عن أنس وأبي سعيد الخدري وزيد بن حارثة وعائشة، واللفظ لأبي داود [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٦٣).

إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وقالَ ﷺ: «إِنَّما يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعفائِها؛ بِدَعْوَتِهِم وَصَلاَتِهِم وإِخْلاَصِهِم»(١).

خامساً: بتكفيرِ السَّيِّئاتِ ومَحوِ الخطايا

قالَ ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ؟» قالوا: بلى يا رسولَ الله! قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِه، وَكَثْرَةُ الخُطا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُم الرِّبَاطُ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ»(٢).

وقالَ ﷺ: «إسباغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وإِعْمَالُ الأَقدَامِ إلى المَساجِدِ، وانْتِظَارُ الصّلاةِ بعَدَ الصّلاة، تَغسِلُ الخَطَايَا غسلاً»(٣).

سادساً: بالرحمةِ في الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

سابعًا: بالتجارة الرابحة

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٦/ ٤٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص وهو عند البخاري (٢٨٩٦)، بلفظ: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١)،

(٣) **صحيح**: رواه عبد بن حميد (٩١)، وأبو يعلى (٤٨٨)، والبزار (٥٢٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣)].

رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ [فاطر].

ومن أرباحِ هذه التجارة:

١- مغفرةُ الذنوب:

قالَ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَصَلَّاهَا مَعَ الإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»(١).

٢- إكرامُ اللهِ تعالى له

قالَ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الـمَسْجِدَ، فَهُوَ زَائِرُ اللهِ، وحَقٌّ عَلَى الـمَزورِ أَنْ يُكْرِمُ الزَائِرَ**»(٢).

٣- الرِّزقُ الحسنُ في الدنيا، والجنةُ في الآخرة

قالَ ﷺ: «**ثَلاثَةٌ كُلُّهم ضَامِنٌ عَلَى اللهِ؛ إِنْ عاشَ رُزِقَ وَكُفِيَ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الـجَنَّةَ**» وذكر منهم: «**مَنْ خَرَجَ إِلَى الـمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ**»(٣).

٤- براءةٌ من النفاقِ ومن النّارِ

قالَ ﷺ: «**مَن صَلّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى؛ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتان: بَرَاءةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٧١)، وابن خزيمة (١٤٨٩)، واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٠)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الـمعجم «الكبير» (٦١٣٩، ٦١٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب الـمفرد» (١٠٩٤)، وأبو داود (٢٤٩٤)، ابن حبان (٤٩٩)، واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠٩)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٤١)، والبزار (٧٥٧٠)، واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠٩)].

٥- الجَنَّة

قــالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

وقــالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج].

وقال ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أو رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ من الجنَّةِ كُلَّما غَدَا أو راح**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩)، واللفظ لمسلم.

٣٦

تبشيرُه ﷺ للصادقين والصادقات بسعادة الدنيا والآخرة

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ الـمواعظِ التي بعنوان: **اللُّؤلؤُ والمَرجانُ من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: **البِشاراتُ النَّبويَّة التي سنَقطِفُها -إن شاءَ اللهُ تعالى- من دراستِنا للسِّيرةِ النَّبويّة العَطِرةِ ألا وهي: تَبشيرُه ﷺ للصّادقينَ والصّادقاتِ بسعادةِ الدُّنيا والآخرة.**

• قسَّمَ اللهُ -سبحانه وتعالى- النّاسَ إلى: صادقٍ ومنافقٍ، فقالَ تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤].

• والإيمانُ أساسُهُ الصدقُ، والنفاقُ أساسُهُ الكذبُ، فلا يجتمعُ كذبٌ وإيمانٌ إلا واحدُهما يحاربُ الآخر[1].

قالَ تعالى في وصفِ الـمؤمنينَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ

(١) انظر: «نضرة النعيم» (٦/ ٢٤٧٧).

لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وقالَ تعالى في وصف المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

• **والصدقُ ثلاثة: صدقٌ في القولِ، وصدقٌ في العملِ، وصدقٌ في الحال.**

فالصِّدقُ في الأقوالِ: استواءُ اللِّسانِ على الأقوالِ كاستواءِ السُّنبلةِ على ساقها.

والصِّدقُ في الأعمالِ: استواءُ الأفعالِ على الأمرِ والمتابعةِ كاستواءِ الرأس على الجسدِ.

والصِّدقُ في الأحوالِ: استواءُ أعمالِ القلبِ والجوارِح على الإخلاصِ، واستفراغُ الوُسعِ، وبذلُ الطاقةِ، فبذلك يكونُ العبدُ من الذينَ جاؤوا بالصدق.

كما قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر].

وبحَسبِ كمالِ هذه الأمورِ فيه، وقيامها به تكون صِدِّيقيَّتُهُ، كما فعلَ أبو بكرٍ رضي الله عنه[(١)].

• والصِّدقُ خلقٌ عظيمٌ من أخلاقِ النَّبيِّينَ والصّالحين.

فهذا إبراهيمُ عليه السلام قالَ اللهُ تعالى في وصفِه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم].

وهذا إسماعيلُ عليه السلام قالَ اللهُ تعالى فيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ

(١) «نظرة النعيم» (٦/ ٢٤٧٥).

﴿ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

وهنا يوسفُ عليه السلام قالَ اللهُ تعالى فيه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف].

وهذا رسولُنا ﷺ قالَ اللهُ تعالى في وصفِه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر] والذي جاء بالصدق وصدَّق به هو رسول الله ﷺ وقد كانَ الصِّدقُ فيه ﷺ بمثابةِ السَّجيّةِ والطبع، فعُرِف بذلك حتى قبلَ البعثةِ، وكان لذلك يُلقّبُ بالصَادقِ الأمينِ، واشتُهرَ بهذا، وعُرِفَ به بين أقرانِهِ، وقد اتخذ ﷺ من الصدقِ الذي اشتهر به بين أهلِهِ وعشيرتهِ مَدْخلاً إلى المجاهَرَةِ بالدعوةِ إلى اللهِ، إذ إنّهُ لما نزل قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

جمَعَ أهلَهُ وسألهم عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمرٍ من الأمورِ فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين: (مَا جرَّبنا عليك إلاَّ صدقاً).

• والصِّدقُ من صفاتِ الصالحين

قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وقالَ تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

• وفي مقدِّمةِ الصّادقينَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم. قالَ تعالى في وصفِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

وهذا أمرُ اللهِ الـمؤمنينَ أن يكونَ معَ الصَّحابةِ لأنهم أصدَقُ النّاس بعدَ الأنبياءِ والـمُرسلينَ. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة] -أي: كونوا على مَنهجِهم وسبيلِهم فإنهم كانوا على الهُدى الـمُستقيم.

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَن كانَ مستّنًا فَلْيَسْتَنَّ بمَن قَدْ مَاتَ؛ فإِنَّ الـحَيَّ لاَ تُؤْمَنَ عَلَيْهِ الفِتنة، أُولئك أصْحَابُ محمدٍ ﷺ، كانوا واللهِ! أفضلَ هذه الأمةِ؛ أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلّفًا، قَومٌ اختارهمُ اللهُ لصحبةِ نبيّه وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فَضلَهُم، واتّبعُوهم في آثارِهم، وتمسّكوا بِما استطعَتُم من أخْلاقهم ودينهم، فإنهم كَانوا على الهدُى الـمستقيم).

- **وقد ضَربَ الصحابةُ رضي الله عنهم أروعَ الأمثلةِ في الصدقِ في جميعِ المجالاتِ. فمثلاً:**

١- صدقُهم في محبةِ النبيِّ ﷺ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنْ عَوْفٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلاَمَينِ مِنَ الأَنْصارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهما، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بينَ أَضْلَعَ مِنْهُما. فَغَمَزَنِي أَحدهُما فقالَ: يا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. وَمَا حَاجَتُك إِلَيهِ يا ابْنَ أخي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يُسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. وَالَّذِي

نَفْسي بِيَدِهِ! لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. قالَ: فتعَجَّبْتُ لِذَلِكَ. فَغَمَزَنِي الآخَرُ فقالَ مِثْلَها. قال: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظرتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ. فَقُلْتُ: أَلاَ تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلاَنِ عَنْهُ. قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ، فَضَرَبَاهُ بسيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلاهُ. ثُمَّ انْصَرَفا إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ. فَأَخْبَرَاهُ. فقال: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» فقالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما: أَنَا قَتَلْتُهُ. فقالَ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**» قالا: لا. فَنَظَرَ فِي السّيفينِ فقال: «**كِلاَكُما قَتَلَهُ**»[(١)].

٢- صدقهم في الخوفِ على رسولِ الله ﷺ

• تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (سَهِرَ رسولُ الله ﷺ مقدَمهُ الـمدينةَ ليلةً -وكان ذلكَ بسببِ التهديداتِ التي تصلُ إلى الـمسلمينَ من كُفارِ مكة بعد الهجرة-، فقال ﷺ: «**لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**». قالت: فبَينَما نحنُ كذلك سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلاحٍ -أي: صوتَ سِلاحٍ- فقال ﷺ: «**مَنْ هَذَا؟**» قال: سعدُ بن أَبِي وَقّاصٍ. فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**» قال: وَقَعَ فِي نَفسي خَوْفٌ على رسولِ الله ﷺ؛ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فدَعَا لَهُ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ نامَ[(٢)].

٣- صِدْقُهُم في طَلبِ الشهادةِ في سبيل الله

• عنْ شَدّادِ بن الهاد رضي الله عنه: أنّ رجلاً من الأعراب جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فآمن به واتَّبعَه، ثم قال: أُهاجرُ معك، فأوصى به النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابه، فلما كانت غزاةٌ، غنم النبيُّ ﷺ [شيئاً] فقسمَ، وقسمَ له، فأعطى أصحابَه ما قسم له، وكان يرعى ظهرَهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قسمَه لك النبيُّ ﷺ. فأخذه فجاء به إلى النبيِّ ﷺ؛ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسَمْتُهُ لَكَ**»، قالَ: ما

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، واللفظ له.

على هذا اتّبعتُك، ولكن اتبعتُّك على أن أُرمى إلى ههنا -وأشار إلى حلقِهِ- بسهمٍ فأموتَ، فأدخلَ الـجنة. فقال: «**إنْ تَصدُقِ اللهَ يَصْدُقْك**».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتالِ العدو، فأُتي بِهِ إلى النبيِّ ﷺ يُحمَلُ، قد أصابَه سهمٌ حيثُ أشار. فقال النبيُّ ﷺ: «**أهوَ هُوَ؟**» قالوا: نعم. قال: «**صَدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ**».

ثم كفَّنَه النَّبيُّ ﷺ في جبّتِهِ التي عليه، ثم قدَّمه فصَلَّى عليه، وكانَ مما ظهَرَ من صلاتِه: «**اللهمَّ! هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِك**»[1].

٤- صدقُهم في طلب الجنة:

• في غزوةِ بدرٍ لما دنا الـمشركونَ من الـمسلمينَ، قالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**» فقالَ عُمَيْرُ بْنُ الـحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأرض؟ قال: «**نَعَمْ**» قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكِ بَخٍ بَخٍ**» قال: لاَ واللهِ! يَا رَسولَ اللهِ! إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**» فأخرجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثمّ قال: لَئِن أَنَا حَيِيْتُ حتّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ؛ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قال: فَرَمى بِمَا كانَ معه من التَّمرِ ثُمَّ قاتَلَهُمْ حَتّى قُتِلَ[2].

• وعن أنسٍ ﭬ قال: غابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ ﭬ عن قتالِ بدرٍ فقال: يا رسولَ اللهِ! غِبتُ عَنْ أَوّلِ قِتَالٍ قاتلتَ الـمشركينَ، لَئِنْ أشهدَني قِتالَ الـمشركينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ، فلَـمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ انكشفَ الـمسلمونَ فقال: اللهمَّ إنِّي

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ٦٠)، والـحاكم (٦٥٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١).

أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ -يعني أصحابَه-، وأبرأُ إليكَ مِمّا صَنَعَ هؤلاءِ -يعني الـمشركين-، ثُمَّ تقدَّمَ فاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ! فقال: يَا سعدَ بنَ معاذٍ، الـجنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَها من دونِ أُحُد.

فقال سعدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قال أنسٌ: فوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وثمانينَ ضربةً بالسيفِ، أو طعنةً برمحٍ، أو رَمْيَةً بسهمٍ. ووجدْناهُ قد قُتلَ، ومثّلَ به الـمشركونَ، فما عرفهُ أحدٌ إلاّ أُختُهُ بِبَنَانِهِ.

قالَ أنسٌ: كنا نرى أو نَظُنُّ أنّ هذه الآيةَ نزلَتْ فيه وفي أشباهِه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب:٢٣][(١)].

فاتَّقوا اللهَ عبادَ الله وكونوا معَ الصّادقينَ -وهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ- فهم أئمةُ الصدقِ في كلِّ شيءٍ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ.

الصّادقونَ والصّادقاتُ يُبشِّرُهم ربُّهم في كتابِه ورسولُهم ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: جعلَ اللهُ لهم عندَهُ قدمَ صدقٍ، ومقعدَ صدقٍ

قالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]. وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

ثانياً: جَعلهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ معَ أحسنِ رفقةٍ

قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

ثالثاً: يتحصلُ الصادقُ على خيرِ الدنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

• **أما خير الدنيا**

١- من تَحرّى الصِّدقَ في كلِّ شيءٍ كُتِبَ عندَ اللهِ صِدِّيقاً. قالَ ﷺ: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**»(١).

٢- من تَحَرَّى الصِّدقَ في كلِّ شيءٍ اطمَئَنَّ قلبُه وعاشَ في طُمأنينةٍ وسَعادةٍ. قالَ ﷺ: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ**»(٢).

٣- من تَحرَّى الصِّدقَ في بيعِه وشرائه تحصَّل على البركةِ والزيادةِ. قالَ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بالْـخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما**»(٣).

٤- من تَحرَّى الصِّدقَ في نيَّتِه في حُبِّ فعلِ الـخيرِ كُتِبَ له أجرُه وإن لم يَفعلهُ. قالَ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٤).

وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّه**»(٥).

وقالَ ﷺ: «**إِنَّما الدُّنْيَا لأَرْبَعَة نَفَر: عَبْد رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الـمَنَازِل، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يقولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ،**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، والطيالسي (١١٧٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٣٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٩).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٣/ ٢٥٨)، وابن ماجه (١٣٤٤)، وابن خزيمة (١١٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢١)].

فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ....»(١).

٥- من تَحرَّى الصِّدقَ في كلِّ شيءٍ نجا، وجعلَ اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مَخرجاً. ومن الأمثلةِ على ذلك:

• الثَّلاثةُ الذين دَخلوا الغارَ صَدَقوا معَ اللهِ في إخلاصِهم فجَعَلَ اللهُ لهم مخرجاً.

• كعبُ بنُ مالكٍ صَدَقَ في توبتِه فتابَ اللهُ عليه.

• **أما في الآخرة:**

فالصِّدقُ ينفعُ صاحبَه في الآخرةِ كما نفَعهُ في الدُّنيا.

قالَ تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾[الزمر].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ماذا أعدَّ اللهُ لهم: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب].

وقالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [الليل].

وقالَ ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى**

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٠، ٢٣١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤٦)، واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

الـجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلَ يَصْدُقُ وَيتحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً»(١).

وقالَ ﷺ: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أضْمَنْ لَكُمُ الـجَنَّةَ**» وَذَكَرَ مِنها: «**اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ**»(٢).

أما الكَذَّابُ الذي يَكذِبُ على اللهِ وعلى رسولِهِ ﷺ وعلى النَّاسِ ويَتحرَّى الكَذِبَ فيُبشِّرُهُ اللهُ في كتابِه، ورسولُ اللهِ ﷺ في سُنَّتِه بما يلي:

أولاً: أبشِر أيها الكذاب بأنكَ مُنافقٌ

قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون].

وقالَ ﷺ: «**آيةُ الـمُنَافِقُ ثَلاثٌ، [وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ]: إِذَا حَدَّثَ كَذَبْ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ**»(٣).

ثانياً: أبشِر أيُّها الكذاب فإنكَ ملعونٌ

قالَ تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ [النور].

وقالَ تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران].

ثالثاً: أبشِر أيها الكذاب فأنتَ محرومٌ من الهدايةِ والتوفيق

وذلكَ لأن الكذبَ يهدي صاحبه إلى الفُجورِ. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر].

وقالَ ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

(٢) **صحيح** لغيره رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٠١)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

رابعاً: أبشِر أيها الكذّابُ بسَوادِ الوجه في الدُّنيا والآخرة

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

خامساً: أبشِر أيها الكذّابُ بعذابِ جهنَّم إذا لم تَتُب

قالَ تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

وقالَ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحرَى الكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كذَّابًا**»(١).

عباد الله! بهذه الخطبة نكونُ قد انتهينا من القسم الأول من البشارات النبوية، وختمناها بتبشيره ﷺ للصادقين طمعاً في كرم الله أن يجعلنا وإياكم من الصادقين.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، واللفظ له.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الفوائد
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة الرعد

سورة ابراهيم

سورة الحجر

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الفوائد

الفائدة **الصفحة**

(١) رمزت لصاحب كتاب «الاستنارة بما جاء في الإشارة» بـ (يعقوب).

فهرس الموضوعات

كتبٌ صدرت للمؤلف:

١- العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢- أحسن البيان	مجلد واحد
٣- الدعاء النافع	مجلد واحد
٤- سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام	مجلد واحد
٥- الصحابة رضي الله عنهم	مجلد واحد
٦- تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام	مجلد واحد
٧- حياة السعداء	مجلد واحد
٨- الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩- البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠- البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١- ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢- البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣- المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤- السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥- وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦- محبة علي بن أبي طالبي بين الغلو والجفاء	غلاف